
الأمية الدينية
و
الحرب ضد الإسلام
دار المعارف
Bibliotheca Alexandrina
0144712

رجب البنا

الأمية الدينية والحرب ضد الإسلام



دار المعارف

تصميم الغلاف : شريفه أبو سيف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

مقدمـــة

أتيحت لى فرصة نادرة لإدراك حقيقة المؤامرة علـى الإسـلام والمسلمين، حين سافرت فى رحلة إلى الولايات المتحدة، فى عـام ١٩٩٦، فـى صحبـة فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وكان فـى منصـب المفتـى.. وخلال هذه الرحلة التقينا بجمـوع مـن المسلمين المـهاجرين والمقيمـين فـى الولايات المتحدة، وبرجال الدين المسيحى فى مختلـف الكنـائس، وممثلـى المنظمات والجمعيات الإسلامية والمسـيحية، فلمسـنا إلى أى حـد أصبحـت صورة الإسلام مشوهة فى أذهان الغربيين عموما، والأمريكيين بصفة خاصة.

هـذا التشـويه الـذى أصـاب صـورة الإسـلام لم يكـن نتيجـة حمـلات المستشرقين أو أعداء الإسلام كما تعودنا أن نقول، ولكنه كان نتيجة أفعـال جماعات من المسلمين، ترتكب الجرائم باسم الإسلام، وتقدم فكـرا وسـلوكا يتعارض مع الإسلام وتدعى أنه الإسلام الحق.

ومن المؤسف أن كتابات الأئمة والشيوخ المحترمين الذيـن يمثلـون بحـق الفكر الإسلامى الصحيح لم يعد لهـا تأثـير، وتراجعـت كثـيرًا، وأصبحـت الأضواء مسلطة على الفكر الشاذ الذى اقتحم الساحة الإسـلامية فـى غـزوة شاملة ونجح فى بلبلة عقول المسلمين، وإثارة الشكوك فى نفوسـهم بحيـث لم يعد الواحد منهم يعرف إن كان مسلما حقا أم هو مـن الكـافرين بحسـب تصنيف جماعات الإرهـاب.. وأصبـح القـابض علـى دينـه كالقـابض علـى الجمر بحق كما قال رسول الله ﷺ.

وعدت من هذه الرحلة وأنا أشعر بالحزن لما صار إليه حال الإسلام على يد بعض أبنائه من الضالين والمضللين، وازداد يقينى بضرورة العمـل بجـد،

على كل الجبهات، وبجهد المخلصين، للدفاع عن الإسلام.. وفى نفس الوقت كنت سعيدًا لأن هذه الرحلة حققت نتائج تفوق ما كان متوقعا لها بكثير.

ففى لقاء فضيلة الدكتور طنطاوى مع نائب الرئيس الأمريكى آل جور اعترف نائب الرئيس بأن الإسلام يتعرض للتشويه فى الإعلام الأمريكى نتيجة اختلاط الأمور على الصحفيين والمراقبين، إلى حد أنهم تصوروا أن هذه الجماعات الضالة هى فعلاً المعبرة عن حقيقة الإسلام بما فى سلوكهم من وحشية وما فى فكرهم من تناقض ومعاداة للحضارة والتقدم والعلم والمنطق..

كذلك اعترف كل من التقينا بهم من رجال الفكر والدين بأنهم لا يرون أمامهم نماذج إلا هؤلاء الذين يستخدمون العنف لإكراه الناس على اتباع فكرهم، حتى تصوروا أن الإسلام ليس إلا غابة يمارس فيها الأقوى ما لديه من قوة لقمع الآخرين.. وأن القتل هو الوسيلة الوحيدة للتعامل مع المخالفين فى الرأى.

وقال الجميع: إن الفوضى التى تريد بها هذه الجماعات الحكم باسم الشريعة الإسلامية تزيد تخوف الغرب عمومًا من عودة عصور الهمجية من جديد.. حتى أن البعض رأى أن الإسلام – كما تقدمه هذه الجماعات – خطر يتهدد الحضارة والقيم الإنسانية والأخلاقية(!).

عدت وأنا على يقين بأن المعركة مع الإرهاب أكبر مما نظن.. معركة لا تحسمها أجهزة الأمن وحدها.. ولكن لابد من أن تكون المعركة بالفكر أولاً.. لتصحيح المفاهيم المغلوطة.. وتقديم الإسلام من جديد فى صورته الصحيحة.

والمقالات التى يضمها هذا الكتاب نشرت فى مجلة أكتوبر فى عامى ١٩٩٤ و ١٩٩٥ بدافع من الشعور بالقلق على ما يمكن أن يسببه الإرهاب

من إساءة إلى المجتمع المصرى.. وليس القلق من أن ينتشر الإرهاب أو يسود.. فهذا أمر مستحيل بالنسبة لمصر التى حملت شعلة الإسلام ودافعت عنه وضمت الأزهر الشريف أكبر قلعة للإسلام الصحيح.. ولكنه القلق من أن يستمر هذا الخلط فى المفاهيم، والتخبط فى المواقف، واستيلاء الضلال على عقول بعض شبابنا وفى ذلك خسارة يصعب تعويضها. ومن هنا رأيت، ومازلت أرى - أن واجب المثقفين الأول أن يتصدوا لهذه الغزوة الجديدة على الإسلام.. وهى غزوة مخططة وممولة من الخارج.. هدفها تشكيك المسلمين فى جوهر وجودهم.. وإثارة التوتر فى مجتمعاتهم.. وتحويل المسلمين إلى أعداء لأنفسهم، والقضاء على جهود التقدم بأيدى بعض أبنائنا المتحمسين الذين ضلوا الطريق.. أو العملاء الذين باعوا دينهم وضميرهم ووطنهم..

وفى يقينى أن المعركة الفكرية والحضارية ضد أعداء الإسلام الذين يناصبون الإسلام العداء وهم يحسبون أنفسهم المدافعين عنه هى أخطر المعارك.. لأن العدو نستطيع أن نعرفه، وهو يعرف نفسه، ومنازلته ممكنة مهما تكن قوته ، والانتصار عليه لن يكلفنا الكثير.. ولكن دخول المعركة - بما تستلزمه من ضحايا - مع أبنائنا الذين نعرف أنهم مضللون.. لأنهم يفسدون الإسلام ويظنون أنهم المصلحون.. ويقتلون المسلمين وهم يصدقون من يحرضهم ويدعى أنهم كفار وأن هذا هو الجهاد المفروض شرعا..!!(!)..

الدخول فى معركة مع أبنائنا هؤلاء هو الأمر المؤلم حقًا..

شيء مؤلم أن نواجه من يناصبنا العداء ونحن نريد أن نحتضنه لأنه قطعة منا.. ولأننا على يقين أنه ضحية.. يستحق الشفقة.. ولا يستحق العقاب.

من هنا أقول: إن التربية الإسلامية هى الحل..

ولابد أن نعترف بأننا مقصرون فـي هـذا الواجـب.. بينمـا يعمـل أعـداء الإسلام بكل همة ونشاط..

وأرجو أن تكون كلماتي أجراسًا لإثارة الانتباه.. وبدايـة لعمـل مـن نـوع جديد.. عمل جاد.. وشامل.. ومخطط.. لإعـادة صـورة الإسـلام وفكـره إلى مكانهما الصحيح.. والله دائما مع المخلصين.. ووعده الحق بـأن ينصـر مـن ينصره..

رجب البنا

الفصل الأول

- ❑ هل يحكمنا الإرهاب؟!
- ❑ فكر الإرهاب على الأرصفة..
  والفكر المعتدل تحت الحصار.!
- ❑ مؤامرة على الديمقراطية!
- ❑ استراتيجية الإرهاب.
- ❑ حقوق الإرهاب.!
- ❑ لله.. أم.. للإرهاب؟!!
- ❑ كلنا تلاميذ في مدارس الإرهاب.

هل يحكمنا الإرهاب ؟

سألنى صحفى أجنبى: كيف ترى مستقبل العنف السياسى فى مصر وفى المنطقة العربية؟

قلت له وأنا أبتسم:

- مشكلتكم أنكم لا تعرفون حقيقة المجتمع المصرى.. عندكم معلومات.. وكمبيوتر.. وخبراء.. وعقول.. ولكن روح هذا الشعب وطبيعته لا يعرفها إلا من درس تاريخه، وعايشه سنوات طويلة جدا، ونفذ إلى الأعماق التى لا يمكن معرفة ما فيها بدراسة تفصيلية للسطح وحده..

قلت له:

- إن السؤال ذاته كما تطرحه موضوع بطريقة تنطوى على أكثر من خطأ.

أولا: لأن ما يحدث فى مصر لا يصنف على أنه «عنف سياسى»، لأنه ليس صادرا عن جماعات لديها فكر سياسى واضح. ولا برنامج محدد، ولا هى جماعة معلنة لكى يعرف الناس من هى؟ وأين تمتد جذورها؟ ومن أين يأتيها الدعم والمعونة؟ إن ما يحدث هو نوع من «الإرهاب».. وبعض وسائل الإعلام الغربى لا تفرق بين مفاهيم مختلفة أشد الاختلاف مثل «الإرهاب» و «العنف السياسى» و «الأصولية» و «التطرف الدينى».. فهذه المفاهيم لا تدل على ظاهرة واحدة ولكنكم تستخدمونها جميعا وكأنها تدل على شىء واحد. وهذه قضية تحتاج إلى مناقشة.

وثانيا: لأن بعض الإذاعات والصحف الغربية تتناول بعض الأحداث الإرهابية فى البلاد العربية عموما، وفى مصر خصوصا، وتضعها تحت

أجهزة تكبير، بحيث يبدو الإرهاب فى ظاهره كأنه انتشر، وكأن الناس تخاف منه، وكأن له مستقبلاً.. وكل هذا غير صحيح وهذا التهويل يضركم أكثر مما يضرنا.

وثالثا: لأنكم تتناولون الإرهاب أحيانا كأنه ظاهرة مصرية، أنبتتها الأرض المصرية، وهذا خطأ فادح فى الفهم والتفسير، لأن الشعب المصرى كله ودون استثناء شديد التمسك بالأديان، وفيه من «يتطرفون» فى التدين، بمعنى أنهم يكثرون من الصلاة والصيام والحج، ويتحركون من نقطة الوسط بين السعى للحياة الدنيا والعمل للآخرة. ليفضلوا أن يجعلوا الدنيا كلها مزرعة للآخرة، ويكرسوا حياتهم من أجل الحياة الباقية الخالدة فى ظل رضا الله ورحمته.. والإسلام دين وسط. والأمر الصادر للمسلمين أن يعملوا لدنياهم ولآخرتهم، بل أن يعملوا لدنياهم كأنهم يعيشون أبدا، أى كأن الموت لن يأتى، وذلك لأن الحياة مستمرة بنا وبعدنا، لنا ولأبنائنا، ولابد أن نعمر هذه الأرض التى جعلنا الله مستخلفين فيها.. نعمرها بالعلم، وبالبناء، وبالحضارة، وبكل صور التقدم المادى والروحى.. وفى نفس الوقت نعمل لآخرتنا كأننا نموت غدا، فتظل قلوبنا معلقة بالله سبحانه وتعالى، ونلتمس رضاه فى كل عمل نعمله، لوجهه سبحانه وتعالى..

❁❁❁

هذا هو الإسلام، فيه تعادل دقيق بين مطالب الأرض ومطالب السماء، لا يغلب أحدها على الآخر، والدليل على ذلك أن رسولنا ﷺ حين شاهد فى المسجد رجلاً عاكفًا ليله ونهاره سأل: من يعوله؟ فلما قيل له: إن أخاه ينفق عليه، قال عليه الصلاة والسلام: أخوه أفضل منه. أى أن من يعمل ويكد ويعرق ويأكل من عمل يده، أفضل ممن يصلى طول النهار ويقوم

الليل كله.. وفى ذلك مواقف وأحاديث صحيحة كثيرة تجعلنا ندرك أن الإسلام دين ودنيا..

لكن التطرف فى العبادة، والمغالاة فيها، على حساب تعمير الأرض والعمل للدنيا، ليس خروجًا على الدين ذاته، ولكنه فقط مغالاة، وتزيُّد، وإلزام الإنسان لنفسه بما لم يلزمه به ربه، هو إفراط فى التقوى، والصلاح، والعبادة، والتقرب إلى الله، لا نستنكره، ولا نرفضه، ونقول فيه: كلٌ ميسر لما خلق له..

أما «الأصولية» الإسلامية فليست كما تصورونها للقارئ الغربى الذى يجهل حقيقة الإسلام.. تكوين عصابات، وقتل الناس غيلة وغدرا، والتربص لهم وهم يعيشون حياتهم مؤمنين مسالمين آمنين.. «الأصولية» هى اتجاه فى فهم الدين وتفسير النصوص، يتمسك بالعودة إلى الأصول والجذور. ويرجع كل أمر جديد للقياس بما كان فى الماضى، ويعيش على أمل إعادة المجتمع المسلم على ما كان عليه المسلمون الأوائل الأصوليون.. يتمسكون بحرفية النصوص، ولا يريدون أن يغيروا حرفا مما قاله الأئمة القدامى مع أنهم بشر، لهم عقول بشر، واجتهادهم اجتهاد إنسانى محكوم بالضرورة بظروف المكان والزمان، وليس هناك بشر يظل كلامه صحيحا دائما مع اختلاف العصور إلى يوم القيامة إلا المعصوم عليه الصلاة والسلام، ولذلك كان الأئمة القدامى عندما يتناولون رأيًا للفقهاء الكبار يتناولونه على أنه قول إنسانى قابل للمناقشة وإعادة النظر، فى ضوء ما يستحدث فى الحياة من أمور لم تكن قائمة فى زمانهم.. فكان الإمام مالك رضى الله عنه يقول: كلكم يخطئ ويصيب ويرد عليه، إلا صاحب القبر هذا.. ويشير إلى قبر الرسول ﷺ . وكان الفقهاء متفقين على قاعدة أصولية تقضى بتغير الأحكام مع تغير الزمان، وإن ما يفتى به فى وقت ومكان، لا يفتى به فى وقت آخر أو مكان مختلف.

ليس هناك عصمة لبشر فى الإسلام إلا للرسول ﷺ. وكل ما يقوله البشر يمكن مناقشته، والتفكير فيه، وقابل لإعادة النظر، وكان الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه يقول: «هم رجال.. ونحن رجال»، دلالة على أنه ليس من حق السابقين أن يمنعوا اللاحقين فى فهم وتفسير النصوص واستنباط الأحكام بما يتفق أو يختلف معهم نتيجة اختلاف الظروف والمجتمعات.

وفى أمور الدنيا ترك لنا الرسول ﷺ قاعدة ذهبية ليس من حق أحد أن يغيرها حين قال لكل أجيال المسلمين في كل العصور إلى يوم قيام الساعة: «أنتم أدرى بشئون دنياكم». وبذلك ترك لنا باب العمل والتفكير والتغيير فى الدنيا دون أى قيد إلا قيد التمسك بالمبادئ والقيم التى جاءت فى الكتاب والسنة..

هذا هو الإسلام، فلماذا لا يريد الغرب أن يفهمه على حقيقته، ويصر بعض الكتاب على عرض الصورة المشوهة له وتجاهل الأصل العظيم.

❁❁❁

والمصريون متمسكون بالدين بقوة وإخلاص. مسلمين ومسيحيين.

المسلمون فى مصر لهم إسلام قد يختلف عن مفاهيم بعض الدول الإسلامية الأخرى.

ملايين المسلمين فى مصر يؤدون الفرائض بحرص وانتظام، والمساجد بفضل الله مليئة بهم فى كل الأوقات، والكل صائمون فى رمضان، وازدحام الطائرات فى مواسم العمرة والحج شاهد على تعلقهم بدينهم وإخلاصهم فى عبادة ربهم.. ولجنة الزكاة فى كل مسجد، وتبرعات أهل الخير تنهال فى كل وقت وكل مكان دليل على أن إسلام المصريين قد يختلف عن غيرهم.

إسلام المصريين هو إسلام الاعتدال، والسماحة، ليس فيه دعوة للعنف بأى صورة، ولا تبرير للجريمة تحت أى مسمى، وحرمة الدم المسلم كحرمة الكعبة كما قرر رسولنا ﷺ، وليس من حق مسلم أن يحكم بالكفر على من ينطق بالشهادتين بعد أن حسم الرسول ﷺ الأمر بكلمات قاطعة: من قال لا إله إلا الله فقد عصم منى دمه.. وعلى ذلك فإن المصريين ينفرون بتكوينهم وبطبيعتهم من كل صور العنف، أو استخدام القوة، أو الإجبار، حتى لإقامة الشريعة بعد أن أصبح المبدأ الإلهى: لا إكراه فى الدين.

إسلام المصريين من السماحة ورحابة الأفق بحيث يتسع لاختلاف الرأى والتفسير، وهم يفرقون تفرقة دقيقة بين ما يجوز وما لا يجوز فيه الخلاف.. لا يجوز الخلاف فى المبادىء الأساسية التى تمثل أركان الإسلام، وبعد ذلك فكل اجتهاد فى التفسير والاستنباط صادر من عقول البشر يمكن أن يكون فيه خلاف.. وهذا سر حيوية الإسلام فى مصر، وتقدم وازدهار الفكر الإسلامى على مر العصور.

❁❁❁

أحداث الإرهاب التى تقع فى مصر إذن لا تنتمى إلى «التطرف الدينى» ولا إلى «الأصولية» ولا إلى السعى إلى إقامة حكم الشريعة الإسلامية. هى فى الحقيقة «إرهاب» ولا شىء غير ذلك. والإرهاب معروف وموجود فى العالم كله تقريبا، وله منظمات وجماعات تتلون فى كل بلد بما يناسبها. وهناك من يقول إن «الإرهاب» أصبح سلاحًا دوليا وعنصرا ضاغطا على القرار، وهذا هو هدفه الحقيقى غير المعلن، وهناك من يرى أن الإرهاب أصبح فى هذا العصر بديلاً عن الحروب التقليدية، وأن الذين يحركون جماعاته من بعيد يسعون إلى تحقيق غايات كانت تحققها الجيوش فى العصور الماضية. لكن اختلاف الظروف العالمية جعلت

استخدام الحروب المباشرة مستبعدًا فظهرت الحروب غير المباشرة، أو كما يسميها بعض علماء السياسة «حروب الشياطين الخفية».

وهناك تفسير آخر يمكن أن نفكر فيه، ملخصه أن حركات العنف كانت عادة ترتبط بالتنظيمات الشيوعية التى تسعى إلى قلب نظام الحكم فى كل دولة للوصول إلى مرحلة حكم «الشيوعية العالمية». وكانت هناك قيادة دولية للحركات والمنظمات الشيوعية تخطط وتدبر وتدير وتحرك خيوط العرائس من بعيد، ثم تظهر جماعات العنف الشيوعية فى كل بلد باللون الذى يتناسب معها، فتبدو كأنها من نبت البيئة المحلية ودون أن تعلن حقيقة هويتها وأهدافها. وكثير من الحركات والمنظمات الشيوعية المحلية لم تكن تعرف شيئا، ولا ترى شيئا من الخيوط التى تربطها بالقيادة الدولية، والتنظيم الأم، و «العقل الأكبر المدبر» وكان المخدوعون من الشباب فى كل بلد يعملون، ويضحون بحياتهم، ظنا منهم أنهم يعبرون بذلك عن حبهم وإخلاصهم لوطنهم، وسعيهم لتحسين أوضاعه وتحقيق أحلامهم فى إقامة مجتمع نموذجى تتحقق فيه العدالة المطلقة، والحرية الكاملة، والقوة.. الخ.

وبعد انهيار الشيوعية وتنظيماتها الدولية والمحلية، وإفلاس الفكر الشيوعى، ظهرت جماعات أخرى برداء آخر، وتحت ألوية مختلفة، تردد نداءات وأحلاما أخرى، لكن الوسيلة واحدة تقريبا.. ولابد أن نسأل: أين القيادة ؟ أين العقل المدبر ؟ أين الأيدى الحقيقية الخفية التى تحرك خيوط العرائس التى تظهر على مسرح الأحداث فى أى مكان من العالم تدير وتدبر ما يحدث فى الجزائر، وتونس، والسودان، والأردن، ومصر ؟

أين القيادة ؟.. ومن أين التمويل..؟

الإرهاب الآن ظاهرة عالمية..

على خريطة العالم كله أحداث وجماعات إرهابية، حتى فى فرنسا بلد الحرية والإخاء والمساواة، وحتى فى الولايات المتحدة بلد الطموح والحلم الأمريكى الذى لا مثيل له فى العالم وصاحبة تمثال الحرية العملاق، وبلد الديمقراطية الكاملة كما يقولون، وحامية حمى الحريات وحقوق الإنسان فى كل أنحاء العالم.. وحتى فى أوربا كما فى الهند وباكستان.. ودول أفريقية.. هناك إرهاب بصور وأشكال مختلفة.. ولكنه إرهاب!

أين الدولة التى تخلو الآن من جماعات وحوادث الإرهاب؟

فى بلد يظهر «الإرهاب» تحت ستار الدين لأن هذا هو ما يتفق مع طبيعة شعب هذا البلد، لكى يقع شبابه فى سحر الشعارات الجميلة النبيلة، ولا يخطر على بال هؤلاء الشباب بأى صورة أن هناك عقلا محركا ومنظما ومنسقا يخطط ويدبر ولا يظهر، ولا يلفت نظر هؤلاء الشباب أن العمليات الإرهابية تنفذ بطريقة واحدة تقريبا رغم اختلاف البلاد والمقاصد والأهداف.

وفى بلد آخر قد يتخذ الإرهاب أقنعة أخرى غير دينية لأن لعبة الدين لا تصلح فيه.

❁❁❁

ليس هناك دولة فى العالم ليس لها أعداء، أو على الأقل خصوم.

وليس هناك دولة فى العالم كلما حققت تقدما، وازدادت قوة، إلا كان ذلك على عكس أهداف دولة أو دول أخرى من مصلحتها أن تظل الدولة متخلفة، وممزقة، وفقيرة، وجاهلة، وبالتالى ضعيفة.

ومصر ليست بدعة. بل هى أكبر مثال على ذلك.

وتاريخها كله هو تاريخ صراع من أجل تحقيق التقدم، ومؤامرات لتعطيل سيرها نحو التقدم. وكلما جاء عصر حققت فيه مصر بعض

أحلامها، أو أظهرت أنها استعدت وأصبحت قادرة على تحقيق بعض هذه الأحلام، أتت زوبعة لتهدم، وتهدد، وتعوق، وتبدد الطاقة وتشتت الجهد بعيدًا عن معركة البناء.

وراجعوا تاريخ مصر كله، في كل مراحله، وفكروا في المسألة.

هل ترون مرحلة من مراحل البناء والتنمية نعمت فيها مصر بالهدوء والاستقرار. أم أن «العفاريت» تظهر دائما في كل مرحلة في ثوب مختلف.. أحيانًا تحت أعلام دول خارجية، وأحيانًا تحت رايات تبدو في الظاهر صناعة محلية.

هناك دائما من لا تتحقق مصالحه وأهدافه إذا استمر النظام السياسي والاجتماعي في مصر مستقرا، وفي هذه الفترة بالذات تحتاج مصر إلى الاستقرار والأمان والهدوء، لكي تتفرغ لمعركة مهمة بدأتها لتجاوز أزمتها الاقتصادية، حققت فيها إنجازات ليست قليلة، وإذا استمرت فيها بنفس المعدلات فإن الوقت سيأتي قريبا لتحقيق حلم أبنائها في الانطلاق لتحقيق الطموح القديم في بناء مصر القوية.. الحرة.. بلدا للرخاء.. ونقطة مضيئة للتقدم في المنطقة العربية.

ومصر بحكم عبقرية المكان، وبحكم تاريخها، وتكوينها الثقافي والحضاري، دولة محورية.. قيادة طبيعية.. قوة جذب وتأثير في المنطقة.. شاء الآخرون ذلك أم رفضوا.. فهذه المسألة هي حكم التاريخ. وقدرنا الذي يجعلنا في رباط إلى يوم الدين كما قال عنا رسولنا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إنما هو وحي يوحى.. ﷺ.

❁❁❁

مشكلتنا أن هذا «الإرهاب» جاء في وقت مازالت فيه تجربة التعددية السياسية في بداياتها، فقد أصبح لدينا ١٣ حزبا، ولكن تقاليد العمل

الحزبى النظيف والموضوعى لم تستقر بعد. بعض الأحزاب تدرك هذه التقاليد وتلزم نفسها بها، وتكتسب الاحترام رغم أن شعبيتها محدودة. لكن بعض الأحزاب الأخرى تصورت أن لعبة الحرية والديمقراطية والحزبية تعطيها الحق فى أن تستخدم كل الأوراق، حتى الأوراق المحرمة، وتستخدم كل الأسلحة حتى الأسلحة المسمومة، وكل الأساليب، حتى ولو كانت غير أخلاقية، وضارة بالمجتمع كله وبمستقبله على المدى الطويل.

جاء الإرهاب فى وقت كنا نحتاج فيه إلى أسلوب راق للمعارضة، ولكن مع الأسف اختار البعض أسلوبًا فظا وسوقيًا ظنًا بأن هذا يكسبهم شعبية بسرعة، ويجذب إليهم عناصر الشباب المتمرد بطبيعته فى مراحل العمر المبكرة.. وربما لأنهم يريدون الاستفادة من ظروف المعاناة الاقتصادية فى مرحلة الانتقال التى نسميها «الإصلاح الاقتصادى».. وكأنها تريد تصفية الحسابات أثناء سير الموكب على الجسر، بين أرض وأرض.. فى المكان الحرج.. وفى الوقت الحرج.. لأنها تدرك أنها لو انتظرت فسوف يصل الركب إلى بر الأمان ولا تجد معركة تثيرها.. ربما..

وربما لأن البعض – بحكم تكوينه الشخصى، وثقافته، وخلفيته الاجتماعية والسياسية، لا يختار إلا طريق تهييج المشاعر.. مستخدمين فى ذلك نفس أساليب المغالطات، وخلط القليل من الحقائق بالكثير من الأكاذيب.. ودون تفرقة بين المعارضة، والنقد، وبين الضغط السياسى، من ناحية، وبين استخدام أساليب وعبارات كالهراوات لمجرد تخويف المسئولين من ناحية أخرى.

البعض يتعمد خلط مفهوم الحرية بمفهوم الفوضى واللاأخلاقية – وخلط مفهوم النقد بمفهوم الهدم والتشويه.. ومفهوم المعارضة بمفهوم العداء، ومفهوم التدين بمفهوم استخدام الدين واستغلاله لغير ما أنزله الله له..

وهل يمكن أن يكون الدين مصدرًا لإثارة القلق والتوتر فى وسط المؤمنين.. أو لترويج أفكار عدائية ضد المجتمع؟

الإسلام قوة للبناء.. وليس للهدم.. يدعم فى الفرد مسئوليته تجاه وطنه، وتجاه أخيه الإنسان، فما الحكم فيمن يعمل على نشر الكراهية والهدم، ويدعو إلى التعاون على الإثم والعدوان، وليس على البر والتقوى؟

قلت للصحفى الغربى:

يا سيدى.. اطمئن.. وافتح عينيك؛ على الحقائق فى هذا البلد.. ولا تقف أمام الظواهر وحدها.. ولا تبالغ فى تقدير قيمة حادث هنا أو هناك.. وسوف تدرك أن الإرهاب ليس له مستقبل فى مصر.. ولن يحكمها الإرهاب لا بعد خمسين سنة ولا بعد ألف سنة..!

لأن الإرهاب ظلم.. ظلم لله ولرسوله.. وظلم للناس..

ولن يكون للظلم والظلام مستقبل فى مصر.. ولن يحكمنا.. أو يتحكم فينا الظلم أو الظلام أبدًا بمشيئة الله.. وهو خير حافظًا.. والخير فى أمته فى هذه الأرض إلى يوم الدين.. ولن يكون للشر مستقبل..

❁❁❁

فكر الإرهاب على الأرصفة ..
والفكر المعتدل تحت الحصار !

من المسئول عن وصول ظاهرة الإرهاب إلى هذا الحجم وهذه الخطورة ؟

هذا سؤال .

ولماذا لم تتحرك كل الأجهزة معًا ، بتنسيق وتكامل ، وبمخطط واستراتيجية عمل ، وفي الوقت المناسب ؟

هذا سؤال آخر .

وما جدوى ما قيل ويقال عن جهود بذلت وتبذل لمواجهة الإرهاب ووقف سريان النار فى الهشيم ؟ هل هى جهود حقيقية ومثمرة .. أو هى مجرد تحركات ، وحركات سطحية ، وتصريحات .. لا أكثر ؟ وما هى حصيلة العمل فى السنوات السابقة ؟

وهذا سؤال ثالث ..

الحقيقة الأولى – قبل محاولة الإجابة – هى أن فكر الإرهاب لم يكن مستورا ولم يكن تلقينه للشباب يتم فى الخفاء ، ولكنه – للحق – كان معلنا بأعلى صوت ، وبكل وسيلة ، وفى شرائط كاسيت لمن يستسهل المساعدة على القراءة ، وللأميين ومحدودى الثقافة ، وكتب مليئة بالأفكار التى تحارب المجتمع ، وتستعدى قارئها على كل مؤسساته .. كتب كثيرة جدًا بشكل يلفت النظر ، موجودة فى كل المكتبات الكبرى والصغرى ، بل تملأ الأرصفة وبخاصة أمام المساجد والمدارس والجامعات ، وتباع بأرخص سعر يمكن تخيله ، يصل إلى أقل من ربع ثمن الورق الأبيض الذى طبعت

عليه .. وبعض هذه الكتب كان يوزع فى السنوات السابقة مجانا فى المدارس والجامعات والتجمعات والمساجد على أنه وقف لله تعالى ، وباعتباره علمًا يُنتفع به ، ويطلب ناشروه من القراء أن يدعوا لهم الله ليجزل لهم الثواب على خدمتهم لدينه ! !

❁❁❁

ولم يُتخذ إجراء حاسم لمنع هذه الكتب السامة ، رغم أنها كانت - وما زالت - أشد خطورة من المخدرات والسموم التى تدمر عقول شبابنا .. خاصة أن الشباب يتناقلها وتسرى أفكارها كالنار فى الهشيم بين محدودى الثقافة وذوى التفكير السطحى وأنصاف المتعلمين ، وهذا سر انتشارها الأكبر فى الريف والأحياء العشوائية ، حيث يكاد ينعدم تأثير الأسرة والمدرسة على الشباب ..

فى نفس الوقت ظهرت نغمة دفاعية غريبة من «الكتاب الإسلاميين» وأدعياء الثقافة ، ظلوا يكتبون بقوة ، ويرفعون أصواتهم فيما يشبه الصخب ليقولوا كيف يمكن أن يكون فى البلد مناخ الحرية والديمقراطية ، وتظهر رقابة من أى نوع على أى كتب وأى فكر ؟ اتركوا الفكر حرًا طليقًا من أى قيد وأى رقابة .. ولا تعطوا أى مؤسسة الحق فى أن تقول كلمتها أو تطالب بالمنع ، حتى لو كانت هذه المؤسسة هى الأزهر ، وحتى لو انتهت دراسة شيوخ الأزهر إلى أن ما فى هذه الكتب يتعارض مع صريح النصوص ، أو مع ما استقر عليه التفسير والحديث والفقه .. فالحرية هى الحرية حتى لو تحولت إلى سلاح يستخدم ضد أمن المجتمع واستقراره .. حتى لو أصبحت محرضا على الفوضى والقتل وارتكاب جرائم السرقة والاعتداء على الحرمات باسم الدين .. حتى لو كانت وسيلة لنشر نظريات ومذاهب ظاهرها الدفاع عن العقيدة والشريعة الإسلامية ، وباطنها الحرب عليهما والعدوان على كل المسلمات المعروفة والمستقرة فيهما .

وكان أصحاب هذا النداء فى الحقيقة فريقين : فريق لا يدرك الحجم الحقيقى للخطر ، ولم يقرأ هذه الكتب ولم يفكر فى قراءتها ـ ولكنه بحكم انتمائه الثقافى والعقائدى منحاز للحرية بمعناها المطلق والرومانسى .. وهؤلاء بكل طيبة وحسن نية جعلوا مؤسسة الأزهر صاحبة الفكر الإسلامى والصوت العاقل المدافع عن الإسلام ضد أعدائه الكثيرين وأغلبهم من أبنائه .. جعلوا الأزهر يعيش تحت الحصار .. وتحول من مواقع الهجوم على الفكر الإرهابى الذى انتشر .. إلى مواقع الدفاع عن نفسه .

وهذا بالضبط ما كان يريده الفريق الثانى .. وهذا الفريق له قصة طويلة .. فهم فى الهدف النهائى يتفقون مع الإرهابيين فى ضرورة زعزعة النظام ، وإن كان الاختلاف السياسى هو أنهم يعدون أنفسهم للحكم ، ولينقلبوا على الإرهابيين بعد ذلك .. هو اتفاق مرحلى كما يقال ، أو حلف انتهازى .

هذا الفريق يسمي نفسه التيار الإسلامى المعتدل .. صحيح أن فى مصر تيارا إسلاميًا معتدلاً .. والمجتمع المصرى كله مجتمع إسلامى معتدل .. ولكن هؤلاء تحت ستار أنهم أصحاب نظرية (الإسلام السياسى المعتدل) يبدأون – تكتيكيا – برفض عمليات العنف والإرهاب .. ولكنهم – استراتيجيا – يرددون نفس أفكار الإرهابيين ، ولكن بصيغ وعبارات وأسانيد مختلفة ، فإذا نزعت هذا الغطاء الظاهرى فسوف تجد نفس الأفكار والقضايا والمقولات : هذا المجتمع بعيد عن شرع الله .. وبالتالى فالحرب عليه واجبة .. وتغييره واجب ..

وهؤلاء الذين يدعون أنهم معتدلون هم الذين غرسوا فى العقول فكرة بعد المجتمع عن الشريعة ، وفكرة الحاكمية لله وليست لبشر ، وفكرة انتزاع سلطة الدولة ومؤسساتها فى تغيير المنكر ، وإعطاء كل من هب ودب أن يحكم بأن هذا العمل منكر ، وأن هذا الإنسان يفعل المنكر ، ويجب تغييره باليد ، أى بالقوة ، أى بالقتل !

هذا الفريـق كـان يـردد فـى مقـالات منشـورة فـى الصحـف الكـبرى أن الإرهـابيين شـباب يحتـاج إلى العطـف .. شـباب يقتـل ويسـرق ويسـتحل الحرمـات مـن جانبـه . ويجـب أن تقابلـه الدولـة بـالعطف وبذراعـين مفتوحتين .. هؤلاء هم الذين ظلوا طوال السنوات الماضية يقولون إن الفكر لا يواجه بالإجراءات ولكن يواجه بالفكر ، دون أن يتقدموا هم بتقديـم الفكـر الذى يبين فساد الفكر الآخر .. فكر الإرهاب والتحريض على الجرائم ..

وهذا الفريق الذى بدأ بالهجوم على الأزهر ، وفق تكتيـك ذكـى جـدا ، ولما تنبه المسئولون إلى هذا الدور انقلبـوا إلى الدفـاع بحماسـة عـن الأزهـر ، وغسلوا أيديهم مـن الفكـرة التـى زرعوهـا طـوال سـنوات بـأن يظـل الفكـر المنحرف متاحا على الأرصفة تتناقله أيـدى وعقـول شـباب صغـير السـن ، محدود التجربة ، قليل القدرة على التحليـل والنقـد والاختيـار .. ويقيـدوا الأزهر فلا تكون له سلطة أو مقدرة علـى المنـع أو الحظـر حمايـة للديـن .. وهذا واجبه الأول .. وهم أصحاب فكرة أن يكتفى الأزهـر بقوافـل تطـوف البلاد للرد على الفكر الإرهابى .. كأن شعارهم : نحن نشعل النار وعليكـم أن تدوروا على كل شبر فى البلاد لكى تطفئوا ما قد ترونه منـها ، أمـا مـا خفى فهو مكمن الخطر الأكبر ، وسوف يبقى ، ويستشرى..

❁❁❁

ولأن هنـاك عقـولا ذكيـة تخطـط وتضـع اسـتراتيجية العمـل والفكـر الإرهابى، ليس علـى مسـتوى مصـر وحدهـا، ولكـن علـى مسـتوى دولى ، يشمل بالدرجـة الأولى الـدول العربيـة الكـبرى والمؤثـرة فـى المنطقـة ، فقـد غرسـوا فكـرة أخـرى غايـة فـى الدهـاء .. ملخصـها أن الأزهـر خـاضع للحكومـة.. وعلمـاؤه الأفـاضل - العلمـاء الأعـلام - هـم «علمـاء السـلطة» وأدوات الحكم .. وبالتالى لا يجوز لمن يؤمن بفكرة الحكم الإسلامى ، بل لا يجوز للمسلم عموما ، أن يستمع إليهم ، أو يأخذ عنهم ، أو يأخذ بآرائهم وفتاويهم .. لأن الحكومة كافرة .. وكل من يعمل فى إطارها كافر !

تصوروا !!

أن يأتي يوم نرى فيه من يجد في نفسه الجرأة للحكم على الأزهر ورجاله بالكفر ، ويسعى إلى عزله عن مجال عمله الطبيعي الذى يجب ألا يعمل إلاّ فيه دون سواه .. مجال نشر مفاهيم الإسلام الصحيحة .. والدفاع عن روح الإسلام وهى السماحة والاعتدال ومخاطبة العقول ، ورفض إقامة الشريعة عن طريق المؤامرات ، وقتل الناس غيلة وهم يعيشون في سلام ويمارسون شعائر الإسلام كاملة ، وأولها الشهادتان.. وهما وحدهما سبب يعصم من ينطق بهما ويخرجه من دائرة الكفر والشرك.

ثم حدث تطوير للهجوم على الأزهر – بعد أن أصبح تحت الحصار – وجاء ذلك أيضا بمخطط ذكى ، فأصبحت المقالات والأحاديث تدور حول فكرة أن الأزهر مقصر فى أداء دوره لأنه فى الحقيقة قاصر ولا يستطيع القيام بهذا الدور ، وعلماؤه ليسوا بالدرجة المطلوبة من العلم والإعداد والتدريب ، ليصبحوا دعاة ومؤثرين فى الرأى العام ، لأنهم بلا منطق ، وبلا روح ، وبلا حماسة ، لأنهم فى الحقيقة بلا قضية .. وكانت هذه محطة مهمة فى رحلة قطار الهجوم على الأزهر..

ثم حدث تطوير آخر للهجوم ، فقالوا إن علماء الأزهر هم أدوات الحكومة ، وإن الإسلام الذى يتحدثون عنه ليس هو الإسلام الذى أنزله الله ، ولكنه الإسلام الذى تريده الحكومة (!) وعشرات المقالات تتحدث عن «الإسلام الرسمى» و«الإسلام الحقيقى» .. وأصبحت لعبة الخبثاء ممن يستخدمون ذكاءهم الشيطانى ببراعة هى زراعة فكرة «علماء السلطة» فى عقول العامة ، وأصبحت هى السلاح الخطير فى محاولة إحكام الحصار على الأزهر وعزله عن مجال التأثير فى الجماهير المسلمة..

ألا تلاحظون أن هناك أقلامًا تدعى أنها معبرة عن التيار الإسلامى المعتدل تهاجم مباشرة ، وغالبًا بشكل غير مباشر ، كل فتوى وكل رأى

يصدر عن المفتى – وهو من أبرز رجال الأزهر – كما تهاجم أساتذة لهم قدرهم العلمى فى العالم الإسلامى فى كليات الشريعة وأصول الدين وفى لجنة الفتوى وفى مجمع البحوث الإسلامية؟

وبفضل الجهد الخبيث المنظم فى الكتب والكاسيتات ومقالات بعض الذين يسمون أنفسهم التيار الإسلامى المعتدل ، جاء نمو ظاهرة أخرى بالغة الغرابة ، هى أنه أصبح الإسلام الواحد ، المنزل من رب واحد ، ليس إسلامًا واحدًا ، بل أصبح (إسلامين).. إسلام يقدمه الأزهر .. وإسلام آخر تقدمه الجماعات المعتدلة والمتطرفة ، وليس بينهما فارق إلا أنَّ الجماعات المتطرفة تطلب التغيير الآن وفورًا بالسلاح والقتل والتدمير ، وجماعة الذين يدعون أنهم معتدلون تتبنى نظرية التقدم البطيء واكتساب الأرض خطوة خطوة دون إراقة دماء (!)

وأصبح أهل العلم والفتوى فى البلد فريقين : فريق من الأزهر ، وفريق من الجماعات .. من جماعات من الشباب الذين تعلموا الإسلام بالهواية ، وبالانتقاء ، أى أنهم لم يتلقوا تعليمًا إسلاميًا منظمًا وعميقًا ومتكاملاً كالذى يقدمه الأزهر لأبنائه.. ولم يطلعوا على سائر المذاهب والنظريات فى إطار دراسة تاريخ كل منها وظروف نشأته ، ولم يتعلموا المنطق ، ولا أصول الفقه ، ولا أصول التفسير ، ولا أصول الحديث ، ولا يملكون الأدوات العلمية للتمييز والتفرقة بين ما هو أصيل فى الإسلام وما هو دخيل عليه ، بين ما قاله الرسول وما هو منسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث موضوعة وإسرائيليات..

***

وهل كان يمكن أن يصبح فقيهًا فى الدين شاب صغير السن لم يدرس دراسة منظمة إلا فى مرحلة الثانوية العامة أو دبلوم التجارة أو معهد فنى؟ وحتى من حصل على مؤهل جامعى – وهم قلة – فإنهم لم يتعرفوا

على كتب ومناهج تبرر الإرهاب وتجعله القيمة الوحيدة والطريق الوحيد لإعلاء كلمة الله.

هل يمكن أن يكون فقهاء الأمة ومفسروها وعلماء شريعتها شبابًا صغير السن ، محدود الخبرة .. تكوينه العقلى مقصور على ما لقنته إياه الجماعات ذات الفكر الشاذ؟ ولأنه تعود على أسلوب التعليم فى المدارس الذى يعتمد على التلقين والحفظ وقبول الرأى والمعلومة دون تحليل أو مراجعة أو نقد أو مطالبة بدليل .. فإن أصبح يتقبل آراء هذه الجماعات الغريبة دون مناقشة أو تفكير لاكتشاف ما فيها من تناقض وبعد عن جوهر الإسلام..

والشباب بطبيعته يبحث عن كل ما هوغريب وغير مألوف، لأنه يثيره، ويجذبه ، ويستهويه ، ويجعله يشعر أنه غير الناس ، ومختلف عنهم ومتميز عليهم .. فكان سهلاً أن يجذبه الفكر الغريب الذى يأتيه بسهولة..

ولأنَّ الشباب فى مرحلة من مراحل العمر يشعر بحاجة نفسية إلى الانضمام إلى جماعة ما .. يشعر فى انتمائه لها بالأمان ، والاستقرار النفسى ، وبأنه معهم قوة ، وله تأثير ووجود ، ويبحثون عنه ، ويسألون عليه إذا غاب ، ويساعدونه فى الضائقة ، ويسهلون له حل مشاكله المالية، ويحلون له مشكلة الزواج والسكن والعمل .. كان من الطبيعى أن ينجذب إلى هذه الجماعات ، ويبدأ بالبداية الطبيعية فيها وهى اعتناق أفكارها ، وقراءة كتبها.

✿✿✿

وأصبحت للجماعات مناهج دراسية مقسمة إلى مراحل .. لكل مرحلة هدف يصل إليه الشاب فيفقد جزءًا من عقله الحر، ومن إرادته الواعية، ومن قدرته على التمييز بين الصواب والخطأ .. مناهج أقرب إلى مناهج «غسيل المخ» التى تتبعها الأجهزة والمنظمات السريَّة فى كل أنحاء

العالم .. ولكل مرحلة كتب تجيب عن تساؤلات الشباب الحائر القلق ، الذى يبحث دائما .. ويعذبه الشك والتردد .. ويحتاج إلى من يأخذ بيده ويهديه الطريق..

هؤلاء الشبان لم يجدوا من يرشدهم فى البيت ولا فى المدرسة .. ولا فى ناد أو مركز للشباب .. ووجدوه حاضرًا دائما فى مسجد بعيد ، ولكنه ليس خافيًا عن العيون .. مسجد لا تدخله وزارة الأوقاف ولا تفكر فى أن تدخله، كما لا تستطيع إغلاقه .. مساجد كثيرة تحولت علنًا إلى مدارس للفكر الإرهابى المنظم ، والمناهج والكتب جاهزة ، والمعلمون جاهزون..

ولم يكن ذلك خافيًا .. ولا حدث تحت الأرض ..

حسن الظن جعل كثيرًا من المسئولين وغير المسئولين يتصورون أن هذه ظاهرة صحية .. وأن هؤلاء فتية آمنوا بربهم ، اجتمعوا على الخير وعلى محبة الإسلام ، ومن حقهم أن نتركهم لعباداتهم ونحمد لهم أنهم يستثمرون فراغهم فيما يفيد بدلا من أن يهدروه فيما يضر ! وكان هذا هو الوهم!

✿✿✿

هل كنا نحتاج إلى عادل عبد الباقى – الإرهابى التائب – لكى يظهر على شاشة التليفزيون .. وليعلمنا ما لم نكن نعلم؟

وهل كنا نحتاج إلى شاهد من داخل هذه الجماعات ليؤكد لنا ما كنا نعرفه ، ونراه ، ونلاحظه ، ولا يخفى على أحد فى الشارع؟ الجميع يعرفون مواقع المساجد التى تحولت إلى بؤر لتعليم وتفريخ الإرهابيين الجدد.. ويسمعون شرائط الكاسيت التى تردد بأعلى صوت أن الحكومة كافرة .. والمجتمع كله كافر .. والخروج عليهم وقتالهم واجب .. وقتل المسلمين الموحدين الآمنين جهاد فى سبيل الله وفريضة على كل مسلم ومسلمة ! ألم نسمع هذه الشرائط فى المقاهى ، والميكروباصات ،

والتاكسيات؟ ألم نشاهد مئات من الأكشاك فى أكبر الميادين فى القاهرة وجميع المحافظات تبيع هذه الشرائط بالآلاف؟ وبعض المتحدثين فى هذه الشرائط معروفون، وبعضهم الآخر مجهولون ، ومنهم من يتحدث بلهجة غير مصرية ، أو بلكنة غير عربية، ولكن لم يلفت الأنظار ..كما لم يلفت الأنظار أن هذه الشرائط تباع بسعر أقل من التكلفة .. وأكثرها يوزع مجانًا من «الإخوة» القدامى إلى «الإخوة» الجدد!

❁❁❁

وهل كان يجب أن ننتظر عادل عبد الباقى ليدّلنا على أن هناك من يبعث بالتبرعات للجماعات تحت ستار أنها من أجل بناء المساجد ، أو من أجل الإنفاق على الدعوة الإسلامية ، أو من أجل مساعدة العاملين فى مجالات الهداية والإرشاد الإسلامى؟

كنا نعرف قبل عادل عبد الباقى .. بدليل أنه ظهرت منذ سنوات فكرة إصدار قانون أو قرار يحظر تلقى مساعدات بغير الطريق الرسمى المعلن ، وعن طريق البنوك ، وموجه إلى الأزهر باعتباره القلعة للدعوة الإسلامية ، والحصن الأكبر للدعاة إلى الله عن بصيرة .. ومجمع رجال الشريعة والفقه وأصول الدين واللغة العربية وعلوم القرآن والحديث .. ولكن الفكرة ضاعت ولا أحد يعرف أين!

❁❁❁

هل كنا نحتاج إلى عادل عبد الباقى لكى نعرف من أين تستمد هذه الجماعات الفكر الذى يؤدى بها إلى تكفير المجتمع ، واستحلال أموال وأعراض وأرواح الناس التى حرمها الله؟

ألم نكن نعلم أن منهج هذه الجماعات يشمل كتبًا على الأرصفة مثل الجزء الـ ٢٨ من كتاب «الفتاوى لابن تيمية» وكتاب «المصطلحات

الأربعة» لأبى الأعلى المودودى.. الذى يدور حول فكرة محورية .. هى أن كل الأنظمة على الأرض كافرة . ولابد أن يعلن المسلمون الحرب عليها ، وقتالها مشروع بل واجب على كل مسلم ومسلمة (!) أو كتاب (المبادىء الجديرة بالإذاعة) الذى يصل بقارئه إلى الإيمان بأن هذا المجتمع كافر ، وواجب المسلمين تغييره بالقوة .. أو كتاب «معالم على الطريق» الذى كان منهج جماعة ويوزع منذ سنوات بقروش زهيدة على أبواب المساجد والقرى، ومجانًا على الطلبة ليزرع فى عقولهم فكرة أن هذا المجتمع هو مجتمع الجاهلية الأولى ، وإعلان الحرب عليه واجب؟!

وهل كنا نجهل ما قاله عادل عبد الباقى من أنَّ هذه الجماعات تلوى النصوص، بخاصة أقوال علماء كانت آراؤهم وليدة ظروف خاصة ، مثل ابن القيِّم وابن تيمية وابن حزم ، ويخرجون هذه النصوص من سياقها ، ويوظفونها لأغراض لم تكن على بال مؤلفيها ، ولا تنطبق على مجتمعنا ؟ الشباب صغير السن ومحدود التجربة والثقافة لا يعرف أنَّ الرأى مرتبط بالظروف ومعبر عنها .. وأن الفتوى ترتبط بالمصالح والضرورات فى عصرها.. وما يفتى به عصر أو فى بلد قد لا يفتى به فى عصر آخر أو بلد آخر ، بدليل أنَّ الإمام الشافعى رضى الله عنه غير آراءه وأعاد بناء فقهه من جديد عندما انتقل إلى مصر .. ولا يعرف الشباب أن ما يفتى به فى حال يسار الناس لا يفتى به فى حال عسرهم .. وأن ما يفتى به فى حال صلاح أخلاق الناس لا يفتى به فى حال فسادهم .. وهكذا.

❁❁❁

وهل كنا نحتاج لعادل عبد الباقى لنعرف أفكار الإرهابيين بينما هذه الأفكار معلنة ومنشورة حتى فى الصحف الكبرى ؟ حيث يردد من تسميهم هذه الصحف الكتاب الإسلاميين .. أن الحكومة تطارد الإسلاميين وتساند «العلمانيين» وأنها تعتقل من يدعو إلى الإصلاح وتترك الفساد

والمفسدين (!) وأن الحرام منتشر .. السينما حرام .. والمسرح .. والتليفزيون .. والموسيقى .. والغناء.. وكل مظاهر الحضارة والحياة الحديثة حرام ، أما المرأة فلها وضع خاص جدًا .. هى سلعة مسلوبة الرأى والإرادة .. كل ما فيها عورة وحرام .. وتعليمها مفسدة .. ومصافحتها إثم.. ووجهها يثير الشهوة .. وتعاملها مع الرجال ولو فى دور العلم والعمل حرام.. وهذا الكلام يتردد فى صحف تصدر فى النهار ، تباع على الأرصفة .. وتجد من يصدقها ويظن أن كل ما هو مطبوع كلام صحيح.. وأصحابه لابد أن يكونوا علماء أو عالمين بالحقائق!

❁❁❁

أليس فى الكتب ، بل فى الصحف حملات شعواء باسم الشريعة تردد أنَّ تنظيم الأسرة كفر .. ويرفض أصحابها حتى مناقشة الأحاديث الصحيحة والتفسيرات التى يستند إليها القانون بالحل، ويرفضون حتى رأى الإمام أبى حامد الغزالى القائل بأنه حلال .. ويكتفى الكتاب الإسلاميون بوصف كل من يفتى بأنه تنظيم الأسرة حلال فى حالات كذا وكذا بأنَّه من (علماء السلطة) .. ونفس الموقف مع شهادات الاستثمار .. والاستثمار فى البنوك .. والتأمين على الحياة .. وسندات الخزانة .. والسياحة وأخيرًا الديمقراطية حرام؟

الحياة كلها حرام فى حرام

أى فكر إسلامى هذا الذى تنشره الصحف؟

ثم نندهش عندما يصل أعضاء الجماعات إلى القول بأن إدخال الأطفال المدارس كفر .. وقد أفتى عندنا من قال إن إنقاذ حياة مريض بنقل كلى أو بإدخاله غرفة الإنعاش حرام!

أيها الإسلام .. كم من الجرائم ترتكب باسمك ؟!

وخلال السنوات الماضية لم أكن أقابل مسئولاً أو غير مسئول إلاَّ أسـأله: ألم تلاحظ أن خطبة الجمعة فى كثير من المساجد أصبحت تحريضا صريحا ضد نظام الحكم؟ ومعظم من سألتهم أجابنى بأنـه يلاحـظ ذلـك كـل صـلاة جمعة .. ويضيف تجارب مريرة مع خطباء فى مساجد تمتلىء بالمصلين فى أنحاء متفرقة من البلاد.

منابر المساجد أصبحت مستباحة للأدعياء ، وأنصاف العلمـاء ، والفكـر الإرهابى أيضا.. ولكل واحد فى مصر الحق فى أن يعتلى المنبر يوم الجمعة ويقول ما يشاء.. والناس تسمع وتصدق وتظن أن الخطيـب عـالم مـن علمـاء الشرع وعليم بحقائق الإسـلام ومتخصـص .. وهـذا لا يحـدث فـى أى بلـد إسلامى..

ولا يدخل ذلك فى باب الحريات وممارسة الديمقراطية..

ولكنه يدخل فى باب الفوضى الدينية والفكرية والسماح بإحداث فتنـة بين المسلمين.

وحجة المسئولين أن مصر فيها أكثر من أربعين ألف مسجد وزاوية ، ولا تستطيع الأوقاف تزويدها بأئمة.. مع أن هناك بـلادًا إسـلامية حلـت هـذه المشكلة بالطريق الشرعى الذى يحمى المجتمـع والإسـلام .. فقـد وضعـت تفرقة بين «المسجد» و «الجامع». المسجد للصلاة فـى كـل الأوقـات ، أمـا الجامع فهو الذى تقام فيه الصلوات الجامعة سواء يوم الجمعة أو الأعياد.. والأساس الفقهى أنّ صلاة العيد يفضل أن تكون فى الخلاء أو فى الجوامـع الكبرى ليحتشد فيها أكبر عدد من المسـلمين ويشـعروا بـالقوة والتقـارب .. كما يحدث فى عرفـات ومناسـك الحـج أو فـى الحـرم الشـريف .. كذلـك الجمعة . لا يصح أن يتفرق فيها المسلمون فى مساجد صغـيرة يصلـى فيـها عشرات أو مئات ، ولكن عليهم أن يتجمعوا فى الجامع الكبير فـى الحـى

ليستمعوا معا إلى خطيب من كبار العلماء له قيمته العلمية فتتحقق الحكمة من هذه الصلاة الجامعة.

لو فعلنا ذلك فإننا نسير مع جوهر الإسلام .. دفع الضرر عن الشباب.. وجلب المنفعة وهى الاستماع إلى ما ينفع المسلمين ويرشدهم إل ما فيه صلاح دينهم ودنياهم .. ويحميهم من الوقوع فى مصيدة الإرهاب دون أن يقصدوا ودون أن يشعروا.

هل كان لابد أن يأتى عادل عبد الباقى - الإرهابى التائب - ليعلمنا من خلال حديثه فى التليفزيون أن الفكر أقوى من الرصاص .. وأن إغلاق المسجد أفضل من فتحه لنشر الفكر المنحرف وتخريج أجيال جديدة من الإرهابيين؟

ومع ذلك فقد قال لنا عادل عبد الباقى ذلك بصراحة ووضوح ، فهل نتحرك الآن ونتخذ إجراء .. أو نسوف إلى أن يزداد الخطر؟

❁❁❁

وفى كتاب جديد بعنوان «التطرف والإرهاب محنة العالم الإسلامى دينيًا وسياسيا واجتماعيا» شهادة مهمة يقول فيها مؤلفه الدكتور أحمد شوقى الفنجرى إنه كان واقفا فى إحدى المكتبات ، فلفت نظره ثلاثة شبان لا تتجاوز أعمارهم السابعة عشرة ، يلتقطون الكتب الدينية ، ولأنه يؤمن بأنه إذا أردت أن تعرف خلق إنسان وتفكيره فلتعرف ماذا يقرأ ، تفحص الكتب التى اشتروها فوجدها مستوردة من أحد البلاد العربية الإسلامية ، وقد طبعت طباعة أنيقة ، وعلى حساب أفراد أو جمعيات خيرية ، وتباع بسعر يقل كثيرًا عن تكلفة طباعتها، وعناوين بعضها: «تحريم النظر إلى المرأة» وإثم مصافحة المرأة ، و«لزوم النقاب» و «تحريم السماع» أى سماع الموسيقى والغناء .. وهكذا..

وليس هذا غريبا ! فقد شاهدت هـذه الظـاهرة كثـيرًا جـدًا ، ومـا زلـت أشاهدها كل يوم تقريبا ، وأرى أكثر الكتـب رواجًـا بعنـوان «حكـم إطـلاق اللحية» ، «الشرك الصريح والشرك الخفى» و «المجتمع الكـافر» و«الحكـم بالإسـلام» و «حتميـة المواجهـة» و «تحقيـق التوحيـد بقتـال الطواغيـت» وعشرات العشرات من الكتب ، كل من يريد أن يقرأها لا يكلفه ذلـك مـالاً كثيرًا .. وهى متاحة بالآلاف فى المكتبات وأمام المساجد وفـى الأكشـاك .. فى كل مكان وفى كل وقت تقريبا.

ألا يدعونـا ذلـك إلى أن نطلـب تحـرك كـل الأجـــهزة ، والمؤسســات، والجامعات؟

التليفزيون قام ويقوم بواجبه .. ولكن التليفزيون وحـده لا يكفـى .. لقـد نبـهنا .. ومـا زال يقـوم بـدوره فـى الإرشـاد وتوضيـح حقـائق الإسـلام .. ويتحمل ما يوجه إليه من سـهام «الكتـاب الإسـلاميين» .. ولكـن لابـد أن يتحرك الجميع معه.

❁❁❁

من يوقظ هذا الشـباب المضلـل ، الواقـع تحـت تأثـير مخـدرات فكريـة غريبة عن الإسلام ، ولكنها ينطبق عليها الوصف الشائع بأنها «السـم فـى العسل» ؟

هل فهمنا ما قاله عادل عبد الباقى مـن أن الجماعـات لديـها علـى كـل سؤال كتاب؟ ومعنـى ذلـك أن الكتـب كثـيرة .. ومتنوعـة .. ومعـدة بدقـة لأهداف معينة.. وفى النهاية يتحول الشاب إلى لص ومجـرم وخـارج علـى القانون وهو يظن أنه مجـاهد فـى سـبيل الله وأن مصيره الجنـة ، دون أن يسأل هل من أخلاق الدعاة استخدام القتل غدرا واستباحة الأرواح والأموال والأعراض سواء كانت لمسلمين أو لغير مسلمين؟ وهل سيقوم الإسلام ويرتفع بتفجير مقهى ، أو بنك ، أو إطلاق النار هنا أو هناك؟

هل هذا هو الإسلام ؟ وهل هـذه أخـلاق الدعـاة إليـه ؟ وهـل هـذه هـى وسيلة الإسلام لإقامة المجتمع الفاضل؟

❁❁❁

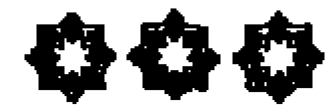
السؤال الأول – قبل كـل الأسـئلة – هـل يمكـن أن تظـل كتـب أصـول الإرهاب على الأرصفة ، ولا يتاح للشباب حتى من خلال مكتبات عامة أو فـى المـدارس والجامعـات الكتـب الدينيـة التـى تشـرح الإسـلام بمفاهيمـه الحقيقية؟ وهل تظل لفقهاء الإرهاب ساحة واسعة للتحرك ، ويظـل فقـهاء الأزهر – قلعـة الإسـلام الصحيـح – مقيـدى الحركـة بإمكانـات محـدودة، وبهجوم عليه من جهات عديدة منظمة خارجية وداخلية؟

الأزهر هو الـذى يسـتطيع أن يحـارب كـل فكـر منحـرف وضـال باسـم الإسلام.. ويشكف زيفه .

ولذلك أقول بأعلى صوت : هذا هو الوقت لكي يعـود الأزهـر إلى مكانـه في القيادة ، ويرتفع وضعه فى المجتمع ، ونلتف حوله ، ونقدم له الـرأى من منطلق الحرص عليه ومساندته..

فكـر أئمـة الاعتـدال هـو أملنـا : شـيخ الأزهـر .. والمفتـى .. والشـيخ الشعراوى.. والشيخ الغزالى .. ومئات .. بـل آلاف مـن شـيوخنا الكبـار .. وهم أعلام ومنارات للهداية..

الآن لابد أن يختفى الفكر الضال من الساحة لتخلو للفكر الرشيد.



مؤامرة على الديمقراطية !

تاريخ الديمقراطية - فى العالم كله - هو تاريخ الصراع المرير بين أنصار الحريات وأعدائها.. فالحريات لها أنصار ترتبط مصالحهم بوجودها، ويحتاجون إليها لكى يحققوا التقدم لأنفسهم ولمجتمعهم، ولا تتعارض أهدافهم - العامة والخاصة - مع الحريات بأى شكل، بل على العكس، فإن أهدافهم لا يمكن تحقيقها إلا فى ظل الحريات. أما أعداء الحريات فلا تظن أنهم قلة.. إنهم كثيرون.. الحرية تضرهم ولا تنفعهم.. تسىء إليهم ولا تفيدهم.. تسمح بكشف ما يحرصون على بقائه مستورا وخفيا عن العيون..

الحرية ضوء كشاف.. يضىء الطريق.. يجعل كل شىء ظاهرًا وواضحًا ومكشوفًا ولا تخطئه العيون.. وهناك من يرتاح فى حياة النور لأنه ليس لديه ما يخفيه أو ما يحرص على إبقائه بعيدًا عن مجال الرؤية.. كما أن هناك من تعشى عيناه من النور.. ولا يستطيع أن يعيش تحت أشعة الشمس طويلاً.. ولا يستطيع أن يحقق أهدافه إلا فى الظلام، وفى الخفاء، وبعيدًا عن العيون.

أنصار الحريات يحرصون عليها، ويمارسونها وفقًا لقواعد اللعبة الديمقراطية السليمة.. وأعداء الحرية يريدون القضاء عليها، ويحاربونها ليلاً ونهارًا حربًا مستمرة.. حربًا شعواء.. بكل سلاح.. ولكنهم لا يسفرون عن وجوههم.. لأن أحدًا لا يستطيع أن يقول أنا عدو الحرية.. أو إن الحرية ضد مصالحى وأهدافى وتطلعاتى.. فالجميع يهتفون للحرية ولكن أعداء الحرية يرفعون أعلامها دائما، ويرددون شعاراتها بحماسة تفوق

حماسة أنصارها، ويعملون على تخريبها والإساءة إليها باسمها.. ومن داخلها.. وتحت شعارها.. وهذه هى «المؤامرة» التى تحتاج إلى وعى شديد لاكتشافها ووقف مفعولها!.

هل نقترب أكثر من الموضوع.. ونشير بالتحديد إلى أعداء الحرية ؟ من هم ؟

❁❁❁

انظر حولك.. فى ساحة العمل الحزبى والصحفى والنقابى..

هناك من يحاول أن يوهمنا أن الخطر على الحريات يأتى دائما من السلطة.. من الحكومة وأجهزتها.. وليس هناك خطر يمكن أن يهدد الحرية من أى جهة أخرى. وهذا تبسيط مخل بالقضية؛ لأنه يعلن نصف الحقيقة، ويخفى نصفها الآخر فالعدوان على الحريات يمكن أن يأتى من السلطة، ويمكن أيضًا أن يأتى من أفراد.. أو حزب.. أو أحزاب.. أو قوة من القوى الاجتماعية.. أو من مجموعة من الناس.

أى أن أعداء الحرية من الممكن أن يكونوا فى السلطة.. ومن الممكن أن يكونوا خارج السلطة، ولكنهم يريدونها.. ويطمعون فيها.. ويريدون الانقضاض عليها.. وتختلف نوايا وأهداف أعداء الحرية من بلد لآخر، ومن زمان لآخر. ومن ظرف لآخر.

فى مجتمعنا - على سبيل المثال - مجموعة، أو مجموعات، تريد أن تفرض وجودها بالإرهاب، وبقوة السلاح، وبنشر الذعر بين الناس.. قنبلة تنفجر فى شارع.. أو فى بنك.. أو سيارة واقفة على الرصيف.. رجل تغتاله رصاصات غادرة مجهولة.. والهدف هو أن يصمت الجميع.. يتوقف الحوار فى المجتمع.. يشعر الجميع أن المجتمع مهدد بخطر أكبر، وتنشأ حالة استثنائية، تتوقف فيها الحياة الديمقراطية وتنتهى مرحلة تعدد الاجتهادات والآراء.. وتصاب العقول بالشلل والعجز عن التفكير.. وفى ظل

حالة الخوف يكون بعض أفراد المجتمع من ضعاف الإرادة مهيأ لتقبل فكرة الاستسلام للإرهاب والإرهابيين.. باعتبارهم مصدر الرعب والخوف.

ولو أن مناخ الحريات استمر فسوف تكون النتيجة أن ينكشف الإرهاب.. وتظهر نواياه.. ويتعمق شعور العداوة والكراهية الشعبية لكل من يمت للإرهاب والإرهابيين بصلة.. لأن مناخ الحرية معناه أن تعمل العقول.. وتحتك شرارات الفكر.. وتظهر أفكار جديدة.. بناءة وتقدمية.. تدعو الناس إلى المقاومة والصمود أمام هذا الخطر الطائش المدعوم والممول من أعداء كثيرين في الخارج والداخل.. بعضهم نعرفه الآن.. وبعضهم سوف نعرفه غدا..

المهم أن الإرهاب ليس من مصلحته أن تكون في البلد حريات أو ديمقراطية، لأنه قائم على مبدأ البطش، ومنطق القوة، وقانون الغاب.. ويريد أن يفرض ذلك على البلد كله.. يريد أن يطفيء كل الأنوار لكي تظهر خفافيش الظلام التي لا تتحرك إلا في الظلام. وهذا ما نقصده حين نقول إن هناك قوى شرعية تتحرك وتعمل وتمارس حرية الرأى علنا.. وفي الضوء.. وفي الساحة الواسعة أمام الجميع.. وهناك قوى غير شرعية تريد مساحة الظلام ليزداد مجال حركتها.. وتسيطر أكثر.. وتستغل الحرية للقضاء على الحرية.. تستخدم الحرية لإفساد الجو الديمقراطي.. والأمثلة كثيرة في الجزائر وتونس ودول أخرى في الشرق والغرب. والإرهاب ليس وحده.

الإرهابيون يمسكون البنادق الآلية والمفرقعات.. ولكن هناك.. وراءهم.. سندًا من الفكر الذي يفلسف الإرهاب، ويقدم له التبرير العقلي.. ويضعه في قالب مقبول من المنطق المغلوط.. ويدس السم في العسل.. قد يكون هذا العسل نظرية سياسية.. أو دعوة اجتماعية.. أو شعارًا عامًا وغامضًا وهلاميًا له جاذبية وليس له قوام محدد تمكن مناقشته.. مثل «إقامة الشريعة

الإسلامية» أو غيره.. المهم أن كل إرهاب لا يمكن أن يعيش وحـده. ولكن لابد أن يستند إلى مجموعة أفكار تجعل من يحمل السلاح يتصـور بـالوهم، أو يحاول أن يصور للآخرين بالمكابرة، لأنه بطل.. أو أنه صاحب قضيـة.. أو أنه شهيد!.

من هنا نقول إن الفكر أكثر خطورة من الرصاص والقنابل. لأن الفكر هـو الذى يقنع الشاب الذى يقع ضحية للضلال بأنه بطل يجاهد فى سبيل الله وله إحدى الحسنيين: الشهادة أو النصر! وبالفكر يصبح الشـاب لعبـة فـى يد اللاعبين الحقيقيين الذين يعملون ويحركون الخيوط فى الخفاء..

ولو نظرنا إلى واقع الأمر فسوف نكتشف أن هناك «مجموعـات لعمليـات الإرهاب، ومجموعات أخرى مساندة له بـالفكر المؤيـد والممـهد للإرهـاب.. الأولى تقوم بعملياتها فى الخفاء.. فى السر.. فى الظلام.. أما الثانيـة فـهى تعمل فى العلن.. فى النور.. مستغلة مناخ الحريـات.. فيعلنـون أفكـارهم، ومبادئهم مغلفة فى غلاف جذَّاب من المبـادئ الإسـلامية.. فـإذا ظـهر مـن يقف معهم موقف الاختلاف أو المعارضة.. صاحوا جميعا فى وجهه.. أنت عدو الإسلام.. عـدو الشـريعة.. عـدو الله.. ثـم تظـهر منـهم فئـة أخـرى.. تستخدم لغة أخرى.. من بـاب توزيـع الأدوار.. لتقـول بقـوة.. أنـت عـدو للحرية.. وللديمقراطية.. أنت تحارب الرأى الآخر. أنت ضد التعددية، ثم يستخدمون آخر شعار وهو «حقوق الإنسان» وما أكثر من يتصيدون فى هـذا المجال ويتكسبون منه!.

الإرهاب إذن يطالب بحرية القتل والاغتيال!.

وفكر الإرهاب يطالب بحرية نشر المبادئ والنظريـات التـى تـبرر القتـل وتساند الاغتيال.

توزيع للأدوار لا يخفى على أحد.

لعمليات الإرهاب ناس.. ولإدارة فكر الإرهاب ناس آخرون..

عمليات الإرهاب لها تنظيمات.. وقيادة.. ومصادر تمويل.. وتسليح.. وعقول تخطط.. وتنظم.. وتدبر..

وفكر الإرهاب له مجموعات بينها تنسيق.. وتبادل معلومات.. وتداول أفكار.. وكتب.. وشخصيات محورية.. ومفكرون كبار وصغار.. وكتاب مشهورون ومغمورون.. ومتحدثون في كل ندوة وكل مؤتمر وكل اجتماع!.

الفارق أنّ مفكري الإرهاب بكل ثبات يقفون أمام الجميع على أنهم أصحاب حق في أن يفرضوا وينشروا فكر الإرهاب.. والادّعاء بأنّهم الوحيدون الذين يمسكون بالحق والحقيقة.. وكل من ليس معهم فهو في ضلال مبين.. وعدو الله وشريعته.. ولجبريل والملائكة أجمعين!.

❁❁❁

لكن الإرهاب له وجه آخر.

فالممارسة الديمقراطية لها قواعد وأصول.. أعلن رأيك.. قل كلمتك.. أعط صوتك في الانتخابات لمن تريد.. أنت حر.. ولكن ليست هناك حريات مطلقة بغير حدود.. وإلا أصبحت فوضى.. وتحول المجتمع إلى غابة.. البقاء فيها للأقوى وليس لصاحب الحق، إن وسيلة التعبير هي الفرق بين الحريات والفوضى، وبين المجتمع المتحضر والغابة.

فإذا كان مجتمع مثل مجتمعنا يمر بمرحلة دقيقة، يواجه فيها الإرهاب.. والإرهاب يترصد بنا.. ويمكن أن ينتهز أي فرصة ليطلق رصاصات وقنابل الغدر.. فهل يكون مناسبا في هذه الظروف أن تخرج مظاهرات.. وأن يأتي من يثيرون مشاعر وانفعالات فئة تحظى باحترام المجتمع – مثل المحامين – لكي تملأ الشوارع.. وتعطي فرصة للإرهاب.. وأعوانه.. وأسياده.. وقادته.. وللأصابع الخفية، لكي تتحرك؟.

لمصلحة من ؟.

خذوا مثلاً ما حدث فى نقابة المحامين.

محام تم القبض عليه، لأنّ أجهزة الأمن كان لديها أسباب لذلك، ومارست حقها القانونى فى استجوابه.. المحامى داهمته أزمة ربو شديدة فلفظ أنفاسه بعد محاولات طبية لإنقاذه.. تصور بعض زملائه - من أصحاب النوايا الحسنة أو السيئة.

- أنه مات من التعذيب.

أليست هذه هى القصة؟.

كان هناك طريقان للتصرف: طريق القانون والشرعية.. وطريق الفوضى والعدوان وإثارة المشاعر وإعطاء المفسدين فرصة لكى يعيثوا فسادًا.

بالطريق الأول كان يستطيع كل من لديه شك فى سبب الوفاة أن يتقدم ببلاغ إلى النيابة ويطلب التحقيق، وإعادة تشريح الجثة لبيان سبب الوفاة.. ورفع دعوى جنائية ومدنية على من يتصور أنه المتسبب.. بالقصد أو بالإهمال.. وهذا هو طريق الشرعية، والقانون، الذى يليق بأصحاب الرأى.. الحريصين على الحريات.. المدافعين عن الحقوق.. المطالبين بأن تكون حقوق الناس مصونة بالقانون وليس بالقوة.. بالمحاكم وليس بالذراع! خصوصا أن الجميع يعلمون أن فى الدستور نصًا على ألاّ تسقط جرائم التعذيب بالتقادم مهما مرّت السنون.

هناك حقائق أعلنتها جهات التحقيق، وكانت كلها أمام الذين دعوا إلى التجمهر والتظاهر.. ونشر الفوضى فى الشوارع، من هذه الحقائق أنّ المحامى كان متهمًا فى قضية تحمل رقم ٢٣٥ لسنة ٩٤ حصر أمن الدولة العليا.. وأن القبض عليه وتفتيش منزله كانا بإذن من النيابة المختصة.. وأنه عندما أصيب بحالة ضيق فى التنفس وتشنج تم نقله على الفور إلى مستشفى المنيل الجامعى، وأجريت له الإسعافات الأولية، وتم إدخاله

المستشفى للعلاج، وجاء فى أوراق المستشفى أنـه كـان مصابًـا بأزمـة حـادة توفى بسببها «فى المستشفى وليس فـى أى جهـة أخـرى كمـا قيـل كذبًـا» وهذا ثابت فى أوراق المستشفى وجـهات التحقيـق فـى حينـه، وجـاء فـى تشخيص سبب الوفاة أنَّه كان نتيجة: «هبوط حـاد فـى الـدورة التنفسـية، وفشل فى وظائف الرئة نتيجة أزمة الربـو الحـادة، وخلـو الجثَّـة مـن أيـة إصابات ظاهرة وانتقلت النيابة إلى المستشفى، واتخذت إجراءاتها المعتادة، وانتدبت الطبيب الشرعى لتشريح الجثة، وجاء فى تقرير الطبيب الشـرعى أنَّ سبب الوفاة مطابق لتقرير المستشفى، فصرحت النيابة بدفن الجثة.

كـل هـذه المعلومـات كـانت معروفـة لكـل الذيـن تجمعـوا فـى النقابـة، وحاولوا افتعال أزمة كبرى، ونشروا أقاويل أثـارت مشـاعر زملائـهم، كـان أبسطها أنَّ المحامى «شهيد» استشهد من التعذيـب! ولا أحـد يعـرف مـن أين جاءت هذه المعلومة، ولا الدليل الذى استندت إليه؟ ولا كيف يمكن أن يصدق أهل المنطق والدليل والقانون قولاً مرسلاً بغير أدلة، ولا قرائـن؟ وقـد قيل إنه مات فى مقر أمن الدولة مـع أنـه مـات فـى المستشـفى ولم يدخـل مبنى أمن الدولة أصلاً..! وهم يعرفون ذلك أكثر مما يعرفه غيرهم..!.

فكـروا بـهدوء، وقولـوا لنـا: مـن الـذى يسـتفيد مـن افتعـال أزمـة بـين الحكومة – أو النظام – والمحامين، أو غيرهم من الفئات؟.

من المستفيد إذا خرج عشرات المحامين من النقابة ثم اندس فى صفوفهم مجموعة من اللصوص، أو الإرهابيين، أو المخربين، ووجـدوا فرصتـهم فـى وسط البلد؟..

❁❁❁

هناك نظرية خبيثة لأعداء الحرية.. نظرية قديمة كان يعلمها الماركسيون لصبيانـهم، وكـان هـؤلاء الصبيـة ينفذونـها بكـل دقـة وبراعـة، وبعـد أن

اندحرت الماركسية بقيت النظرية ليلعب بها، وينفذها بدقة، كل من يسعى إلى التخريب وإشاعة الفوضى في بلد من البلاد.

ملخص النظرية هي: اكذب.. اكذب.. اكذب بقوة.. كرِّر الكذب آلاف المرات.. كلما حاول الآخرون كشف كذبك فلابد أن يجدوا منك إصرارًا وتمسكًا بالكذب.. وقوة وصلابة في الدفاع عنه.. قوتك في الدفاع عن الكذب ستجعل السذج يتصورون أنَّك صاحب قضية عادلة وأنك على حق.. هذه هي **الخطوة الأولى** لتكسب السذج وأصحاب القلوب الطيبة وهم ليسوا قلة..

الخطوة الثانية: افتعل معركة.. عجِّل بالصدام.. لا بأس أن تكون ضحية.. أو تظهر أمام الناس كأنك ضحية.. منظر تجمع البوليس سيكون دليلا على أنَّ البوليس هو المعتدى.. الناس ليس لديها وقت ولا صبر لتدقق في معرفة من البادئ؟ هل مجموعة المشاغبين هي التي ضربت البوليس أولاً.. أو أنَّ البوليس هو الذى منعهم من التعبير عن رأيهم؟ ثم هناك أجهزة إعلام غريبة يسرُّها أن تسيء إلى مصر وأهلها فلا تتردد في إعطاء أجهزة الإعلام الغربية فرصة للإساءة إلى مصر..

فهذا يخدم أيضا أهداف الإرهاب والإرهابيين.. من يمسك منهم بالقنابل ومن يردد الفكر على السواء.. كن في خدمة أهداف الإرهاب بطريق مباشر وبطريق غير مباشر.. فلكل طريق أجره!.

الخطوة الثالثة: استمر في التحرش بالبوليس.. لابد من المبالغة في الظهور بمظهر الشهيد.. المعتدى عليه.. هذا يثير المشاعر لصالحك وضد البوليس.. الناس عادة لا تصدق أنَّ البوليس ليس معتديا.. الناس في الشارع تتعاطف مع اللص عندما ترى رجل الشرطة يمسكه ويضع يديه في «الكلبشات».. وتتعاطف مع القاتل السفاح عندما يصدر عليه الحكم العادل بالإعدام.. ويصرخ وهو في القفص الحديدى: أنا مظلوم!..

هذه النظرية المتكاملة مازالت موجودة رغم اختفاء لأصحابها الأوائل.. ولها أنصار مخلصون.. وهى تعتمد على بعض نظريات علم النفس وسيكولوجية الجماعات.

ولكن الناس أصبحت أكثر ذكاءً ووعيًا.. وأصبحت تفكر وتقارن وتستخدم عقولها، وتطرح أسئلة لكى تصل إلى الحقيقة.

✿✿✿

نفس النظرية وجدت من يطبقها، فى نفس الوقت تقريبا، بمناسبة حل جمعية فى الإسكندرية.

أصدر المحافظ قرارًا بحل الجمعية وتعيين مجلس إدارة مؤقت.. وهذا إجراء قانونى يتبع مع جمعيات كثيرة. ولكن أصحاب نظرية استخدام الفوضى فى مواجهة النظام تجمعوا، وأثارروا بعض الناس الطيبين بحملة من الشائعات والأكاذيب.. وفى الزحام تحركت بعض الأيدى الخفية لتحويل الموقف إلى فوضى، وكان طبيعيًا، وضروريًا، أن تتحرك أجهزة الأمن.. وظهر أصحاب النظرية إياها ليتحدثوا عن القمع و.. و.. ولو أنَّ الأمور سارت بالقانون لكان بيد من يريد أن يلجأ إلى القضاء ويختصم قرار حل الجمعية، فيحكم القضاء بما يتفق مع العدل والقانون، فيؤيد قرار الحل أو يحكم بإلغائه، وينتهى الأمر.

المسألة هى: هل نرتضى حكم القانون أو نريد نشر الفوضى؟

مهما حاول أصحاب نظرية نشر الفوضى أن يصوروا الأمور على غير حقيقتها فلابد أن يصلوا فى النهاية إلى حقيقة أن الشعب المصرى شعب متحضر.. لا يمكن أن يقبل الفوضى.. ولا الديماجوجية.. ولا العدوان على الشرعية.. ولا الخروج على القانون..

ونعود إلى الحديث عن أبعاد المؤامرة على الديمقراطية والحريات..

هناك فكر لا يصمد للحوار، ولا يتنفس فى جو الحريات، ولا يعيش فى ظل الديمقراطية.. فكر ينطوى على مغالطات، وأكاذيب، وتضليل، وتلاعب بالمعانى والكلمات والمشاعر.. فكر ينطوى على تناقض فى داخله.. وتناقض مع الواقع.. وينطوى أيضا على عداء للمستقبل. هذا الفكر من مصلحته خلق جو من الفوضى الفكرية.. وإشاعة التوتر فى المشاعر.. وإيجاد مناخ عاطفى يفسد ملكات العقل، ويعطل المنطق، ويحيل البشر إلى مجرد قطيع تحكمه الانفعالات، وينساق للشائعات والأقاويل والهمسات المسمومة.. وهذا موضوع كبير، فيه نظريات، وله فلاسفة، وكتب، وأساتذة كبار.. وهو اتجاه خطير.. بل شديد الخطورة على الشعوب.

❁❁❁

الديمقراطية معناها تعدد الاجتهادات السياسية والاجتماعية والفكرية.. من حقك أن يكون لك رأى خاص بك، وتعلنه.. وتجاهر به.. دون خوف، أو تردد.. ودون أن يحاسبك أحد.. لا عقاب.. ولا مصادرة.. ولا حجر.. ولا تخويف لأصحاب الرأى. وليس من حق المختلفين فى الرأى أن يمسك أحدهم للآخر سلاحا ليقتله أو يهدده.. الرأى لا يصح أن يقف أمامه وفى مواجهته إلا الرأى الآخر.. من صراع الآراء تتبلور الاتجاهات الصائبة، ويحقق المجتمع التقدم الذى ينشده.

ولكن أعداء الحرية والديمقراطية يحيكون مؤامرة يحتشدون فيها بكل قواهم وذكائهم وخبراتهم.. إنهم يثيرون الناس.. ويختلقون المعارك.. ويفتعلون مواقف يمكن فيها تحريك المشاعر وإصابة العقول بالشلل.. معارك هم أعلم الناس بأنهم ليسوا فيها على حق.. ولكنهم يراهنون على أنه بعد بدء أى معركة لن يستطيع أحد أن يعرف: من الذى بدأها؟ ولا من الظالم؟ ومن المظلوم؟ سوف يكون الأعلى صوتًا.. والأكثر صياحًا هو الأكثر سيطرة على ساحة المعركة.

لكن هذا ليس صحيحًا على إطلاقه .

لقد فعلها صدام حسين وفشل. وفعلها المعـارضون الماركسـيون فـى بـلاد كثيرة ونجحوا سنوات طويلة.. إلى أن أفاقت الشـعوب، فاكتشـفت متـأخرًا جدًا أنَّها كانت ضحية مؤامرة على حريتها. والآن يفعلها آخرون بشعارات إسلامية، وسوف ينكشف الزيف أيضًا ولو بعد حين!.

المؤامرة مهما غيرت الزى، والمظهر، والثوب الخـارجى.. النـاس سـوف تكتشف الحقيقـة.. وتعـرف أن الحريـة كقيمـة تسـتحق أن ندافـع عنـها، ونحرص عليها.. الحرية بمعناها الحقيقى وليس المزيف.. لصالح المجتمـع وليست ضده.

ولن ينخدع الناس بالمعارك المفتعلة.. والصخب المثار أثناء المعـارك.. لـن يضيع صوت العقل والمنطق.. ولن تتوه الحقيقة فى الزحام.

وتذكروا أن الماركسية قامت على كلمات حق يراد بها باطل.. وانتصرت ثم تهاوت.. وسقطت.. لأنَّ الحق لابد أن ينتصر. وهذا أعظم مثال قدمه لنا التاريخ.

وأعداء الحرية الجدد أيضا سوف يسقطون.. ويكشفهم النـاس.. وتعـرف حقيقتهم.. مهما حاولوا إخفاءها بالكلمات المعسولة.. والشعارات الجوفاء.

وسوف يسقط الإرهاب بكل أسلحته.

وينحسر فكر الإرهاب بكل نظرياته.

ولن تنجح المؤامرة على الحرية أبدًا.

سوف يذهب الزبد جفاء.. ولن يبقى إلاَّ ما ينفع الناس..

ذلك حكم الله.

ومن أعدل من الله حكما؟.

❁❁❁

استراتيجية الإرهاب !

أفادنا المؤتمر الدولى الكبير الذى عقد فى القاهرة ونظمته الأمم المتحدة عام ١٩٩٥ ، وشاركت فيه كل دول العالم بحثًا عن منع الجرائم الدولية الجديدة التى أصبحت تهدد الجميع ، ومن خلال المعلومات والآراء المتعددة التى تجمعت لأول مرة فى وقت واحد ومكان واحد .. ومن خلال تجمع كل هذا الحشد الذى لم يسبق له مثيل من علماء وخبراء الجريمة ومكافحتها والمسئولين الحكوميين فى مختلف المواقع.. استطعنا أن نصل إلى رؤية جديدة متكاملة للإرهاب كان بعض عناصرها معروفا لنا ، وكان بعضها الآخر ما زال فى مرحلة الشك والاختبار فأصبح فى مرحلة اليقين .

وبعد هذا المؤتمر ومناقشاته نستطيع أن نقول إن استراتيجية الإرهاب لها أبعاد كثيرة ومستويات ومراحل للتنفيذ .. ولها أهداف بعيدة ، وأهداف قريبة .. ولكن النقاط الأساسية التى أصبحت فوق كل شك هى :

أولاً : أنَّ الإرهاب الذى شهدت مصر موجة منه ليس منقطع الصلة بالإرهاب الذى يهدد أمن واستقرار دول كثيرة فى الشرق والغرب.. وأن هناك علاقات ، تبادل معلومات ، ومصادر تمويل ، وتسليح ، وتدريب ، وجسور اتصال دائمة بين الإرهاب فى مختلف دول العالم ، وهناك ما يمكن تسميته «القيادة الدولية للإرهاب» هى التى تضع الاستراتيجية والخطط، وتحدد الأدوار ، وتوزع المسئوليات وتشرف على تنفيذ ما تخطط له من عمليات .

ثانيًا : أن الإرهاب فى كل بلد يتخذ اللون الذى يناسبه .. فى اليابان يأخذ شكلاً روحيا غامضا ولكنه ينتهى إلى الدعوة إلى تدمير المجتمع

اليابانى القائم بما فيه من حضارة وإنجازات وتقدم علمى وتكنولوجى ، وتهديد القيادات وهز استقرار المجتمع كله . وفى الولايات المتحدة حيث الحريات مفلوتة بغير حدود فى شأن العقائد والأفكار الغريبة فإن الإرهاب يتخذ أكثر من لون .. عداء ضد السود .. عداء ضد الإسلام والمسلمين .. عداء ضد التقدم الحضارى والعلمى .. عداء ضد النظام الأمريكى كله.. وتهديدًا لكل مؤسسات الدولة .

ثالثًا : إن الإرهاب لا يمكن فهمه إلا فى ضوء فهم ما أصبح معروفًا الآن باسم «الجريمة عابرة القارات» حيث أصبح الإرهاب يخطط له فى بلد ، ويتم تدريب عناصره فى بلد ثان ، ويستمد مبرراته الفكرية والعقائدية من مفكرين من بلد ثالث ، ويصل إليه السلاح من بلد رابع ، وتتدفق عليه الأموال من بلد خامس ، ويتم تجنيده للدفاع عن الإرهاب بكل براعة المنطق وأساليب التجميل الخادعة لإظهاره بمظهر الحركة الإصلاحية التى تسعى إلى إحياء القيم النبيلة ، وإقامة حكم على أساس جديد من الطهارة والصلاح والتقوى هى أقرب إلى اليوتوبيا أو «المدينة الفاضلة» التى تحلم بها الإنسانية منذ عشرات القرون .

رابعًا : إن الإرهاب وإن كان يلبث ثوب العقيدة الدينية فى بعض البلاد ، فإنه لا يفعل ذلك إلا كوسيلة خداع استراتيجى ، إذا وجد أن العقيدة الدينية هى المدخل الوحيد الذى يمكن أن يفتح أمامه الطريق ،أو يعطيه الشرعية والمشروعية أما الأهداف الحقيقية ، فهى أهداف خفية ، لا تنكشف إلا فى الوقت المناسب ، حين يتحقق الهدف ، ويتم إصابة بلد ما بالتصدع ويصل إلى نقطة الانهيار السياسى .

خامسًا : إن هدف الوصول إلى نقطة الانهيار السياسى هو ما يسعى الإرهاب إليه بطرق متعددة ، أولها بإشاعة جو عام من القلق ، والتوتر ، واللا يقين ، وفقدان الثقة فى الحكم والحكام ، وثانيها بالاغتيالات ونشر

الخوف من ناحيته ، وثالثها باستخدام وسائل حـرب الشائعات والحـرب النفسية وهى وسائل سيكولوجية معروفة ولها مناهج وكتب وخبراء .

سادسًا : إن الإرهاب يعزف على كل الأوتـار فـى وقـت واحـد .. فـهو يحرِّك مشاعر القلق فى الحياة السياسية ويحرك اتجاهات الرفـض وتبـادل الاتهامات بالكفر والخروج عن الملّة فى الحياة الدينيـة ، ويشـجع تيـارات الرفض وعدم الانتماء فى الحياة الثقافية والاجتماعية ، لأن هذه التنويعات توصل فى النهاية إلى هدف واحد .

سابعًا : إن الإرهاب باعتباره أكبر تنظيم دولى عابر للقارات ، والصـورة المعاصرة للجريمة المنظمة ، أصبح مثل الأخطبوط لـه أيـاد كثـيرة ، ويعمـل فى أنشطة متعددة ، ولا يعلم قادة كل نشـاط حقيقـة الخيـوط غـير المرئيـة التى تربطـهم - دون أن يـدروا - بالأنشـطة الأخـرى .. فالإرهـاب الدينـى ليس إلا جناحًا من أجنحة الإرهـاب ، وكذلـك فـإن التجـارة الدوليـة فـى المخدرات والسلاح تمثل جناحًا ثانيًا ، ثم عصابات المافيا .

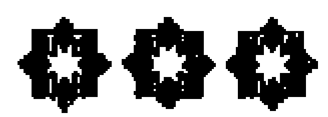
ويبدو أن التنظيم الـدولى للإرهـاب هـو حكومـة الظـل العالميـة ، أو هـو (هيئة الأمم) التى تعمـل فـى الخفـاء وتقـوم بدورهـا بـالتخطيط والتنسيق وقيادة العمل الإرهابى الدولى بصورة أقوى وأكثر تنظيمًـا وفاعليـة مـن الأمـم المتحدة ومنظماتها المتخصصة .

ولكن يبقى أن فى كل دولة ظروفا محلية خاصة بها ، تجعـل الشـباب فيها قابلاً للاسـتهواء والوقـوع فـى غوايـة الإرهـاب والانسـياق لمخططاتـه الشيطانية وهو مسـلوب الإرادة وهـذه هـى المسـألة الهامـة التـى يجـب ألا نغفلها لكى نحدد بالضبط لماذا يقع بعض شبابنا فى تيـار الجريمـة بشـكل عام .. سواء كانت جرائم المخدرات أو الجرائم الجنائية الأخـرى .. ولمـاذا يقع البعض الآخر فى تيار جريمة الإرهاب دون أن يكـون علـى وعـى وهـو

فى حالة أشبه بحالة التنويم المغناطيسى ، ويظل واقعًا تحت تأثير هذه الحالة بحيث يصعب إنقاذه منها .

لابد أن هناك أسبابًا لها خصوصية فى المجتمع المصرى الآن تساعد على إفراز هذه الظاهرة ولقد اجتهدنا طويلاً فى محاولات تحديد هذه الأسباب ، ووصلنا إلى نتائج لا بأس بها ، ولكنى أعتقد أننا أصبحنا الآن فى حاجة إلى إعادة نظر فى الموضوع كله بعد أن عايشنا الخبراء وعلماء الجريمة واطلعنا على أحوال الإرهاب فى جميع دول العالم كما تكشف لنا فى مؤتمر منع الجريمة بالقاهرة الذى يمثل علامة عامة على طريق العمل الدولى لإنقاذ جرائم الإرهاب ، مهما تكن الأقنعة التى يظهر بها لتضليل أصحاب النوايا الطيبة .

ولكيلا ينتهى مؤتمر الجريمة باحتفالنا بالنجاح فى استضافته وتنظيمه يحسن أن نعد لسلسلة مؤتمرات تبحث بالتفصيل وفى ضوء الظروف الخاصة بنا كيف نستفيد من أبحاث وتوصيات هذا المؤتمر ، وكيف نتعامل مع استراتيجية الإرهاب باستراتيجية مضادة لا تعتمد على براعة ويقظة جهاز الأمن وحده ، ولكنها تعتمد على براعة أجهزة الدولة كلها ، ويقظة المجتمع كله بكل مؤسساته وأفراده .



حقوق الإرهاب !

مع تزايد نشاط الجماعات الإرهابية ، وانتقال عملياتـها التخريبيـة من الداخل إلى الخارج ، يلفت النظر ظهور جماعات غير معروفة الهويَّـة ، أو من بعض فلول جماعات انتهى دورها في المجتمع المصرى ، هـذه الجماعات تعمل هي الأخرى بنشاط يثير الدهشة وأحيانًا يثير الريبة.

هذه الجماعات تدافع عن حقوق الإرهـابيين وتخلط مفاهيم الدفاع عن حقوق الإنسان .. وفى ساحة الفوضى الفكرية القائمة أصبحنا فى حاجة إلى أن نعيد ترتيب الأوراق لكى تستقر مفاهيم حقوق الإنسان فى مجتمعنا على أساس سليم.

وقضية حقوق الإنسان أصبحت مصدر رزق من يتاجر بها ، فسرعان ما يجد التمويل والمساندة من هيئات يبدو أن هدفها الرئيسى هو تشويه صورة مجتمعات معينة بإظهارها فى شكل الجماعات التى تصادر الفكر وتقمع الحريات وتعادى التقدم وتفرض بالبطش سيطرة على المواطنين .. وبعد ذلك تنشط هذه الجماعات فى الهجوم والتشهير ، متخذة من أقوال عدد من الكتاب المصريين شاهدا على صدق ادعائهم بأن ثمَّة تنكرًا أو إنكارا لحقوق الإنسان فى مصر.

وليس سهلاً الدخول فى حوار مع هؤلاء ، لأنهم يتاجرون فى بضاعة تدر عليهم ثروات لا تقل عما تدره تجارة المخدرات ، ثم هم نجوم فى تجمعات وندوات دولية تعقد خصيصا للتشهير بمصر وبعض آخر من الدول بذاتها ، وهم دائمًا يكلفون بإعداد أبحاث ليس سوى تكرار للاتهامات

الجاهزة بأن حقوق الإنسان مهدرة فى مصر ، ويحصلون على مكافآت مقابل هذه الأوراق تفوق الخيال.

وبعيدًا عن موضوع التجارة والمتاجرين بقضية حقوق الإنسان وأهدافهم الحقيقية ، سواء كانوا فى الداخل أو الخارج ، فقد أصبحنا فى حاجة إلى توضيح مفهوم حرية الإنسان والاتفاق عليه.

هل الإرهاب تعبير عن رأى ؟ .. وهل هذا الأسلوب فى التعبير عن الرأى بالقتل والتدمير والاغتيالات ما ينطبق عليه شروط الحماية المقررة فى مبادىء حقوق الإنسان..؟

إنَّ النظام القانونى المصرى يعطى للمجرم حقوقًا كاملة سواء فى مراحل القبض والتحقيق أو فى المحاكمة والسجن ، وهى حقوق مقررة بالدستور والقانون ، ولكن هل يمكن أن تمتد الحماية السياسية أو القانونية إلى حد الدفاع عن حق المجرم فى ارتكاب جرائمه ، بادعاء أنه لا يهدف إلا للتعبير عن موقفه ، أو أنه ليس إلا ضحية لمن غرر به؟..

ونحن نرى كيف أن الدولة النموذج فى الديمقراطية والليبرالية .. والمدافعة عن حقوق الإنسان فى كل أنحاء العالم ، وهى الولايات المتحدة، قد استعانت بقوات عسكرية فى المناطق التى ظهر فيها الإرهاب خاصة فى حادث تفجير المبنى الإدارى فى أوكلاهوما ، وكيف قامت السلطات باعتقال عدد كبير من المشتبه فيهم كإجراء وقائى ، كما شاهدنا على شاشات التليفزيون ما سجلته عدسات المحطات الأمريكية وأذاعته من مشاهد معاملة البوليس الأمريكى للمتهمين .. ورأينا كيف صدر قانون بسرعة البرق ويعطى السلطات الأمريكية الحق فى الاعتقال والاستعانة بالجيش واتخاذ إجراءات استثنائية عديدة لمواجهة الإرهاب . كما رأينا كيف أصدرت ألمانيا قانونا غاية فى الشدة لمواجهة الإرهاب يعطى

السلطات حرية مطلقة استثناء من الإجراءات القانونية العادية لمواجهة الإرهاب.

فالنظرة السياسية والتشريعية للإرهاب فى العالم المتقدم تفرق الآن بشدة وبوضوح بين جرائم الإرهاب والجرائم الأخرى العادية ، وترى أن جرائم الإرهاب لها طبيعة خاصة ، لأنها تهدد أمن وكيان المجتمع كله ، وتحيط جميع المواطنين بالخطر الغامض الذى يمكن أن ينفجر فى أى لحظة وفى أى مكان وعلى يد أشخاص مجهولين ، وبالتالى فإن السلطات تحتاج إلى حرية تسمح لها باتخاذ إجراءات وقائية من ناحية ، وإجراءات تضييق الخناق على المجرمين وتمكن من القبض عليهم قبل ارتكابهم لجرائمهم.

لكن الغريب أن نرى من يتحدث عن حق الإرهاب فى أن يمارس حرية الدعوة تحت شعار حرية الرأى ، وتحت شعار أن أخطاء الحرية لا تعالج إلا بمزيد من الحرية ، وتحت الادعاء بأن كل القوى فى المجتمع من حقها أن تعلن عن أفكارها وتمارس نشاطها بما فى ذلك القوى التى تدعو إلى تخريب المجتمع وتهدف إلى تغيير النظام عن طريق نشر الفوضى والاغتيالات والقتل العشوائى . والمدافعون عن حق الإرهاب فى العمل العلنى لديهم من الأساليب المراوغة ، والأفكار التى تبدو بريئة فى ظاهرها ، وتخفى السم فى العسل ، ما يجعلهم يظهرون فى ثوب الحريصين على أمن المجتمع ، وأن ذلك يقتضى إعطاء مزيد من الحرية لكل الاتجاهات بما فى ذلك الاتجاهات الداعية إلى إعلان الحرب على المجتمع وتقويض دعائمه.

ولو أن المسألة هى حرية رأى ، فإن مجال حرية الرأى مفتوح على مصراعيه فى القنوات الشرعية ، ولو أن القضية هى الديمقراطية ، فلن نكون بدعة ، ولناخذ من أكثر الدول الديمقراطية انفتاحا، أساليبها فى

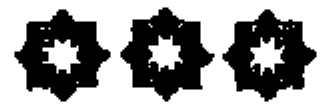
حماية الأمن والاستقرار ، وقصر الحرية على الفكر المشروع العلنى الصريح، ووضع إطار لممارسة الحرية بحيث لا يتجاوزها إلى الفوضى أو الدعوة إلى التخريب أو العدوان على المواطنين وثرواتهم وممتلكتهم وأرواحهم ، أو إثارة الفزع بين الآمنين . ولن يختلف أحد فى أن حقوق الملايين من المواطنين الآمنين أولى بالرعاية من حفنة من الخارجين على الإجماع والشرعية والشريعة.

لا نقول إن من حق المجتمع أن يواجه جماعات الإرهاب بذات أسلوبها ، ولكن نقول إن المجتمع لابد أن يحمى نفسه ، والسلطة مسئولة عن حماية كيان الدولة وممتلكاتها وأرواح المواطنين ، وإذا وجدت نفسها فى حرب ضد عصابات مجهولة ممولة ومسلحة فلابد أن تستخدم كل الوسائل التى تمكنها من وقف وإحباط هذا الخطر

إننا نلوم أجهزة الدولة – بقسوة – عقب كل حادث إرهابى ونسأل لماذا لم تتخذ الاحتياطات وتضرب الإرهاب ضربة إجهاض قبل أن يسيل دم الأبرياء ، فكيف نلومها إذا فعلت ذلك..؟ وهل يمكن أن تكون حقوق الإرهابيين لها الأولوية والأفضلية على حقوق المواطنين ومستقبل الوطن؟..

ألسنا فى حاجة الآن إلى جمعيات للدفاع عن حقوق المواطنين فى أن يتمتعوا بالأمن والاستقرار ويمارسوا حياتهم فى حرية دون إرهاب؟ ..

أليست هذه هى مسئولية كل المثقفين .. وكل المواطنين .. المخلصين..؟



لله .. أم للإرهاب ؟!!

لو تعمقنا فى دراسة أهداف ومقاصد الإرهاب سوف نجد أن الهدف الأول هو أن يلزم الإرهاب الجميع بما يفرضه عليهم، ويفرض على المجتمع قانونه، وأن يسود فكر الإرهاب وفلسفته، إلى أن يصل الأمر إلى درجة يصبح فيها الإرهاب هو المرجعية العليا التى يجب الخضوع لها، القول ما يقول، والعمل ما يأمر به، وفهم النصوص والأحكام فى الشريعة لا يكون صحيحا إلاّ إذا تطابق مع المفاهيم التى يفرضها، وكل فكره صواب، وكل فكر غيره ضلال وكفر!

هذا هو القانون الذى يريد الإرهاب أن يفرضه على الجميع، ولذلك يستخدم أقصى درجات العنف المعنوى والمادى - بالتكفير والقتل - فى محاولة منه لإخضاع الجميع لكى يستسلموا ويسلموا بهذا القانون.. فإذا ساد قانون الإرهاب فوق قوانين العقل والشريعة والمجتمع تحقق الهدف النهائى الذى يسعى إليه، وهو أن يسقط المجتمع وأهله أسرى ورهائن فى يده.

وينبغى ألا نغفل أن الإرهاب يستخدم أقصى درجات الذكاء لتحقيق هدفه، ويتدرج فى مواقفه مرحلة بعد مرحلة بخطوات محسوبة، مما يؤكد وجود «عقل قائد» يتولى التخطيط وتنفيذ الاستراتيجية الحقيقية المعادية للشريعة والإسلام ويحرك جماعات الصبية التى تحولت إلى دمى مسلوبة العقل والإرادة تخرب وتقتل دون وعى ولا حساب للعواقب.

ويظهر الذكاء الإرهابى فى اختياره المرأة نقطة بداية لفرض فكره وسيطرته على سلوك المجتمع، فكانت نقطة البدء قضايا من أمثال أن

خروج المرأة للعمل حرام واشتراكها فى الحياة العامة كفر، وأن «النقاب» فريضة مفروضة بحكم الشرع ومن يخالفها خارج عن الشريعة. وانتقل الإرهاب من الدعوة إلى النقاب بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتى هى أحسن، إلى إيذاء غير المنقبات، ثم إلى التحدى، وأخيرا باللجوء إلى القضاء لاستصدار حكم منه بأن النقاب هو الزى الوحيد للمرأة المسلمة، حتى وصل بالقضية إلى المحكمة الدستورية.. وكالعادة وقفت المحكمة الدستورية وقفة تاريخية فى تأصيل المسألة من جانب الشريعة أولا ثم من جانب مناقشة هل منع الفتيات فى المدارس من ارتداء النقاب يمثل خروجا على ما هو معلوم من الدين بالضرورة أو خروجا على مبدأ الحرية الشخصية أو مبدأ حرية العقيدة أو مبدأ أن الشريعة هى المصدرُ الرئيسى للتشريع، وهى من أهم أركان الدستور المصرى. ووضعت المحكمة الدستورية المسألة فى موضعها الصحيح بعيدا عن المغالطات والتشنجات الانفعالية فى تسلسل منطقى واستنادًا إلى المراجع الفقهية الكبرى.

● قالت إن كل تشريع فى مصر يجب أن يكون متفقا مع ما هو معلوم فى الدين بالضرورة، ولا يجوز أن يخالف قانون أو قرار الأحكام الشرعية القطعية فى ثبوتها ودلالتها، وهذه الأحكام الشرعية الملزمة هى التى يكون الاجتهاد فيها ممتنعا، لأنها تمثل المبادئ والأصول الثابتة للشريعة التى لا تحتمل تأويلا أو تبديلاً، ولا يتغير مفهومها بتغير الزمان والمكان.

● أما الأحكام غير المقطوع بثبوتها أو بدلالتها، فإن دائرة الاجتهاد تنحصر فيها. وهذه الأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان لتنظيم شئون العباد وفقا لما يحقق مصالحهم المعتبرة شرعا، ولا يعطل حركتهم فى الحياة، على أن يكون الاجتهاد فى إطار الأصول الكلية للشريعة، ولا شك أن إعمال العقل فيما لا نص فيه أرفق بالعباد، وأكثر تحقيقا لمصالحهم التى شُرِعت الأحكام لتحقيقها.

● وأقوال الفقهاء فى قضايا الاجتهاد ليست لها قدسية، ولا من المحظور مراجعتها وإعادة النظر فيها، بل وإبدالها بغيرها، ما دامت الآراء الاجتهادية بطبيعتها موضع خلاف دائما بين الفقهاء، وبالتالى لا يمكن اعتبار اجتهاد ما شرعًا ثابتًا لا يجوز الخروج عليه أو تحريم القول بغيره، وإلاَّ كان ذلك نهيًا عن التأمل والتبصر فى دين الله، وإنكارًا لحقيقة هى أن الخطأ محتمل فى كل اجتهاد وهذا ما دعا بعض الصحابة إلى التردد في الإفتاء، وهذا هو الأصل الذى اتفق عليه الفقهاء جميعا، وهو أن اجتهاد أحد الفقهاء لا يمنع المسلم من اتباع اجتهاد غيره. وربما كان أضعف الآراء سندا أكثرها ملائمة للأوضاع المتغيرة ولو كان مخالفا لآراء استقر عليها العمل زمنًا، وتلك هى الشريعة الإسلامية، متطورة ورافضة للجمود.

● وولى الأمر له أن يصدر التشريعات التى تحقق المصالح المرسلة بما لا يتعارض مع المبادىء الجوهرية للإسلام، وسلطة ولى الأمر فى التشريع سلطة تقديرية لا تقيدها إلا المبادئ الأولية للشريعة ومبادئ الدستور. وهذا الحق لولى الأمر مقرر فى الشريعة الإسلامية بإجماع الفقهاء، وهو حق مارسه كل من حكم المسلمين، ابتداء من أبى بكر وعمر وعثمان حتى الآن.. لأن ضرورات الواقع تفرضه، وإنكاره يعنى جمود الشريعة الإسلامية وجمود مجتمع المسلمين.

● وأن ملابس المرأة ليست من الأمور التعبدية التى لا تبديل فيها، وإذن فإن لولى الأمر السلطة فى أن يشرع فيها الأحكام العملية لتحديد رداء المرأة فى ضوء ما يكون سائدا فى المجتمع بين الناس مما يعتبر صحيحا فى عاداتهم بحيث لا تتصادم مع نص قطعي. وبشرط أن يكون ضابطها أن تحقق للمرأة «الستر» بمفهومه الشرعى، لتكون ملابس المرأة المسلمة تعبيرًا عن عقيدتها.

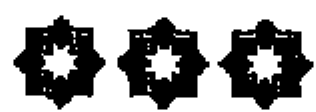
● وليس معقولاً أن تموج الحياة من حول المرأة المسلمة ثـم يطلـب منـها أن تكون شبحًا مكسوًا بالسواد أو بغيره، بل يجب أن تكون ملابسها شرعًا دليل تقواها ولا تعطل حركتها فى الحياة، فـلا يجـوز أن تخـرج ملابسـها عـن حـد الاعتـدال، ولا أن تحجـب كـل بدنـها ليضيـق عليـها اعتسـافًا، وتطبيق النص: ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ يفرض ألا يبدو من ظاهر زينتها إلاً ما لا يعد عورة، وهما الوجـه والكفـان والقدمـان عنـد الحنفيـة، ودون أن يضـربن بأرجلهن ﴿ **ليعـلم ما يخفين من زينتـهن** ﴾ وقـد دعا الله الناس جميعـا أن يأخـذوا زينتهـم ولا يسـرفوا، وهو ما يعنى الـتزام المـرأة – والرجل – حد الاعتدال.. وللمـرأة يكـون مطلوبًـا ألا تصـف الثيـاب وألاً تشى بما تحتها من ملامح الأنوثة، ولا يكـون النقـاب مطلوبًـا منـها شـرعًا طلبًا جازمًا، أمًا الإلزام بالنقاب بما فيه مـن احتجـاب المـرأة بالكـامل فـلا يظهر منها إلاً عيناها ومحجراهمـا فـهو تـأويل غـير مقبـول ولا معلـوم مـن الدين بالضرورة، ولا يتفق مع معنى ستر «العورة» المتفق عليه الـذى يتصـل بأجزاء من بدن المرأة ليس منها الوجـه والكفّـان والقدمـان.. بـل إن كشـف الوجه يعين على معرفتها من الناس، فيفرضون عليها نوعا من الرقابة على سلوكها، وهو أدعى لحيائها وغضها من بصرها وأدعى لرفع الحرج عنها.. وما رآه البعض من أن كل شىء فى المـرأة عـورة حتـى ظفرهـا مـردود بـأن الأئمة مالك وأبا حنيفة وابن حنبل والمشهور عند الشـافعية لا يـرون ذلـك، والرسول ﷺ نص بكلمات صريحة على أن يكون ثوب المرأة سـاترا لبدنـها فيما عدا الوجه والكفين، وبعد الكلمات الصريحة من الرسول عليـه الصـلاة والسلام لا مجال للاجتهاد.. ولا للمزايدة على الرسول.

هكذا فندت محكمتنا الدسـتورية القضيـة وأظـهرت فسـاد المنطـق الـذى يستند إليه الإرهاب فى اعتبار النقاب فريضة والهجـوم علـى وزارة التعليـم لأنـها منعـت التلميـذات مـن ارتدائـه داخـل المدرسـة، وسمحـت بالخمـار

وبالملابس التى تحقق معنى «الستر» المطلوبة شرعا.. لكن القضية عند الإرهاب ليست النقاب.. النقاب هو نقطة البدء للهجوم لتدور حوله المعركة.. وحين يتحقق للإرهاب فيها النصر ويفرضه بالقسر ينتقل إلى غيره إلى أن تسود كل مفاهيم الإرهاب.. ثم يسود قانون الإرهاب ويصبح هو القانون الوحيد الأوحد.. ثم يسود الإرهاب.. ويحكم ويتحكم..

القضية لمن الحكم.. لله.. أم للإرهاب؟!

وقد استطاعت المحكمة الدستورية – كعادتها – أن تضعنا على الطريق الصحيح.



كلنا تلاميذ في مدارس الإرهاب !

الإرهاب أكبر وأخطر من كل ما نتصور.. ومن كل ما نظن.

لا أقصد الإرهاب في مصر فقط. ولكن أقصد الإرهاب فى العالم العربي كله.. وفى العالم الإسلامي كله..

الإرهاب في مصر مقدور عليه..

لأنّه أصبح معروفا إلى حد كبير.. وأمكن توصيف وتصنيف جماعاته وجذورها الفكرية وأصولها ومكوناتها..

ولكن الإرهاب – مع ذلك – مازال مثل جبل الجليد العائم ما يختفي منه تحت الماء أكبر مائة مرة مما هو ظاهر.

وليس الإرهاب هو هؤلاء الشبان صغار السن.. قليلي الخبرة بالحياة.. محدودي الذكاء.. فاقدي الوعي والإحساس الوطني.. هؤلاء الذين أمكن السيطرة عليهم بسهولة.. واستطاع قادتهم أن يجندوهم و «يبرمجوا» عقولهم.. ليسوا إلاّ الجزء الظاهر من جبل الجليد العائم.. وهم فى الحقيقة ضحايا ظروف دفعتهم إلى الطريق الخطأ دون أن يدركوا أنه خطأ، ودون أن ينقذهم أحد قبل أن ينحرفوا عن طريق السلامة إلى طريق الندامة..

هؤلاء الذين يمسكون بندقية أو مدفعًا رشاشًا ويقتلون واحدًا أو أكثر ليسوا إلاّ أدوات.. هم خطر بالطبع.. ولكن هناك من هم أخطر منهم..

ولابد أن نفهم الموضوع بحجمه الحقيقى لكيلا نظلم جهاز الأمن.. ولا نظلم أنفسنا.. ولكى نحدد الأدوار ونوزع المسئوليات بيننا.. ونحاسب كلاً منا على ما أنجزه وما لم ينجزه فى معركة لا تحتمل التأجيل.. ولا الكذب.. ولا يصلح فيها أسلوب العمل فى حرب ٦٧ حين ظلت أجهزة الإعلام تستعرض قواتنا المنتصرة وهى تملأ سيناء، وقائدها يقطع وعدًا بشرفه العسكرى أمام رئيس الدولة: «برقبتى يا ريس».. ثم ظهر أن كل هذا الحشد كان للعرض فقط. وأن كل شيء كان مزيفًا..

الآن الأمر مختلف.

القيادة مختلفة..

وفلسفة الحكم مختلفة..

وأسلوب العمل مختلف..

ونحن أمام «معركة».

نحن أمام «معركة» عسكرية.. وسياسية.. وفكرية.

ولابد أن نواجه «العدو» فى هذه الجبهات جميعًا دون أن نحسب انتصارنا فى جبهة يغنى عن الانتصار فى الجبهات الأخرى.

وفى كل جبهة هناك من يعمل ضد المجتمع صراحة.. وعلنًا.. ودون مواربة.. وعن قصد وعمد وسبق إصرار.. وهؤلاء خطر على المجتمع.. ولكن هناك من هم أخطر منهم.. الذين يعملون ضد المجتمع فى الخفاء.. وبطرق ملتوية.. ويظهرون فى ثياب الحريصين على البلد ويدسون أفكار الإرهاب فى الخطاب العلنى.. ويكتبون فى الصحف القومية والحزبية على السواء.. ويعتلون منابر المساجد.. ويجدون الفرصة فى الإذاعة والتليفزيون ليقدموا الأفكار السياسية التى تمثل القاعدة للإرهاب مغلفة بغلاف بارع من ادعاء الدفاع عن الإسلام الصحيح والتصدى للمفاهيم الضالة والمضللة.. بينما هم

أنفسهم ينشرون أفكـارا ضالـة ومضللـة لا تكتشـف حقيقتـها إلا إذا رفعـت عنها الغطاء الزائف.. وهذا ليس جديدًا ولا غريبًا.. بل هو الشيء المعـروف في كل الجيوش وفى كل الأزمنة.. حين يحشد أى جيش أسـلحته وقواتـه لا يظهرها علـى حقيقتـها، ولكنـه يتفنـن فـى التمويـه والخـداع.. بحيـث لا يدرك من يراها أن هذه أسلحة أو قوات.. الأسلحة تُغطَّى وتوضع عليـها أغصان أشجار أو أكوام من الطين أو تختفى داخل مبان ليست إلا هياكل.. والأفراد لا يظهرون كجيش منظم ولكن يظهرون كمجموعات من الفلاحـين أو من الشباب العابر فى طريقهم إلى مكان ما.. المهم أن النجاح فى الحرب متوقف على إتقان عملية الخداع، وهذا درس معروف فى العلـوم العسـكرية للمبتدئين..

وتطبيق هذا المبدأ فى معارك الإرهاب كما يلى: هنـاك نوعـان مـن قـادة الفكر الإرهابى.. نوع يمثل «المرحلة الأولى».. أو «التعليم الابتدائى العام».. يحوِّل العقول إلى أرضية صالحة لتلقى بذور الإرهاب..

يبـــدأ بالدرس الأول الذى لا يختلف عليه مسلم واحد فى أى مكـان. وهو أن الإسلام دين ودنيـا.. وحيـاة المسـلمين يجـب أن تخضـع فـى كـل صغيرة وكبيرة لأوامر الله..

موافقون:

بعدها يـأتى الـدرس الثـانى: إن الذيـن لا ينفـذون مـا أمـر بـه الله هـم كافرون.. وليس هناك فـى تصنيـف النـاس إلا فئتـان لا ثـالث لهمـا: إمَّـا مسلم.. وإمَّا كافر. وهنا يبدأ الخطر.

لأنَّ الذى لا ينفذ ما أمر به لله لا يكون كافرًا فى كل حـال، ولكنـه فـى حالات كثيرة يكون مسلما فاسقًا كما قال العلماء.. وأمامه الفرصـة للعـودة.. والتوبة بلا حدود.. وليس لأحد أن يحكـم علـى إنسـان بـالكفر أو الإيمـان

ما دام ينطق بالشهادتين.. والله وحده هو الذى يحكم على صحة أو فساد الإسلام..

لكن «الدعاة» يتقدمون إلى الدرس الثالث: يسألون من الذى يحدد إن كان هذا الأمر هو أمر الله أم لا..؟ ويجيبون بأنهم هم بالطبع أصحاب الكلمة.. ولهم الحكم.. أى أن مبدأ «الحاكمية لله» ينقلب دون أن يدرى أحد لتصبح الحاكمية لهم.. هم الذين يحددون الحلال والحرام.. وهم الذين يحكمون: إن كان هذا الرجل مسلما أو كافرا.. وهم الذين يحكمون على الدولة: هل هى مسلمة أو كافرة..

بعدها يأتى الدرس الرابع: أليس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مستلزمات الإيمان؟..

الإجابة نعم..

أليس الواجب على كل من رأى منكرًا أن يغيره بيده أولا، فإن لم يستطع فعليه أن يغيره بلسانه، فإن لم يستطع فليغيره بقلبه.. إذن فتعالوا نغيِّر بأيدينا.. وبأسلحتنا.. كل ما أحدده لكم على أنه منكر..

إذا صدّقت هذا فأنت قد أصبحت فى «سنة أولى إرهاب».

لأنك أولاً صدّقت بأنه من الممكن الحكم على المسلم بأنه كافر. وصدقت أن هناك من لديه السلطة الإلهية للحكم على إيمان الناس. وصدّقت أن «الداعية».. ثم «الأمير» هو صاحب الكلمة الأخيرة.. له السمع والطاعة.. وعليك التنفيذ دون مناقشة أو تفكير.. يكفى أن يقول الداعية فى سنة أولى إرهاب.. ثم يقول الأمير فى سنة ثانية إرهاب: إن هذا كافر وأهدر دمه شرعا حتى يكون واجبك أن تنفذ أمر الله.. أى أمر الأمير.. فقد اختلطت سلطة الله بسلطة الأمير.. وضاعت الحدود.. وفقد العقل القدرة على التحليل.. أو النقد.. أو التمييز..

أنت الآن في «سنة ثانية إرهاب» لأنك وصلت إلى مرحلة وجدت فيها أن هذا المجتمع الكافر يجب أن يتجمع فيه حزب الله ليحارب حزب الشيطان.. وطبيعي إن كان حزب الشيطان يرأسه الشيطان الأكبر.. فإن حزب الله يرأسه الله.. ولما كان مستحيلاً أن يفعل الله ذلك مباشرة فإن «الأمير» يقوم بهذه المهمة.. وعليك أنت الطاعة في كل الأحوال، وافعل كل ما يأمرك به.. حتى إن أحد التنظيمات جعل شعاره.. أن المؤمن بين يدي أميره كالميت بين يدي من يغسله.. أي لا حول له ولا قوة ولا إرادة ولا فكر..

إذا سيطرت عليك فكرة «الطاعة» للأمير دون مناقشة على أنها طاعة لله.. فأنت في بحر الظلمات.. وقد يصبح من المستحيل استعادتك.

أنت الآن على وشك أن تنهي بنجاح «المرحلة الابتدائية» وتوشك على الالتحاق «بالمرحلة الإعدادية»..

❁❁❁

المرحلة الابتدائية للإرهاب مرحلة عامة.. كلنا نتعرض لها.. لأنَّ كل الدروس الخاصة بها تلقى في المساجد والمدارس الحكومية والإذاعة والتليفزيون وفي مقالات الصحف.. كلها بالميكروفونات.. ليس فيها سرية.. وليس فيها - بحسب الظاهر - ما يستحق المؤاخذة.. وفيها الكثير مما يحتاج إلى الحذر واليقظة وإدراك الخطر الكامن.. الدروس في هذه المرحلة أشبه بطريقة تجار المخدرات الذين يقدمون المخدرات في شكل قطعة من الحلوى المعروفة.. مظهرها بريء والسم في داخلها.. تأكلها فتقع تحت تأثير المخدر - أو السم - دون أن تدرك ماذا حدث لك.

دروس هذه المرحلة نأخذها جميعا.. نسمع وننصت ونعجب بما نسمع ونقول: الله.. الله.. كمان يا سيدنا.. ونمصمص الشفاه، والدموع تسيل من عيوننا وجدًا وحبًا لله ونقول: صدق الله العظيم..

وكلنًا بعد انتهاء هذه المرحلة معرضون لدخول المرحلة الثانية إذا وجدنا «الداعية» المناسب، ليخاطبنا بالأسلوب المناسب، ويأخذ بيدنا خطوة خطوة إلى أن يسلمنا إلى جماعات تدربنا على ضرب النار، وتعطينا الدولارات، وجوازات السفر المزيفة، وتنظم لنا رحلات إلى الوطن الأم.. إلى قلعة الإسلام.. إلى الزعيم الروحى الكبير المبشر بالجنة.. الذى جاء ليملأ الأرض عدلاً ونورًا وإيمانًا.. لينقذ المسلمين من الضلال..

كلنا يحيط بنا الخطر..

وإذا كنا كبرنا فى السن فكل أبنائنا دون استثناء معرضون لهذا الخطر.. لأن الخطر أكبر مما نظن ونتصور.!

❁❁❁

فى الخمسينات ظهر كتاب خطير اسمه «لعبة الأمم» ألفّه واحد من أكبر وأشهر عملاء المخابرات الأمريكية «السى. آى. إيه» كشف فيه طريقة عمل المخابرات لإسقاط الأنظمة وتخريب الدول دون حروب..

وقال: إن كل بلد فى العالم فيه مجموعات من رجال المخابرات الأمريكية.. ولهم عملاء من أبناء هذا البلد.. يجمعون معلومات.. ويجندون عملاء جددًا.. ويحصلون على وثائق.. ويحللون السياسات.. ويتنبأون بما يمكن أن يحدث غدا وبعد غد.. وكل هذه المعلومات تتجمع لدى «رأس» فى الإدارة فى واشنطن.. أى أن كل دولة لها فى القيادة رجل يسمونه باسمها.. مستر روسيا.. مستر الصومال.. مستر الفلبين.. مستر ماليزيا.. مستر مصر.. مستر الصين.. وهكذا.. ويجمع هؤلاء فى اجتماعات دورية لتحديد صورة ما يجرى فى كل بلد.. وما يجب عمله.. وما يمكن أن يحدث فى المستقبل القريب والبعيد وكيف تمكن السيطرة عليه ليصبح فى خدمة المصالح الأمريكية.

لعبة الأمم هذه تحدث فى أجهزة المخابرات فى الدول الكبرى التى لها مصالح فى مناطق كثيرة من العالم، وتسعى إلى تأمين مصالحها بالسيطرة على سير الأحداث وتوجيهها فى اتجاه معين..

والمخابرات الإيرانية فيها نظام شبيه بذلك.. وبالمناسبة المخابرات الإيرانية «السافاك» من أجهزة المخابرات القوية منذ أيام الشاه حتى أنها كانت تعتبر ثالث أقوى أجهزة المخابرات فى العالم.. وإيران لديها هدف قيادة العالم الإسلامى كله على أساس أنها الأحق والأقدر على ذلك وليست إيران وحدها.. ولكن كل الدول تقريبا.. حتى السودان.. كل أجهزة الدولة فيها ضعيفة ومفككة وعلى وشك الانهيار إلا جهاز المخابرات، فهو متماسك ولديه الأموال والأسلحة وحرية الحركة.. وعنده أهداف تتجاوز حدود السودان.

لا أقصد أمريكا أو إيران أو السودان بالذات.. ولكن أريد أن أقول: إن كل دولة فى العالم لها مصالح، ولها أهداف للتوسع أو السيطرة، وتراودها أحلام القيادة والزعامة تلعب لعبة الأمم..

فإن كل دولة تقريبا هى هدف لهذه اللعبة..

وكذلك ولابد أن نتصور.. ونتوقع.. أن هناك موائد يتجمع عليها كبار رجال المخابرات فى دول كثيرة موضوع البحث فيها هو: مصر..

ماذا يقولون؟..

وماذا لديهم من معلومات؟..

وماذا أعدوا من خطط؟..

الله أعلم..

ولكن لابد أن نتوقع.. ولابد أن نحتاط..

إذا أراد أحد أن يحيل العالم العربى.. والعالم الإسلامى إلى شظايا متناثرة ويقضي عليها فما هو المدخل المناسب؟..

مازالت فكرة حصان طروادة، من أعظم الأفكار التى تُنفَّذ حتى اليوم بنجاح عظيم.

ما فعله المساكين منذ مئات السنين حين فرحوا بالحصان الضخم النادر وأدخلوه فى الحصن المنيع الذى كان يحميهم ولم يدركوا أن فى داخل هذا الحصان كان عدد من الأعداء ينتظرون اللحظة المناسبة ليخرجوا من بطنه ويفتحوا أبواب الحصن للجيوش التى كانت متربصة ومتحفزة وعلى أهبة الاستعداد فى الخارج.. ما فعله هؤلاء المساكين هو ما تفعله شعوب كثيرة اليوم.. وأمس. وغدًا..

حصان طروادة المناسب لنا هو الإسلام..

لكى يدخل «العدو» داخل الحصن فى هذه المنطقة لابد أن يظهر بمظهر المدافع عن الإسلام.. الغيور عليه.. الذى يريد أن يحمى الإسلام من أعدائه.. ويخلط الحقائق.. ليصبح العدو هو المدافع عن الإسلام.. ويصبح المسلمون الحقيقيون أبناء البلد وأبناء الإسلام هم «العدو».. وهل هناك انتصار أعظم لأى «عدو» من أن يتحول أبناء البلد أعداء لبعضهم.. يقول كل واحد منهم لكل واحد آخر: أنت كافر.. ويمسك كل واحد بندقية ليقتل الآخر دفاعًا عن الإسلام وجهادًا فى سبيل الله.

القاتل والمقتول مسلم..

المنتصر والمهزوم مسلم..

وفى النهاية فإن النصر الحقيقى سيكون للعدو الحقيقى الذى لا يظهر ولن يظهر الآن..

سيظهر فقط حين يعم الخراب وينهزم أى مجتمع إسلامى من الداخل..

والعمل؟..

أن ندرك الخطر..

أن نكون واضحين ونحذر من الإرهاب من البداية..

أن نرفض الالتحاق بمدارس الإرهاب..

وأن نفتح مدارس للإسلام الحقيقى..

المسألة دقيقة جدًا.. أدق من عملية جراحية فى القلب..

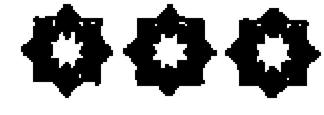
أعداء الإسلام ومحبوه.. المنافقون والمخلصون.. كلهم يتحدثون بلغة واحدة..

الفارق الدقيق أنَّ هناك فكرًا يقود إلى البناء.. وفكرًا يقود فى نهايته إلى الخراب. انظروا إلى خط النهاية الذى يمكن أن تصل إليه أى فكرة تعرض عليكم باسم الإسلام لتعرفوا هل توصلكم إلى طريق السلامة.. أو إلى طريق الندامة..

وإذا كانت الدولة هى المسئول الأول عن حماية الوطن..

فإن كل واحد منَّا هو خط الدفاع الأخير..

والموضوع خطير.. والحكايات كثيرة..



الفصل الثانى

- ❑ وماذا عن الفساد الفكرى؟
- ❑ قضية للحوار
- ❑ محو الأمِّية الدينية هو الحل
- ❑ من فى حزب الله.. ومن فى حزب الشيطان؟!
- ❑ نجيب محفوظ سيبقى.. والإرهاب إلى زوال
- ❑ الإعلام.. والإسلام (١)
- ❑ الإعلام.. والإسلام (٢)
- ❑ الإعلام.. والإسلام (٣)
- ❑ الإعلام.. والإسلام (٤)
- ❑ الإعلام.. والإرهاب (١)
- ❑ الإعلام.. والإرهاب (٢)

ماذا عن الفساد الفكرى ؟

هل هى مجـرد مصادفـة أن يتحـرك فـى وقـت واحـد مجموعـة كتـاب معروفين بانتمائهم لتيارات مهزومة تاريخيـا فـى شبه مظـاهرة، أو كأنَّـهم «أوركسترا» تم تدريبه تدريبا جيدا ، ليعزف الجميع لحنًا واحدًا فى إتقان وبراعـة تدفعـان إلى السؤال : هـــل يمكـــن أن يكـــون ذلـك كلــه بـــدون «مايسترو» .. وبدون (نوتة) مكتوبة بدقة وعليها توزيع الأدوار؟

أما المعزوفة الجماعية من هؤلاء فهى موضوع واحد : الفساد فى مصر .

أعرف أستاذًا متخصصًا فى علم جديد من علوم الاتصال والإعلام هو علم (تحليل المضمون) قـال لى: أنـه درس كـل مـا كتبـه عـدد مـن كتـاب هـذا الزمان، وقضى وقتا طويــلاً فـى تحديـد العنـاصر والأفكـار الأساسـية التـى يسعون إلى زرعها فى عقول المصريين ، والشباب بصفة خاصة ، والمفـردات اللغويـــة التـــى يســـتخدمونها ، والإيحـــاءات والإيمـــاءات ، والتلميـــح ، واستخدام الذكاء والتحـايل .. فوصـل إلى نتيجتـين فـى منتـهى الأهميـة . **النتيجة الأولى** : أنَّهم لم يكتبوا مرة واحدة .. ولو على سبيل الخطأ .. أو التمويه .. عن شىء واحد مفيد أو حسن أو إيجابى تحقق فى مصر أو حتى يمكن أن يتحقق فى المستقبل القريب .. لكنهم يكتبون فى اتجــاه واحـد .. ويبدو أنهم يريدون أن يسرعوا الخطى لتحقيق غاية واحدة.. وكل ما لديهم من أفكــار يتلخـص فـى عبـارة واحـدة هـى أن (كـل شـىء فاشـل - وكـل مشروع ضار .. وكل مسئول متهم بالفســاد .. خطـة التنميـة فـى مصر فـى نظرهم فاشلة ، وفى أى بلـد آخـر ناجحـة نجاحـا عظيمـا .. حتـى زائـير وجزر الأنديز .. والشريعة الإسلامية مهدرة فى مصر ومطبقة تطبيقـا حرفيـا

فى بلاد تمتلىء صحف العالم بالحديث عما يجرى فيها وخارجها (!).. والتشريعات فى مصر وليدة ضغوط أجنبية لتكريس الضلال والكفر ، أما فى بلاد أخرى ، فيسير الحكم فيها دون تشريعات على الإطلاق ، فهى التجسيد الحى لشريعة الإسلام (!) .. والفساد فى مصر منتشر كالوباء .. ينخر فى كل بناء ، ويتغلغل فى نفس كل من يعمل .. أما فى تلك البلاد بالذات فكل من فيها من الملائكة الأطهار الذين لا يأتيهم الباطل أبدا ولا الخطأ ولا الانحراف ..

أما **النتيجة الثانية** التى توصل إليها أستاذنا الباحث فى مقولات السادة المفكرين - وهم بفضل الله قلة فى العدد وفى التأثير - فهى أنهم يكتبون بلغتين .. وفى مسارين مختلفين تمام الاختلاف .. يكتبون فى مصر بالعملة المحلية عن الفساد فقط لا غير.. كل شىء فاسد .. كل إنسان فاسد .. كل ذمة خربة .. الكل لصوص .. أما خارج مصر فيكتبون بالعملة الصعبة مقالات أخرى .. بلغة أخرى .. وفيها كلام آخر عن إيجابيات فى بلاد بعينها .. ورجال هناك يجددون الدين ويقتربون من مقام الأنبياء ..

بماذا نسمى هذه الظاهرة ؟

هل نسميها كما أطلق عليها أحد المفكرين حالة «التسول الأخلاقى» التى تدفع صاحبها إلى الاجتهاد - على قدر الطلب - وفى تشويه كل مسئول والإساءة إلى سمعته وكرامته لتحقيق بطولة فى ميدان قد لا نعرفه الآن..؟ أم نسميها حالة من «الفساد الفكرى» أصابت قلة من المفكرين مثلما يصيب غيرهم «الفساد الأخلاقى» أو «فساد الذمم» وأصبح علينا أن نتنبه وندافع عن عقولنا وعقول شبابنا من هذا الفساد الجديد ، لأنَّه أشد خطرًا من سائر أنواع الفساد الأخرى .

هو أشد خطرا لأنه فساد مستتر يتخفى وراء السطور والكلمات المعسولة ، ويتلبس بالأفكار النبيلة ، فيطبق العبارة الشائعة «كلمة حق يراد بها

باطل» .. وهو فساد ينتقل بسرعة إلى عقول الشباب وأنصاف المثقفين الذين يميلون بطبيعتهم إلى تصديق الاتهامات دون تمحيص أو تدقيق .

وأشد خطرًا لأن هؤلاء الكتاب يلبسون الحق بالباطل وهم يعلمون .. ويعتمدون على براعتهم فى المغالطة المنطقية فيصلون إلى نتائج لا تؤدى إليها المقدمات ، وينكرون ما هو واقع أمام العيون من عمل تحقق .. وإنجاز تم .. ويتجاهلون أن فساد الذمم أمر لا يبرره أحد ، ولا يدافع عنه أحد ، وأن هناك قانون العقوبات ، وقانون الكسب غير المشروع ، والنيابة العامة ، والمدعى الاشتراكى ، ومحاكم الجنايات ، ومحاكم القيم.. كل ذلك من أجل تعقب حالات الفساد فى الذمم وإنزال العقوبات على صاحبها بعد محاكمة عادلة وبناء على أدلة ثابتة .

ولكن هؤلاء الكتاب الذى يطلقون الاتهامات فى كل اتجاه .. وعلى كل إنسان دون تمييز ، يريدون أن تتم الإطاحة بالرقاب دون تحقيق أو محاكمة .. اكتفاء بالأحكام التى يصدرونها هم من منصة للقضاء لم ينصبهم عليها أحد .. ولا هم أهل لاعتلائها .

ثم إن أسلوبهم الغريب ليس القصد منه كشف جرائم محددة بعينها ، أو حالات فساد بوقائعها ، ولكنه أسلوب يسعى إلى إثارة المشاعر ، دون اعتماد على حقائق أو معلومات ، وترديد شائعات من النوع الذى يردده بعض الكسالى وأصحاب الغرض والمرجفون فى بعض الأندية كوسيلة لتزجية أوقات الفراغ ، أو لاكتساب الأهمية بين الأصدقاء وكأنهم عالمون ببواطن الأمور .. .

هم أشد خطرا لأنهم يعملون على أن يبعدوا الناس عن رؤية مشاكلهم الحقيقية ، والبحث عن الحلول السليمة لها .. وهى حلول تحتاج بطبيعتها إلى تضحيات .. وصبر .. وعمل .. تبعدهم عن طريق البناء إلى

طريق الهدم بإثارة خيالاتهم عن جرائم لم تحدث .. وترديد شائعات على أنَّها حقائق ..

وهم أشد خطرًا لأنهَّم يغرسون - بدأب شديد وبراعة مشهود لها - مناخ العنف في الفكر والسلوك في عامة الناس والشباب بصفة خاصة .. ويدربون قراءهم على إصدار الأحكام العامة بغير حيثيات ولا براهين ، بدل تعويدهم على الجدل المنطقي ، والمناقشة العقلية القائمة على البرهان والدليل ، والاستدلال الصحيح .. أنهَّم يحاولون اكتساب بطولات زائفة .. باستخدام عبارات عنترية تدين الكل ، وتطلق الاتهامات بالجملة ، وتضع الوصمة على جبين كل من يعمل .. ولا يفرقون بين شريف ومنحرف .

هل معقول أن كل شيء فاسد .. كل شيء .. وهل معقول أن كل عمل كفر .. كل عمل .. وهل معقول أن كل مسئول منحرف .. ما هذا .. قد تفهم أن يكون هناك مسئول - أو أكثر - فشل في عمله .. أو أنَّ موظفًا كبيرًا أو صغيرًا ساقه الشيطان إلى طريق الكسب الحرام .. أو أنَّ قرارًا صدر جانبه الصواب .. أو تشريعًا ظهرت فيه ثغرات عند التطبيق .. كل ذلك وارد .. لأنَّ كل عمل إنساني هو عمل ناقص والكمال لله وحده .. وكل خطأ يمكن تصحيحه.. وكل منحرف يمكن محاسبته .. وكل ثغرة يمكن علاجها .. ولكن ما القول في مئات الآلاف من الشرفاء الذين يعملون بإخلاص في كل مجال .. ولو لم يكونوا موجودين فكيف إذن تحققت كل هذه المشروعات .. ألا يرى الناس بعيونهم كم من المسئولين يستشهدون في عملهم .. وكم منهم يسقطون صرعى الذبحة أو الجلطة نتيجة الإجهاد .. وكم منهم أجريت لهم جراحات دقيقة بسبب أمراض التوتر ؟

أليس في الثوب نقطة واحدة بيضاء .. هل كله أسود ؟

أليس هذا ظلما لا يرضاه الله ولا الضمير ..؟

ثم تسمون هذه معارضة .. أو حرية رأى .. أو نقدًا بناء .. أو إخلاصًا للوطن .. أو حماسًا للإصلاح ..

معارضة .. أم عداء ؟

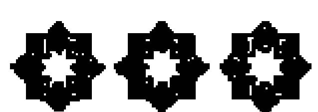
نقد .. أم تشويه ؟

اختلاف فى الرأى .. أم عدوان على حرية الرأى ؟

لو أردنا أن نمارس حرية الرأى حقا لمارسناها بإنصاف وموضوعية .. وأبسط مظاهرها أن ترى الحق حقًا ، والباطل باطلاً ، ولا نبخس العاملين أعمالهم .

هذا ما أسميه «الفساد الفكرى» وأراه مستحقا لأن يتصدر القائمة ، ويسبق الفساد الأخلاقى وفساد الذمم .. لأنه فى الحقيقة المقدمة التى تسمح بالعبور لكل فساد ..

تعالوا نقف جميعا ضد الفساد .. فليس فى مصر مسئول يحمى أو يتستر أو يبرر الفساد .. ولكن لا تفسدوا العقول لأنها أغلى ما وهبه الله للإنسان.. وإن فسدت فليس من السهل إصلاحها !



قضية للحوار

هناك قضايا كثيرة تفرض نفسها على جدول الجوار الوطنى فى مصر .. مثل إعادة بحث المسلمات القديمة التى كانت مستقرة فى ظل النظام العالمى الذى انهار بانهيار الاتحاد السوفيتى القديم بنظرياته وأفكاره ونظام حكمه والفلسفة التى كانت سائدة فيه ، ومقل إعادة رؤية الأوضاع المريبة ودور مصر المستقبلى ، بعد أن استجدت ظروف جديدة أثرت فى النظام العربى وفى الرؤى والأحلام العربية القديمة مما يقتضى إعادة النظر ..

أما القضايا الداخلية فهى كثيرة بحكم هذه المرحلة التى يتحول فيها المجتمع المصرى من الشمولية إلى التعددية الفكرية والحزبية ، ومن سيطرة الدولة على الموارد والإنتاج والخدمات وسوق العمالة .. إلى آليات السوق.. وما ترتب على ذلك من آثار اقتصادية واجتماعية هى نتاج طبيعى لمرحلة التحول التى لم تصل إلى مرحلة الاستقرار بعد .

قضايا كثيرة يدخل فيها التعليم ، والخدمات بشكل عام .. وفلسفة الإنتاج والتصدير ، والسياسات المالية والضرائبية ، ومشاكل استصلاح الأراضى وتعمير سيناء والصحارى المصرية ، ومواجهة الفساد بإجراءات أكثر ردعا ، وإصلاح النظام القضائى والبناء التشريعى المتضخم .. وتسبقها بالطبع قضايا سياسية تمس صورة المستقبل .

لكن القضية التى يجب أن يكون لها الأولوية – فى رأيى – هى قضية «الإرهاب» .

ليس فقط لأن الإرهاب أصبح عاملا للهدم يهدد أمن الناس وأرزاقهم ، كما يهدد الأمن القومى واقتصاد الوطن ، ولكن أيضا لأنه يمثل عدوانا

مستمرا على الإسلام باسم الدفاع عنه ، وهـذا عـدوان لا نصبر عليـه لأنـه يمكن إذا بقى أكثر من ذلك أن يدفع المواطنين فـى الداخـل والمراقبـين فـى الخارج إلى تصديق أن الإسلام ليس إلا دعـوة إلى الاقتتـال ، وفـرض الـرأى بالقوة ، وممارسة العنف بعشوائية ، وقتل النـاس بغـير حـق ، واسـتباحة الأمـوال والأرواح والأعـراض وفقـا للأهـواء والتفسـيرات والاجتـهادات الشخصية .. ومن شأنه أيضـا أن يجعـل الفقـه الإسـلامى المعتـدل الأصيـل يتوارى شيئا فشيئا ، ليحل محله فقه آخر بديل هو مجموعة أفكار مهوشة ومشوشة غير قائمة على دليل ،ولا مستنبطة عن بصـيرة ، ولا قائمـة علـى علم صحيح بالإسلام .. وفـى هـذا عـدوان لا يحتمـل علـى الإسـلام وعلـى المسلمين يفرض على أهل الرأى والعلم أن يجتمعوا ليبحثـوا كيـف يحمـون الإسلام ويصونون شريعته من العبث والافساد والتشويه .. هذا واجب علماء المسلمين فى المقام الأول .. وهو أيضًا واجـب قـادة الـرأى والمثقفين لإنقـاذ المجتمع من الفكر السطحى والهمجى الذى يأتى مـن مصـادر غريبـة لكـى يفسد العقيدة والشريعة والعقل المصرى والعربى .

والموضوع ليس بحثًا عن إعادة الأمن إلى الشارع المصرى فقط الموضوع أكبر من ذلك وأعمق .. الموضوع هو : هل ما تطرحه هذه الجماعات من فكر هـو الإسلام حقًا أم لا .. وهـل الغايـة والوسـيلة لإقامـة الشـريعة هـى القتـل والاعتداء على الناس ، أم أن لدى الإسلام وسائل أخلاقية راقية لكى يسود ويحكم؟ وهل لدى الإسلام .. أقصد المسلمين الذين يرون أنهم معـبرون عـن الإسلام .. ما يقال من أنه مؤهل لقيادة البشرية فى هذا العصـر ويتفـق مـع قفزات العلـم والصناعـة والتكنولوجيـا فـى قـرن قـادم بعـد أقـل مـن ست سنوات .. وهل الإسلام هو قوة التخلف التـى تجعـل المدافعـين عنـه بـهذه الهمجيـة والعشـوائية والتشـويش الفكـرى ، أم أن هـؤلاء محسـوبون علـى الإسـلام وهـم فـى الحقيقـة عـبء عليـه ، وهـم يعيشـون خـارج العصـر ،

أما الإسلام فهو قادر على أن يكون قوة دفع لبناء حضارة وثقافة متطورة وملائمة لمراحل الرقى المتتالية التى تصل إليها البشرية ، وهو قادر ، لأن ثوابت الإسلام الأساسية لا تؤدى إلى الجمود ، والمتغيرات فيه من المرونة بحيث تستوعب كل عصر وتجعله صالحًا لقيادة البشرية فى كل زمان ومكان ..

وكما كان القوة التى أقامت الحضارة العظيمة التى قادت العالم بعلوم متقدمة كان للمسلمين فيها فضل تنوير أوروبا بعد قرون الظلام والجهل التى كانت تعيش فيها ..

من المهم أن يعلن المشاركون فى الحوار .. وهم بالقطع ممثلون لكل القوى السياسية الوطنية وللمثقفين وللعقل المصرى والإرادة المصرية بشكل عام موقفهم من القضايا والأفكار التى تروجها هذه الجماعات لتعرية ما فيها من أخطاء ، وكشف ما فيها من ثغرات فكرية وعقائدية ، فإن إعلان هذا الموقف يعلن للعالم وللجماهير أن ممثلى العقل يرفضون هذه الغوغائية ، وأنها ليست من الإسلام فى شىء .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن ذلك لازم كإجراء وقائى للمجتمع .. وبأساليب فيها من الإثارة والغرابة ما يتفق مع طبيعة مراحل العمر المبكرة بما فيها من بحث عن المغامرة وعن فرص لإثبات المقدرة وتأكيد الذات ، واستشراف للمجهول ، والرغبة فى التضحية من أجل قضية كبرى أو أهداف ساميا وسماوية .. الخ .

ليس المطلوب حوارًا بين السلطة والإرهاب .. ولكن المطلوب إجماع وطنى بعد حوار يقوده الفقهاء ، وأهل العلم بالشريعة وأحكامها من ناحية ، وأهل السياسة والمعبرون عن الضمير الوطنى العام من ناحية أخرى، وقادة الرأى ونخبة المثقفين .. وطليعة الباحثين فى مختلف العلوم .. وأن يصل حوارهم وحصيلته – علنا – إلى الرأى العام ليعرف

موقف الإسلام من قضايا كثيرة تطرح بشكل متيسر ومشوه مثل الشورى .. والحاكمية .. والحدود .. وتكفير المجتمع ؟

وليس المطلوب أن يقف المشاركون فى الحوار موقف الدفاع أو أن يضعوا كتب وأفكار الجماعات أمامهم ويناقشونها بصورة يبدو معها أن عقلاء الأمة يدافعون عن أنفسهم .. أو أنهم أصبحوا فى موضع اتهام .. أو حتى أنّ حوارهم هو مجرد رد فعل لما يفعله الإرهاب ..

إن الأساس فى الحوار هو رغبة المشاركين فيه فى الوصول إلى اتفاق وإخلاصهم فى تحقيق هذه الرغبة ولا يمكن أن يقوم حوار بين أطراف بينها تصادم يجعل الالتقاء أو الاتفاق مستحيلاً ، ومن هنا نقول أن الحوار مع الإرهاب لا يفيد ، لعدم وجود أرضية مشتركة - وهى الإرادة والتصميم على حماية الوطن وتغليب المصالح العامة على أية مصالح أخرى .. ولأن الإرهابيين ليست لديهم رغبة فى الوصول إلى نقطة التقاء ، وما لديهم أفكار جامدة ، وقوالب ذهنية يكررونها دون تحليل أو تفكير أو فحص لصحتها وجدواها واتفاقها مع جوهر العقيدة ، ولكن يبقى للحوار عن قضايا الإرهاب أهميته لحماية الجيش الاحتياطى للإرهابيين ، وهم الشباب الذين يخالطهم ويقترب ويواجه بعض صور الإحباط فى الحياة لتحقيق أحلامه البسيطة فى المسكن والعمل والزواج .

حقيقة أن الحوار مع الإرهاب مستحيل لأنه أغلق الباب منذ البداية بحكم تكفير الدولة والشعب وباختيارهم القتل والعنف كوسيلة وحيدة لتحقيق الهدف، ولكن الحوار عن الإرهاب هو الضرورى .. وله فى رأيى - أولوية عن كل ما عداه .



محو الأمية الدينية.. هو الحل

شهدت القاهرة في عام ١٩٩٤ افتتاح أكبر مؤتمر دولي لمحو الأمية، أظهرت فيه مصر مدى اهتمامها بقضية محو الأمية، باعتبارها العقبة الأولى في طريق تحقيق التنمية الاقتصادية، والنهضة الاجتماعية والثقافية.. وعرفنا من خلال هذا المؤتمر إلى أي حد تبذل الدولة في مصر مع الجمعيات الأهلية جهودا جبارة، خاصة بعد إنشاء هيئة محو الأمية التي تتحمل المسئولية بجدية ونشاط.

ولكن هذا المؤتمر الناجح الكبير يثير في نفسي موضوعا قديما أرى أن الوقت قد حان الآن لكي نفتحه ونتحدث عنه بصراحة تامة، ودون لف أو دوران.. فالأمر لا يحتمل مجاملات، في وقت أصبح فيه مصير الوطن عند مفترق طرق، ولا يحتمل إخفاء الحقائق، بالكذب أو التجميل، أو بالاعتراف بنصف الحقيقة واتهام من يجاهر بنصفها الآخر. هذا الموضوع هو «الأمية الدينية في مصر».

ولابد أن نعترف بحقيقة أن الشعب المصري شعب طيب.. أصيل.. يحمل في وجدانه حضارة قديمة جدًا.. وهو لهذا شعب متدين بفطرته.. قريب من الله.. وقريب من الارتباط بكل ماله علاقة بالدين من قريب أو بعيد.. ولشدة تدينه فإن المفاهيم الدينية عنده مختلطة، وأحيانا متناقضة مع العقل، وأحيانا متعارضة مع طبيعة الحياة والتطور..

وقد تحدث كثيرون عن ارتباط تخلف المسلمين عن غيرهم في العالم بتخلف المفاهيم الدينية، ومن الضروري هنا أن نوضح حقيقة جوهرية هامة جدًا.. هي أن هناك فارقًا بين «الدين» و «التدين».. بين الإسلام كما أنزل

من رب العالمين ومن مصادره الأصلية فـي الكتـاب والسـنة، والإسـلام كمـا فهمه ناس في عصور مختلفة بمفاهيم مختلفة، وفسروا النصـوص تفسـيرات أخذت ألوانًا مختلفة من آثار عقائدهم الدينية القديمة التى كانوا يعتنقونـها قبل الإسلام.. وبعضهم كان فـي الأصـل يـهوديًا أو مسيحيًا أو مجوسيًا.. أو أعطوا للنصوص الإسلامية مفاهيم ثقافية من تأثيرات ثقافتـهم الأصليـة.. وبعضهم كان فارسيًا أو هنديًا أو غير ذلك، فإذا أضفنا إلى ذلـك أن بعضـهم دخل الإسلام عن إيمان حقيقى بـهذا الديـن، وأضـاف وفسـر بحسـن نيـة متأثرا بتكوينه الدينى والثقافى السابق، وأن بعضهم الآخـر دخـل الإسـلام من باب التقية، أو ارتداء لبـاس هـذا الديـن الجديـد، الـذى أصبـح لأهلـه امبراطورية وملك كبير بعد ذلك، لكي يندس وسط أهله، ويحتـل الصفـوف الأولى، ويؤثر فى الإسلام من خلال تفسيراته الخاصـة الغريبـة عـن حقيقـة الإسلام.. وهذا ما يعرف فى الإسلام من خلال تفسـيراته الخاصـة الغريبـة عن حقيقة الإسلام.. وهذا ما يعرف في العصر الحديـث بـاصطلاح «تدمـير العدو من الداخل» وهذه الحقيقة قـد لا يعرفـها كثـير مـن الشـباب، ولكـن الأمر يحتاج إلى إلقاء الأضواء على تاريخ الجهود التى بذلت لتدمير الإسلام من الداخل على أيدى من يعلنون الإسلام.. وبأقلام من يدعـون الدفـاع عـن الإسلام. وعلـى لسـان مـن يصـورون للنـاس وربمـا يتصـور بعضـهم.. أنـهم أصحاب قضية وأصحاب دعوة لإعلاء شأن الإسلام..

ذلك لأن الإسلام تحوّل مع الزمن.إلى مظلـة كبـيرة جـدًا، وقـف تحتـها الصالحون، المخلصون والمخادعون، المؤمنون به والكافرون.. وأصبح الجميع يتحدثون بلسان واحد.. ولغـة واحـدة.. ويسـتخدمون نفس المصطلحـات.. ويستندون إلى نفس الآيـات والأحـاديث.. ولكنـهم يكسـبونها تفسـيرات لا تمت إلى حقيقتها بصلة.

أضف إلى ذلك أن الشـعوب الإسـلامية فـى واقعـها الآن، ومنـذ قـرون، شعوب أمية، مئات الملايين من أبنائـها لا يقـرأون ولا يكتبـون، ومعرفتـهم

بالإسلام وارتباطهم به يتم عن طريق السماع، ونتيجة الأمية لا يستطيعون التفرقة بين ما هو جوهرى وما هو غير جوهرى، وعلى سبيل المثال فإن الواقعين تحت سيطرة الجهل يختزلون علاقتهم بالأمور كلها بمعايير الإسلام فى معيارين اثنين فقط هما: الحلال والحرام.. ولا يستطيعون أن يفهموا أن كلمة الحرام لا تطلق إلا على ما هو معارض معارضة كاملة لتعاليم الإسلام.. والحرام لا يكون إلا بنص واضح صريح.. القتل.. السرقة.. الزنا.. وما إلى ذلك. ولكن هناك درجات أخرى أقل مثل المكروه، وهو العمل الذى لا يخرج صاحبه عن الإسلام، ولكنه لا يتفق مع كمال إسلام الإنسان.. وهناك فرق بين فعل حرام.. وفعل مكروه.. والعامة لا يفرقون بينهما؛ لأن التفرقة دقيقة وتحتاج إلى ثقافة دينية. كذلك فإن العامة يختزلون علاقة العبد بربه فى درجتين اثنتين هما: الكفر والإيمان، فإما أن تكون مؤمنا مائة فى المائة وإما أن تكون كافرًا حتى لو كان إيمانك بنسبة تسعة وتسعين فى المائة.. وهذا أيضا تبسيط مخل.. لأن هناك كفرا يخرج صاحبه عن ملة الإسلام، وهناك فسوق لا يخرج صاحبه عن الملة. وهناك درجات أيضا بين هذين الطرفين.

❁❁❁

الأمية الدينية هى المسئولة عن التطرف والإرهاب؛ لأن الجماعات المتطرفة والإرهابية تستغل جهل الناس العاديين بدقائق الأمور الدينية، وتقوم هى بتقديم أمور الدين كما تريد، وتشرح وتفيض فى الشرح، وتستخدم وسائل الاتصال الشخصى، والإلحاح، والتكرار، وتجنيد العناصر النشطة، لكى تردد وتقنع الآخرين بما تريد، والأمثلة على ذلك كثيرة.

فالأفكار التى تدور حولها هذه الجماعات - رغم بعض الخلافات الأخرى بينها - هى أن المجتمع المصرى مجتمع كافر، ويقولون فى معنى الكفر إنه يطلق على معنيين، معنى يخرج صاحبه من الملة هو «الشرك

الأكبر» وهذا هو الشرك بالله تعالى وإنكـار وجـوده.. والمعنـى الثـانى شـرك لا يخرج صاحبه عن الملة هو «الشرك الأصغـر مثـل الريـاء، والحلـف بغـير الله.. ويقولون إن المجتمع المصرى كافر بالمعنى الثانى.

وهذا الحكم الذى أصدروه على المجتمع المصرى صدر فـى الحقيقـة مـن خارج مصر، وتسرب إلى مصر بطرق مختلفة، وبتمويل هائل، وتنظيـم دولى ليس هينًا ولا ضعيفًا.. تنظيم دولى مـدرب علـى تجنيـد الشـباب، وغسـيل المخ، والتأثير فى المشاعر والأفكار، وتقديم الأموال إن لزم الأمر.. والهـدف لا يحتاج إلى تفسير.. فهناك دائمًـا مـن يسـعى إلى السـيطرة علـى الشـعب المصرى، ويختار البداية عقل هـذا الشـعب وروحـه.. وبعـد السـيطرة علـى العقل والروح تسهل السيطرة على كل شىء.. وليس هناك طريق أسهل مـن طريق الدين.. يسلكه صاحبه علنا وجهرًا وبصوت عال، ويستخدم مكبرات الصوت.. ويسير به فى الطرقات.. ويفخـر.. ويبـاهى.. وإذا أرادت الدولـة أن تحمى أمنها القومى يسهل الصياح بأن الدولة ضد الدين(!).

من هنا جاءت هذه الهجمة.. لترفع شعار أن هـذا مجتمـع كـافر.. لأنـه لا يطبـق الشـريعة.. ولأن أهلـه يقدمـون النـذر لغـير الله.. ولأنـهم يـزورون الأضرحة.. ولأن فيهم من يدّعـى علـم الغيـب عـن طريـق السـحر وغـيره.. وأرجو أن نتأمل كل عبارة وكل كلمة من هـذه الكلمـات ومـا بعدهـا، لأننـا سنرى أنها جميعا ينطبق عليها وصف أنها «كلمة حق يراد بها باطل» فقد تكـون هنـاك أخطـاء فـى الممارسـات الدينيـة تحتـاج إلى تعليـم وتصحيـح المفاهيم، لأنها نتيجة الأمية الدينية، ولكنها لا تصلح أبدًا للحكم على كـل هؤلاء المسلمين المخلصين - وهم ملايين - بأنهم كفرة!..

ولأنهم يستغلون الأميـة الدينيـة فإنـهم يقدمـون أفكـارًا لا يعـرف عامـة الناس أصلها، ولا فصلـها، ولا يعلمـون تـاريخ كـل فكـرة منـها، وفـى أى ظـروف نشـأت وتطـورت، ومـا إذا كـانت تنطبـق علينـا فـى هـذا الوقــت

الحاضر، أم أنها كانت صالحة فى زمان مضـى، ولقوم كـانت لهـم ثقافـة وظروف اجتماعية وحضارية، وجذور دينية، مختلفة عما نحن عليه..

يقولون لعامة الناس الطيبـين إنَّ مصـر دار حـرب، وليسـت دار إسـلام. حتى لو كان معظم أهلها مسلمين، لأن دار الإسـلام هـى التـى يكـون فيـها الحكـم بالشـريعة، ولذلـك فـالحرب قائمـة بـين الحكومـة والمتدينـين، والمتظاهرين بالمظهر الإسلامى.. والحـرب عندهـم أنـواع.. حـرب الإرهـاب والقتـل وإراقـة الدمـاء.. وحـرب بـالدعوة مـن علـى المنـابر «وهـى للإسـف مفتوحة مستباحة لكل من أراد أن يعتلى منبرا ويمسك بمكبر صوت ويجعل نفسه إماما للجمعة ولغيرها»، إلى جانب الحرب الإعلامية.

ولهم أبحاث ودراسات فى كيفية استغلال مناخ الحريات المتـاح، لكـى يتحرك أصحاب الأقلام بكتابات ظاهرها الهـدوء والموضوعيـة والإخـلاص، وباطنها تعميق الشعور والفكر بأن المجتمع المصرى مجتمـع كـافر، باعتبـار هذه القضية هـى المقدمـة الأساسـية التـى يـأتى بنـاء فكـر كـامل للإرهـاب والتطرف عليها.. وإلى جانب مجموعة الكتـاب الهـادئين الموضوعيـين فـى الظاهر هناك مجموعة كتاب لتهييج المشاعر وإثارة الانفعـالات والشـك فـى النفوس ضد الدولة.. بأخبار.. وتعليقات.. وتحليلات.. وتحقيقات.. كلـها روافد تصب فى مصب واحد، وتريد أن تنتـهى بالنـاس إلى حقيقـة واحـدة هى: هذا مجتمع كافر، ومصر دار حرب وليست دار إسلام.

❁❁❁

ونتيجة للأمية الدينية لا يعـرف الأميُّـون أن المسلم الحـق يجـب عليـه ألاّ يسارع بالحكم على أحد بـالكفر، لأن الإيمـان والكفـر محلـهما القلـب، ولا يطلع على ما فى القلوب غير الله سبحانه وتعالى، وليست كل الأعراض – أو القرائن – الظاهرة مما يكفى كأدلة يقينية على ما فى القلـب، وأقصـى

ما تصل إليه هو الظن.. والقرآن نهى المسلمين عن اتباع الظن.. ونبه إلى أن (بعض الظن إثم) وتطبيقا لذلك نهر الرسول ﷺ صحابيا جليلا هو أسامة ابن زيد لأنه قتل واحدا من الكافرين ألقى عليه السلام، وقال له الرسول: «هلا شققت عن قلبه؟!»). ويكفى أن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين أمرا صريحا بقوله: ﴿ **يا أيُّها الذين امنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا، تبتغون عرض الحياة الدنيا، فعند الله مغانم كثيرة، كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم، فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا** ﴾ [النساء ٩٤].

نتيجة للأمية الدينية لا يعرف عامة المسلمين الطيبين كل هذا، ولا يعرفون أن الرسول ﷺ منع المسلمين من اتهام أحد بالكفر وهو يعلن إسلامه، ويقال: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما» ومعنى ذلك أنَّك إذا قلت لمسلم أنت كافر، والله يعلم أن هذا الرجل مسلم بحق. أصبحت أنت الكافر عند الله.. لماذا؟ لأن تهمة الكفر تهمة كبيرة بحيث لا يملك إنسان سلطة إصدار الحكم بها، والإسلام يدعو إلى درء الحدود بالشبهات.. وهذا ما دعا الفقيه الجليل الإمام مالك إلى أن يقول: «من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها، ويحتمل الإيمان من وجه، حُمل على الإيمان»، وهذا أيضا ما دعا الفاروق عمر رضى الله عنه إلى أن يقول: «إن ناسا كانوا يأخذون بالوحى فى عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحى قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمنَّاه وقربناه، وليس لنا من سريرته شىء، والله يحاسبه فى سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه، ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة»..

ولا يعرف الناس العاديون — نتيجة الأمية الدينية — أنه لا يجوز تلقى المعلومات عن الإسلام من عالم واحد، أو من مؤلف واحد، أو من

مصدر واحد، وبخاصة فى الأمور الاجتهادية، لأنه - بعد المعصومﷺ - ليس هناك إنسان معصوم.. وجماعات التطرف والإرهاب تعتمد على كتب معينة، وعلى آراء مفكر واحد، أو مفكرين، دون اعتبار للكتب الأساسية الأخرى، ودون دراسة وافية للظروف التى نشأ فيها أصحاب هذه الكتب، وألفوا فيها هذه الكتب، وروَّجوا على أساسها هذه الأفكار. فهم يعتمدون مثلا على كتب ابن تيمية دون دراسة للجو الذى عاش فيه هذا المفكر الكبير، ومن الخطأ قياس ظروفه على ظروفنا، ومجتمعه على مجتمعنا، فابن تيمية كان يضع مذهبه فى الدفاع عن الإسلام متشددًا فى مواجهة التتار ومن يؤيدونهم من أصحاب المذاهب والقيادات، ولذلك نجده يتحدث عن «الطاغوت» ويدعو إلى قتالهم، على الرغم من ظهورهم مع المسلمين وهم يؤدون بعض العبادات كالصلاة والصيام.. لأن ابن تيمية كان يعلم أن التتار يظهرون الإسلام أمام الناس، ولكن من رأى حياتهم داخل معسكراتهم يعلم أنهم كفار عقيدة، وأنهم يريدون قهر البلاد الإسلامية، وأنهم يرتكبون كل ما حرم الله فكيف نأخذ آراء ابن تيمية عن التتار ونطبقها على المصريين؟ أليس هذا جهلاً فاضحًا.. يخرج من الجهل إلى سوء النية.. والقصد الإجرامى الذى يدين صاحبه؟..

ولو قرأنا «فتاوى ابن تيمية» فسنجد أن التتار جعلوا «جنكيزخان» بمنزلة رسول الله ﷺ، بل قالوا إنَّه ابن الله، ونصوا على أن الشمس هى أبوه لأنه مجهول الأب (!) وابن تيمية له موقف من مصر وعلمائها، حين قابلوه عند قدومه من الشام بما لم يكن ينتظره منهم، رماهم بما يقرب من الشرك لعدم إنكارهم لزيارة الأضرحة، والتوسل بالأولياء، وغير ذلك مما أورده فى كتابه عن التوسل والوسيلة، مما يحتمل المناقشة، ربما لأنه لم يدرك كيف أن المصريين عندما يزورون الأولياء لا يشركونهم مع الله،

ولكنهم يريدون إظهار المحبة لأهل البيت وللصالحين، ويسألون الله ولا يسألون أحدًا غير الله، عند زيارتهم للأولياء، وهذا المفهوم الخاص قد لا يفهمه من هو غريب عن مصر والمصريين. فليس في المصريين من يطلب من الحسين أو السيدة زينب الشفاء من مرض، أو الغنى من فقر، أو قضاء حاجة، أو عملا لعاطل، ولكنه يذهب إلى ضريح الحسين أو السيدة باعتباره مكانًا طاهرًا، يكثر فيه الدعاء وذكر الله، وحيث يكثر الذكر تتنزل الملائكة.. وفى هذا الجو الروحى يسأل الناس الله.. ويتجهون إلى الله.. ولا يخطر ببال أحد من السائلين أن للحسين أو للسيدة إرادة تفعل.. ولكن الإرادة إرادة الله وحده ولا شريك.. هذه المسألة لا يفهمها إلاّ من يتغلغل فى فهم المصريين ويكون منهم.

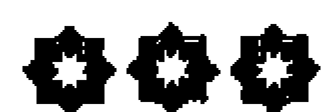
وهكذا يعتمد المتطرفون والإرهابيون على بعض المذاهب المتشددة التى نشأت فى ظروف معينة. وبعضها يصل بالتشدد إلى الأخذ بالشبهة والظن للحكم بالكفر. وذلك يتعارض معارضة صريحة مع سماحة الإسلام الذى يأمرنا أمرًا صريحاً لا لبس فيه بالتثبت وعدم الاعتماد على الظن، إلى جانب أن بعض أصحاب المذاهب ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ ويتمسكون بنظرياتهم المتشددة لأسباب سياسية أو شخصية أو قبلية.. ونفس الشيء ينطبق على أفكار أبى الأعلى المودودى الذى عاش وسط اضطهاد المسلمين فى الهند، فكان من الطبيعى أن يحكم على مجتمعه بالكفر، وأن يدعو إلى إنقاذ المسلمين من المذابح التى كانوا يتعرضون لها من السيخ وغيرهم من الطوائف.

وهذا كله لا يصلح لمصر.

ولكن كيف يعرف الناس العاديون الفرق بين فكر وفكر.. وبين مذهب ومذهب وبين كلام هو الإسلام بحق.. وكلام آخر عن الإسلام فى حلاوة العسل، ولكن السم يختفى فى هذه الحلاوة؟

ألا يحتاج الأمر إلى أن تتحـرك كـل الأجـهزة.. وكـل الهيئـات.. وكـل المفكرين. وكل المثقفين.. وكل وسائل الإعلام.. وكل المساجد.. والمـدارس.. والجامعات لتنفيذ حملة واسعة جدًا، تصل إلى كــل فـرد.. إلى كـل رجـل. وكل سيدة.. وكل طفل.. لمحو الأمية الدينية.. ومهما كلفتنا من مال وجهد يجب ألا نتوانى أو نتأخر.. لأن الوقاية أفضل وأرخص من العلاج..

وربما يحتاج الموضوع إلى بقية.. والله أعلم.



من فى حزب الله ..
ومن فى حزب الشيطان ؟!

يبدو أن الحديث عن «الأمية الدينية» يحتاج إلى بعض التفاصيل ، لأنه يتصل بأخطر قضية فرضت نفسها علينا فى الفترة الأخـيرة ، وهـى ظـهور نوع جديد من الجريمة المنظمة يدعى الدفاع عـن الإسـلام ، ويتظـاهر بأنـه يمثل «حزب الله» أرسلته العناية الإلهية لقتلنا وترويع الآمنين منا ، وطعن الناس في ظهورهم ، وكل ذلك تحت شعار «هذا مجتمـع كـافر .. وتجـب إقامـة المجتمـع الإسـلامي» ، والقضيـة ليسـت كذلـك .. لأن أفـراد هــذه العصابات ليسوا حزب الله ، والمجتمع المصرى ليس من حزب الشيطان ، وهدفهم الحقيقى - الخفى والمستتر كما رسمه قادتهم والرءوس العليا المدبرة - ليس إقامة المجتمع المسـلم ، ولا الحكـم بالشـريعة كمـا يدعـون .. لسـبب واحد ، هو أن شـعب مصـر مسـلم ولا يملـك أحـد الشـك أو التشـكيك فـى إسلامه ، والحكم فى مصـر قـائم علـى أن الشـريعة هـى المصـدر الأساسـى للتشريع ، وإذا كنا نأخذ بمنهج التدرج ، فهذا هو المنهج الذى يرضى عنه الله ورسوله.. ليست القضية هى الشريعة.. القضية هى العدوان على مصر.. شن حرب عليـها بأسـلوب جديـد.. وبـأيد مصريـة .. تقـوم بـدور الطـابور الخامس دون أن تدرى.. والمناخ كله في النهايـة يسـمح بوجـود مثـل هـذا الخلط .. ويعطى الفرصة للكاذبين ليزينوا زيفهم وكذبهم على عامة الناس، مستغلين فى ذلك الأمية الدينية السائدة بينهم ..

ومن هنـا فـإن واجـب الكـل أن يخـوض هـذه المعركـة .. لمحـو الأميـة الدينية .

أقول ذلك وأنا أتعجب من عقول وصل بـها الفساد إلى درجـة لم يسبق لها مثيل .. ويكفى أن نستعيد قصة اغتيال ضابط الشرطة الشهيد اللواء رءوف خيرت كما تكشفت فى التحقيقات بعد القبض على بعض المتهمين فيها .. لنرى إن كان هناك معتوه أو مجنون يمكن أن يفهمها .. أين تعرَّف القتلة على رءوف خيرت ؟ وأين رأوه أول مرة وتكررت رؤيتهم له ؟ فى ماخور ؟ .. فى بيت فساد ؟ .. فى ناد للقمار ؟ .. لا ! فى معبد يصلى فيه للات والعزى ويسجد للأصنام ؟ .. لا ! . لقد رأوه وتعرفوا عليه فى مسجد .. فى صلاة الجمعة وقرروا قتله وظلوا يراقبون تحركه من وإلى المسجد .

رأوه يتردد على المسجد القريب من بيته يركع ويسجد لله .. فحكموا عليه بالكفر .. واعتبروه من حزب الشيطان .. واعتبروا أنفسهم جنود الله وأعضاء فى حزبه .. فأصدروا القرار باغتياله غدرًا ! .

أليس هذا جنونًا ! أم هو قمة الإجرام ؟

وإن لك يكن جنونا فأى جريمة هذه ؟ وأى مجرمين هؤلاء ؟

✿✿✿

المسلمون الذين تخلصوا من الأمية الدينية يعرفون مشهدا بالغ التأثير والدلالة فى تاريخ الإسلام .. يكفى وحده معرفة كيف تحكم على إسلام المسلم .. ويغنى عن كثير من الشروح ..

المشهد :أبو طالب ، عم الرسول (ﷺ) وهو يحتضر فى فراش الموت ، والرسول (ﷺ) إلى جواره يلح عليه أن ينطق ، «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله» حتى يشهد بها له عند الله .

هذا المشهد المؤثر الذى سجله لنا البخارى ومسلم .. ما معناه ؟

معناه أن من ينطق بالشهادتين فهو مسلم ، ولا يشترط أن تكون سائر أعماله مصدقة لشهادته ، ومعناه أن من نطق بالشهادتين يلزمنا اعتباره على الفور مسلما ، ويحرم علينا دمه وماله .. وإلا فما جدوى هذه الشهادة التى كان الرسول يطلبها من عمه فى لحظة الاحتضار إن كانت بذاتها لا تخرج قائلها من الكفر وتدخل به فى الإسلام ؟

ألم يسمعوا قول الله تعالى : ﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب** ﴾ (النحل ١١٦) وقوله تعالى : ﴿ **قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير حق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ (الأعراف ٣٣) ؟

فلماذا يقف هؤلاء صغار السن .. قليلو التجربة .. ليقولوا على الله ما لا يعلمون ؟

وليس هذا شيئا جديدا .. فالمؤامرة قديمة .. ها جذور .. ولها تاريخ ..

ففى الستينات ظهرت دعوة تكفير المجتمع ، واستندت إلى بعض أقوال قُطِعت من سياقها التاريخى من فتاوى ابن تيمية ومن آراء أبى الأعلى المودودى ، ورددها سيد قطب ، وتلقفتها مجموعة من المتآمرين جعلوا منها لعبة ليحكموا بها على المجتمع كله بالكفر ، وعلى كل فرد من أفراده ، ووجدوا من يزرع فى عقولهم هذه الأفكار المسمومة ، ويفتح لهم معسكرات التدريب على الاغتيال والقيام بعمليات الإرهاب ، ويعطيهم السلاح والأموال ، وسقط بعض الشباب فى الفخ بسهولة نتيجة تقاعس أجهزة الدعوة والتوجيه والتعليم والإعلام لسنوات طويلة جدًا عن القيام بواجبها فى محو هذه الأمية الدينية .

وفى تلك الفترة انزعج حسن الهضيبى مرشد الإخوان المسلمين أيامها ، وكتب يقول إن حكم الناطق بالشهادتين أنه مسلم ، تجرى عليه أحكام

المسلمين ، وليس لنا أن نبحث فى مدى صدق شهادته ، إذ أن ذلك متعلق بما استشعره واستيقنه بقلبه ، وهو أمر لا سبيل لنا للكشف عنه ، والتثبت منه ، ولكن ذلك شأن الذى يعلم السر وأخفى ..

والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة . ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة «حبة قمح» ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وكان فى قلبه ما يزن ذرة) ، وهذا الحديث الشريف لأهميته البالغة يمثل علامة فاصلة فى الحكم على إسلام المسلم ، وأعتقد أنه يجب أن يُقَرر على كل سنوات الدراسة من الحضانة إلى الجامعة ، لكى يخرس ألسنة الذين يدعون أن الناطق بالشهادتين لا يكفى نطقه بهما ليكون مسلما .. وابحثوا عن هذا الحديث الهام فى كل كتب الحديث وستجدونه ، لأنه حديث متفق عليه ، وهو لا يخرج عن الإطار الصحيح لفهم الآية الكريمة التى تحدد حكم الله على الناس جميعا : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ . (النساء ٤٨)

هل تريدون أكثر من ذلك ؟

ذهب المقداد بن عمرو الكندى – وهو من الصحابة الذين شهدوا غزوة بدر – إلى الرسول ﷺ وقال : يا رسول الله ، إن لقيت كافرًا فاقتتلنا ، فضرب يدى بالسيف فقطعها ، ثم لاذ بشجرة ، وقال أسلمت لله .. أقتله بعد أن قالها ؟ فقال له الرسول بحسم وبوضوح لا يحتمل أى تأويل أو لبس : (لا تقتله) قال المقداد : يا رسول الله فإنه طرح إحدى يدى ثم قال بعد ذلك ما قطعها . أقتله ؟ قال الرسول وبوضوح أكبر وحسم أشد : (لا تقتله) ثم استطرد : (فإن قتلته ، فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال) .

ما معنى ذلك ؟

معناه أن العدو .. المشرك .. الكافر .. الذى أصابك وقطع جزءا من لحمك.. وأسال دمك .. وهدد حياتك .. إذا قال إنه مسلم .. فإن قوله هذا يلزمك .. أصبح حجة عليك .. وقد صار عند الله مسلما.. فإذا قتلته أصبحت أنت الكافر .

هل يعرف الشباب هذا الحديث ؟ وهل يدرسونه فى المدارس .. أو أن الأمية الدينية ما زالت هى الغالبة ؟

وحديث آخر رواه أبو ذر الغفارى .. قال فيه الرسول ﷺ : (ذلك جبريل أتانى ، فقال من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : وإن زنا وإن سرق) .

كل ذلك معناه شىء واحد ، قاطع ، لا يحتاج إلى تفسير ، أو تأويل ، أو اجتهاد .. شىء يلزم كل مسلم • إن كان مسلما – هو أن الله يأمرنا بأن نعتبر من نطق بالشهادتين مسلما ، تجرى عليه أحكام المسلمين ، وندع سريرته وما فى قلبه إلى عالم السرائر والمطلع على ما تخفى القلوب سبحانه وتعالى ، إذ لا يحكم على الضمائر والقلوب إلا هو ..

وغريب أن نجد فى «فقه الإرهاب» من يعلِّم الشباب الساذج الواقع تحت سيطرة الأمية الدينية مفاهيم غريبة عن الإسلام السنى الصحيح المعتدل ، مثل القول بأن من ينطق بالشهادتين فى هذا العصر لا يعتبر مسلما ، لأن معنى الشهادتين تبدل فى الوقت الحاضر وتغير ولم يعد مفهوما على حقيقته ..

مع أنه لم يرد فى الشريعة ما يفيد الربط بين معنى محدد للألوهية والربوبية بين الناس وقبول شهادتهم بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وحكمنا عليهم بالإسلام .. فقد قبل الرسول ﷺ إسلام الناس الذين

دخلوا فى دين الله أفواجا من العرب ومن العجم دون أن يشترط لقبول إسلامهم أى شروط ، أو يحدد لهم مفاهيم معينة للشهادتين ، بل إن بعض الذين نطقوا أمام الرسول بالشهادتين كانوا يجهلون حقيقة معانى بعض الألفاظ ، حتى إن بعضهم قالوا له بعد نطقهم بالشهادتين : «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» ، أى أنهم طلبوا بأن تكون لهم أوثان من بقايا الجاهلية ، وأنهم أرادوا الاحتفاظ ببعض مظاهر الشرك ، فلم يحكم الرسول عليهم بالكفر ، ولم يرفض إسلامهم .. ولكن علّمهم ما لم يكونوا يعلمون .. لأنه مأمور بأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وبأن يجادل بالتى هى أحسن .. ولابد أن نضع فى اعتبارنا أن الإسلام ليس دينا للعرب وحدهم ، ولكنه دين للناس أجمعين ، فما حكم من يتحدث بالفرنسية أو الصينية أو اليابانية ونطق بالشهادتين وقال أنا مسلم ؟ هل نرفض إسلامه لأنه لا يفهم معانى الشهادتين كما فهمها الصحابة ؟ هل نقتله .. أو ندخله فى زمرة المسلمين ونعلمه الدين بالحسنى .. وبالتى هى أحسن ؟

ويقول حسن الهضيبى ما هو أكثر من الرد علىّ من يحكمون على المسلمين بالكفر .. بأن الاحتجاج بالحديث : (ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل) بأن هذا الحديث ليس فى كتب الحديث المعتمدة ، كما أن عمد كتب الفقه التى تعرضت لقضية الكفر والإيمان لم تشر إليه ، بل قال ابن تيمية ، والغزالى ، والقرطبى ، إن هذا ليس حديثًا ، ولكنه قول الحسن البصرى ، أو لعلى بن أبى طالب .. وعلى فرض صحة هذا الحديث فإن الرسول ﷺ سمى النطق بالشهادتين عملا ، وذلك عندما سئل : أى العمل أفضل ؟ فقال : (إيمان بالله ورسوله) .. وعندما جاء وفد عبد القيس ليعلنوا إسلامهم قالوا للرسول ﷺ إنهم يعيشون بعيدا عنه وسألوه أن يأمرهم بما يخبرون به بقية أهلهم البعيدين لكى

يدخلوا الجنة ، فكان أول ما أمرهم به ﷺ (الإيمان بالله وحده) ثم قال : (هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) .. وهكذا عرَّف الإيمان بالله بأنه الشهادتان ، وسمى النطق بالشهادتين عملاً .. وبذلك يكون الثابت يقينا أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله يكون قد أتى عملا .. وحكم الله فيه أنه مسلم .

وليس هناك حجة تعطى لمسلم الحق في التفتيش في قلوب المسلمين وضمائرهم للحكم بصدق إسلامهم أو بكذبه .. وهناك نص صريح بذلك من الرسول ﷺ ، حين قال خالد بن الوليد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه . فقال ﷺ : (إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم) وهذا الحديث رواه مسلم .

فكيف إذن يرى المجرمون ضابط الشرطة الشهيد في بيت الله ، راكعا، ساجدا، ناطقا بالشهادتين ، ومؤديا لركن من أركان الإسلام بالصلاة .. ثم يحكمون بأنه كافر .. وبأنه من حزب الشيطان .. ويدعون أنهم – القتلة– هم المسلمون حقا ، وأنهم في حزب الله ؟

كيف ؟ كيف يسمح بكل هذا الخلط وفساد العقل ؟

كيف وأهل الفقه الثقات مجمعون على أن المسلم إذا ارتكب معصية لا يجوز الحكم عليه بالكفر .. ما دام يأتي المعصية وهو مقر بحكم الله ، وعلى العكس فإن هؤلاء القتلة حكم الله عليهم حكما قاطعا بقوله : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعد له عذابًا عظيمًا** ﴾ . (النساء ٩٣)

وأخيرًا فإن الرسول ﷺ قطع في المسألة بما لا يدع مجالاً لاجتهاد بقوله: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة .. قال

أبو ذر الغفارى : يا رسول الله ، وإن زنا وإن سرق ؟ قال الرسول : وإن زنا وإن سرق !.

إذن لا يخرج المسلم من الإيمان ما دام على الشهادتين ..

والمسلمون درجات كما فى تصنيف الفقهاء .. فيهم البار .. وفيهم الفاجر .. ولكن الجميع مسلمون .. ليس من حق أحد أن يخرج الفاجر من دائرة الإسلام والمسلمين .. بل إن الفقهاء – كما ردد حسن الهضيبى فى رده على الشباب الضال الجامح – يقولون إن الصلاة صحيحة خلف كل بار وفاجر من أهل القبيلة ، وعلى من مات منهم ، لا تنزل أحدا منهم جنة ولا نارا.. ولا نشهد عليهم بكفر ولا شرك ما لم يظهر منهم شىء من ذلك .. وندع سرائرهم لله تعالى .

❁❁❁

ما كان أغنانا عن ضياع الوقت فى إعادة التقليب فى الأوراق القديمة وبحث قضايا سبق بحثها ، بل قتلت بحثا ، لولا هناك دوائر أحكمت خطة لتدمير الإسلام من داخله ، وعلى أيدى بعض أبنائه ، وأعدت لذلك استراتيجية شاملة ظهرت آثارها فى أكثر من بلد من بلاد المسلمين .. كلها تعزف على «نوتة» واحدة .. مجتمعات المسلمين كافرة .. يقولون ذلك فى الجزائر وتونس ، والمغرب ، والأردن ، ومصر ، وفلسطين ، والصومال .. ما هذا؟ هل كل المسلمين كفرة ؟ وهل المسلمون حقا هم هذه الحفنة من الشباب المحدود الثقافة والقدرة على معرفة التيارات السياسية العالية وطبيعة المؤامرات الكبرى فى التاريخ القديم والحديث؟

لابد أن نشعر بالقلق مرتين :

نشعر بالقلق أولا لأن الفكر المنحرف للإسلام تمكن من اختراق صفوف المسلمين فى بعض البلاد الإسلامية ، وهذا خطر يهدد العالم الإسلامى

بالانشغال بالخلافات الداخلية والتقاتل فيما بينهم ، وينعم عدوهم بالهدوء والسلامة . ونشعر بالقلق ثانيا لأن الأجهزة المسئولة عن مكافحة «الأمية الدينية» كلها مقصرة عن أداء دورها ولو كانت تقوم بواجبها لما كان لهذه الأمية الدينية وجود ، ولكنها موجودة ومنتشرة ، وتمثل سحابة سوداء كبيرة تحجب ضوء الشمس .. ضوء العقل .. تحجب الحقيقة .. وتشوه صورة الإسلام الصحيح . فمتى تنقشع هذه الغمامة ليعود الصفاء والنور إلى القلوب ويسود السلام علاقات المسلمين بعضهم ببعض كما أمرهم ربهم .. ويكون اختلافهم فى الرأى فى إطار الحكمة الحسنة وبالتى هى أحسن ؟

✿✿✿

ونعود إلى هذا التصنيف المغلوط الذى يروجه المرجفون عن حزب الله وحزب الشيطان .

حزب الله هو كل من قال لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

وحزب الشيطان هو كل من قاتل أو قتل مسلما نطق بالشهادتين ، وشكك فى إسلام مسلم ، ليثير فتنة بين المسلمين .. والفتنة أشد من القتل ..

حزب الشيطان هو من ينكر صحيح الإسلام ، ويبتدع تفسيرات غريبة ، ويدعى على الله غير الحق ..

حزب الشيطان هو من يحرص على قتل المسلمين .. ويقدم السلاح والأموال لضحاياه بعد تخديرهم بمفاهيم مسمومة .. أشد فتكا من الأغذية المسمومة .. فهذه تسمم البدن فيمكن علاجه .. وتلك تسمم العقل فلا يكون من السهل علاجها .

حزب الشيطان هو من يحرص على قتل مسلم بعـد أن رآه يسـجد لله .. ويتهمه بأنه كافر .. والرسول يقول : (إذا رأيتم الرجل يتردد على المساجد فاشهدوا له بالإيمان) .

وأخيرا من ينتصر ؟

هذا سؤال لا يطرح أبدًا ..

لأن حزب الشيطان مهزوم بإذن الله وبوعده .. ومن أشد وفاء بالوعد من الله .. ؟

وتبقى قضية الأمية الدينية مسئوليتنا الملحة الآن .



نجيب محفوظ سيبقى ..
والإرهـــاب إلى زوال

ما معنى أن يتقدم شاب فى العشرين من عمره ، محدود الفكر ، محدود الثقافة ، محدود التجربة ، ليمسك سكينا ، ويتربص برجل فى الثالثة والثمانين من عمره ، يخرج من بيته ساعة الغروب ، هادئا ، مسالما ، فيغرس السكين فى رقبته ، ثم يفر هاربًا ، وهو يظن أنه حقق نصرًا يرضى به نفسه ، ويرضى أمراءه ، وسادته ، الذين يحركونه ؟! ..

وما معنى أن يكون هذا الشيخ هو نجيب محفوظ .. الكاتب .. المفكر .. الرمز الحى ، والوجه المضىء لضمير وعقل مصر الآن.. الذى يقرأ له العالم روائعه بكل اللغات .. وتشير إليه الدنيا وتقول : هذه العبقرية المصرية قدمت الكثير للإنسانية .. قدمت أرقى ما يقدمه البشر من إنتاج العقل والوجدان ؟! ..

معناه – فى نظرى – شىء واحد ، هو أن هناك خللاً ما يحدث فى عقول قطاع من الشباب يدفعه إلى جريمة مركبة .. قتل النفس التى حرم الله .. ومحاولة قتل وطن .. وهذا يدفعنا إلى أن نسأل : لماذا اختاروا نجيب محفوظ هذه المرة ؟ وما هى دلالة حدث كهذا ، من زاوية سياسية واجتماعية ؟ وكيف نحمى مجتمعنا فلا يظهر فيه أمثال هذا الشباب الضال الذى يلحق ببلدنا ، وبعصرنا عارًا لا يمحوه الزمن؟ عار الاتهام بأن هذا الجيل لم يرع الله فى وطنه ، وفى رجاله الذين اختصهم بمواهب نادرة لا يمنحها لكثير من خلقه .. وكل الدنيا تضع مفكريها ومثقفيها على الرءوس .. وفى مقدمة الصفوف .. لأنهم ضمير الأمة .. وعقل الأمة ..

وليس هناك شعب يحترم نفسه ويعمل لمستقبله ، يسمح بالمساس بالضمير والعقل فى أى ظرف ، وتحت أى ادعاء .

❁❁❁

ونجيب محفوظ بالذات له مكانة خاصة فى نفوس المصريين .. والعرب.. والعالم .. ولذلك أقول إن (غرفة العمليات) التى تنظم وتدير عمليات الإرهاب قد ارتكبت خطأ قاتلا كشفت به نفسها .. فظهر للعالم بما لا يقبل أى شك ، إن ما يحدث فى مصر ليس تحركا للحكم بشريعة الله ، وليس دعوة لإقامة حكم الله ، ولكن ما يحدث هو جرائم تخريب ، وقتل ، وتدمير ، تديرها أجهزة ، تحرك مجموعات من المخدوعين والمأجورين .. لا أكثر .. وتعطيهم غطاء فكريا يغطى هذه الجرائم ، ويعطيها صبغة سياسية أو عقائدية .. بينما هى سعى منظم ومخطط من أعداء حقيقيين، يفكرون ، ويخططون ، ويجندون ضحاياهم من بين شبابنا ، لكى يضربوا الاقتصاد مرة ، ويصيبوا بالشلل حركة السياحة مرة أخرى ، ويبعثوا رسائل تحذير إلى المفكرين ليتوقفوا عن التفكير .. هم يريدون أن يصيبوا مصر بالشلل .. يريدون أن يصل الشلل إلى الاقتصاد .. وإلى الحياة اليومية .. وإلى العقل المفكر .. لكى تتحول مصر – على أيديهم – إلى ساحة مظلمة من الغباء والجهل والفقر والتخلف.. مع شعارات رنانة عن شريعة الله والحكم بما أنزل الله ، وبإلصاق تهمة الكفر بكل من يحاول أن يقول كلمة الحق ..

هل ننتظر إلى أن يعم مصر هذا الظلام ؟

وهل نسكت عن مؤامرة كبيرة تحاك خيوطها خارج الحدود ، وينفذها مصريون تعرضوا لعمليات من «غسيل المخ» و «محو الإرادة» و «تغيير

الشخصية» .. بحيث أصبحوا الآن فى أيدى من يحركونهم من بعد بالريموت كنترول ؟.

أليس من واجب المثقفين أن يتحركوا ، وتعلو أصواتهم بالرفض ، ويعلنوا كلمتهم بقوة .. وبصراحة .. وبشجاعة .. لن يتراجع العقل المصرى أمام الإرهاب .. ولن يتخاذل الفكر المصرى عن أداء دوره ، وتحمل مسئوليته الكبيرة فى هذه المحنة ، ليقف .. ويتصدى .. ويقاوم . كل هذا الجهل والضلال التى تم تصديره إلينا ، وتسلل إلى صفوفنا ، ونحن غافلون ؟

❁❁❁

ونجيب محفوظ بالذات كإنسان .. رجل لا يستطيع إنسان أن يحمل له ذورة من الكراهية .. بل هو نموذج نادر فى حبه لمصر ولأهلها .. وقدوة فى عمله .

نموذج فى حب مصر وأهلها .. ولذلك عاش فى حوارى القاهرة بقلبه وعقله ، وكان يستطيع أن يعيش فى قصر بعيدا عن الناس .. لكنه اختار أن يعيش فى القهوة والحارة .. ولا يستطيع من يقرأ بداية ونهاية ، والقاهرة الجديدة ، وزقاق المدق ، وبين القصرين .. وعشرات غيرها من القصص والروايات دون أن يعجب كيف استطاع قلب رجل واحد أن يختزن حب المصريين جميعًا إلى هذا الحد . إلى حد أن يخلدها فى نماذج بشرية صاغها بدقة وبراعة ومقدرة فنية نادرة ؟

وهو قدوة ..

ولأنى كنت قريبًا من نجيب محفوظ أتابعه عن كثب طوال أربعين عامًا على الأقل متابعة دقيقة تجعلنى أقول إننى أتمنى أن يكون لدينا آلاف من

أمثال هذا الرجل فى إخلاصه .. وسلوكه .. وتواضعه .. ودأبه على العمل دون انتظار جزاء .

بدايته كاتب مقالات فى الفلسفة ، وبعدها انتقل إلى الروايات الأولى التى تصور حياة المصريين فى بدايات هذا القرن من خلال أحداث وشخصيات من العصر الفرعونى .. وبعدها انتقل إلى الروايات الواقعية الاجتماعية والنفسية .. وإلى مزيج من الأدب الرمزى والتأمل فى الحياة والمجتمع ومسيرة البشر .. رحلة عقل وروح .. طويلة ..لكنها دائما مخلصة لدورها .. ودور المثقف أن يكون فى الطليعة .. يقول الحق .. ويشير إلى مواطن الخلل .. ويعرى السلبيات.. ويفتح الطريق أمام المستقبل .. وقد فعل نجيب محفوظ ذلك بغاية الإخلاص دون أن يطلب الثمن .

كان موظفا فى وزارة الأوقاف .. ولم يطلب امتيازا يتناسب مع عبقريته بل كان يؤدى واجبات وظيفته بغاية الإخلاص من الثامنة صباحا بالضبط إلى الثانية بعد الظهر بالضبط دون أن يتهرب من أعمال الوظيفة بادعاء أن لديه ما يشغله مما هو أهم منها .

وكان موظفا فى وزارة الثقافة فكان الموظف المثالى .. أول من يصل إلى مكتبه .. وآخر من يغادره .. ولا يطلب مكافأة .. ولا أجرًا إضافيًا .. ولا حوافز .. ولا ترقيات استثنائية .

وقد اقتربت منه أكثر فى (الأهرام) وكان يذهلنى بدقته وانتظامه والتزامه وحرصه على أداء الواجب مهما كانت الظروف .

ولمدة أربعة عشرة عاما كنت مسئولا فى الأهرام عن صفحات الرأى .. وهو يكتب مقالاً صغيرا كل يوم خميس فى باب «وجهة نظر» الذى يتبادل الكتابة فيه الكتاب والصحفيون فى الأهرام .. وبتواضع شديد لم يطلب أن يميز مقاله فى المساحة .. أو الإخراج .. أو أن يكتب اسمه بشكل خاص

متميز .. ولو طلب لاستجاب الأهرام فورا .. وهذا حقه .. ولكنه اختار - وأصر - على أن يكتب كواحد من تلاميذه فى نفس المكان ، وتحت نفس العنوان ، وبنفس المساحة ، ودون معاملة تفضيلية تليق بكاتب حاصل على جائزة نوبل ، ويتحدث عنه العالم باحترام كبير ، وتمنح جامعات أوروبا وأمريكا واليابان درجات الماجستير والدكتوراه للباحثين فى أدبه وفكره .

وطوال أربعة عشر عاما لم ينقطع نجيب محفوظ عن الكتابة أبدا ، لأى سبب .. لا يوقفه المرض .. وقد تعرض للمرض كثيرا .. فى عينيه .. وأذنيه .. وعانى من مضاعفات السكر .. ولكنه ظل يكتب بانتظام ، لأن هذا هو «الواجب» .. وفكرة الواجب والالتزام به ، تمثل محورًا أساسيًا فى فهم شخصية هذا العملاق النادر المثال .

حتى عندما كان يسافر إلى الإسكندرية فى شهور الصيف ، كان يبعث بمقالات تكفى الشهر بعدد أيام الخميس التى تقع فيه ، أربعة ، أو خمسة ، دون أن يخطئ الحساب.. وقبل أن ينتهى (الرصيد) يبعث بمجموعة أخرى .. وهكذا .. حتى إننى كنت أكلم نفسى : أى نوع من الناس هذا الرجل ؟ ما كل هذا القدر من الإحساس بالمسئولية .. والالتزام بأداء الواجب .. وتقديس العمل حتى يصبح مقدما على كل ما فى حياته من أعمال ومسئوليات .. دون أن تعوقه ظروف الصحة أو الأسرة أو ضيق الوقت ..

حتى عندما فاز بجائزة نوبل ، أعددت نفسى للتعامل مع نجيب محفوظ آخر ، يتحدث من أنفه ، ويترفع على أمثالى ، ويرى أن مثل هذا المقال الصغير لم يعد يتساوى مع المكانة العالمية الرفيعة التى وصل إليها .. أو يطل نقل المقال إلى مساحة أكبر .. أو على الأقل يطلب نشر صورته مع المقال .. ولكنى فوجئت به ، بعد ساعة من إعلان فوزه بالجائزة الكبرى ، يدخل الأهرام ، فى الخامسة مساء ، وهو يحمل مظروفا فيه مجموعة من المقالات لتكون رصيدًا لباب «وجهة نظر» ..

وحتى عندما مرض بالقلب ، وتقرر سفره إلى لندن لإجراء عملية جراحية خطيرة فى الشريان الأورطى ، وهو الشران الرئيسى الموصل للقلب، وكان اليوم الذى سافر فيه هو اليوم الذى نفد فيه رصيد المقالات عندى، واعتزمت أن أكتب اعتذارا باسمه ، والعذر طبعا مقبول ، لأن الناس جميعا كانوا يعلمون طبيعة مرضه ويتوجهون إلى الله بالدعاء له بالشفاء.. ولكنى فوجئت فى المساء بمظروف منه ، حمله إلىّ سائق سيارة الأهرام الذى أوصله إلى المطار ، ووجدت داخل المظروف خمس مقالات وعبارة رقيقة تقول : إنى سأتغيب خمسة أسابيع كما قال الأطباء ، وأعتقد أن هذه المقالات تكفى ، وإلا فسأرسل إليك من لندن إذا طالت إقامتى.. وظل مقال وجهة نظر ينشر بانتظام كل يوم خميس ، حتى وهو فى غرفة العمليات ، ثم فى غرفة الإنعاش ..

وعندما عاد من رحلة العلاج ، ومنَّ الله عليه ، وعلينا ، بالشفاء ، كانت المقالات قد نفدت ، وخجلت أن أذكره ، وقلت يكفى أن أطلبه بالتليفون لأسأل عن صحته ، ففوجئت بالسيدة زوجته تقول إنه أصر على أن يستقل سيارة «تاكسى» ويذهب إلى الأهرام .. وبعد قليل وجدت المظروف الأصفر المعتاد وفيه مقالات «وجهة نظر» وقال لى موظف الاستعلامات إن الأستاذ نجيب محفوظ جاء فى سيارة تاكسى ،ولم يستطع أن ينزل منها، وترك لك هذا المظروف ..

هل رأيتم رجلا يقدس العمل ، ويحترمه ، مثل هذا الرجل ، أليس هذا قدوة ؟ وكيف يكون حال البلد لو أن كل فرد فيه أدى واجبه بكل هذا الدأب .. والإخلاص والدقة ؟..

ياليتنا نجد فى مصر ألف رجل مثل نجيب محفوظ فى مواقع مختلفة.. إذن لكان حالنا مختلفا ..

هل يمكن أن توجه إلى مثل هذا الرجل طعنة سكين غادرة فى ظلام الغروب .. يستغل صاحبها فرصة تقدم الرجل فى السن فلا يستطيع أن

يقاوم أو يدافع عن نفسه .. لضعف بصره .. وضعف سمعه .. ومتاعب السكر والضغط والقلب التى يعانى منها؟

هل يمكن أن يحدث ذلك من شاب ولد فى مصر .. وشرب من مائها .. ورضع من صدر أم مصرية .. وسمع قرآن ربنا الذى يحرم دم المسلم والكافر إلا بالحق ؟ ياحمرة الخجل .. أين أنت ؟!

❁❁❁

اقرءوا كل ما كتب نجيب محفوظ ، وانظروا ، ماذا يقول ؟ .. وماذا يريد ..؟ إنه يدافع عن مجموعة من القيم الأساسية .. يدافع عن الحرية ويطلب المزيد منها .. فمن ذا الذى يكره الحرية ويرى فيها كفرًا ويعادى من يطالب بها ؟

وهو يدافع عن العلم ، ويريد أن يغرس بقوة فى المصريين الإحساس بأهمية العلم والرجوع إليه .. ليكون التفكير والسلوك والتخطيط مسايرا لحقائق العلم .. ولذلك فهو يحارب الخرافة .. والعشوائية فى التفكير .. ويدعو إلى احترام الإنسان .. واحترام حريته ..

وهو يدافع عن الأخلاق .. والأخلاق عنده تنبع من داخل الإنسان ولا تفرض عليه من الخارج بالقوة ..

ويدعونا نجيب محفوظ إلى الاهتمام بالمستقبل .. نفكر فيه .. ونعمل له .. ونكرس له جهدنا .. لأنه لا خير فينا إذا عملنا للحاضر أو تراجعنا إلى الماضى وأهملنا المستقبل .. ولذلك يدعو بإلحاح ، إلى اهتمام من نوع خاص بالشباب ، لأنهم هم المستقبل .. ويدعونا إلى أن ننظر إلى انحرافاتهم بإشفاق ، لأنهم ضحايا ظروف قاسية . وأن نحسِّن ظروفهم أفضل من أن نعاقبهم .. ويدعونا أيضا إلى أن نعيد صياغة نظام التعليم عندنا ليساير العصر ، ويقترب من أنظمة التعليم فى الدول المتقدمة ، ولتقوم المدرسة

والجامعة بدور فى التربية والرعاية والإرشاد ، ولا تكتفى كل منها بمقررات وحصص ومحاضرات .

أعجز عن حصر توجهاته الأساسية هنا . ولكنى أريد أن أقول أن نجيب محفوظ يمثل بالنسبة للثقافة المصرية كتيبة فدائية تفتح الطريق بصدرها فى حقول الألغام ، ولا تطلب لنفسها جزاء ولا شكورا.. يكفى أنه كاتب أصبح على قمة عالمية لا يرقى إليها إلا أقل القليل ومع ذلك فما زال يسير على قدميه من البيت إلى المقهى أو الأهرام .. ولا يملك سيارة حتى الآن .. ويعيش فى نفس الشقة التى تزوج فيها منذ ما يقرب من ثلاثين عاما أو أكثر .. ويقف أمام بائع الصحف ليختار ويشترى كل صباح مجموعة الصحف والمجلات ، ويحملها ويسير بها ويدفع ثمنها من جيبه .. ولو أراد لوصلت إليه فى عنوان بيته دون أن يدفع شيئا ..

هذا رجل نادر فى زمانه .. فكيف يتعرض للغدر وقد جنح للسلم طول عمره .. ولم يمارس العدوان يومًا من أيام حياته .. ؟

❁❁❁

لم تعد تنطلى علينا الحجة القائلة بأن هذه جماعات تريد إقامة الشريعة .. انتهى الأمر .. وانكشف المستور .. وكل ما يقولونه من أقوال ظاهرها الدعوة إلى الله ليس إلا من قبيل كلمة الحق التى يراد بها باطل .. لقد أصبحت الشريعة سلعة رخيصة فى أيديهم ، أو لعبة يحاولون بها خداع السذج والجاهلين ..

أليس خداعًا وكذبًا أن يقال إن مصر مجتمع كافر ؟ ..

مصر المسلمة ، بمساجدها العامرة ، وأذانها المرتفع كل يوم خمس مرات ، ويحرص أهلها على الصيام والحج والزكاة وقراءة القرآن .. التى لا يباريها أحد فيها فى العالم كله .. مصر المسلمة .. بأزهرها الشريف .. وعلمائها الأجلاء الذين لا يصل إلى علمهم أحد فى فهمهم للدين فهما

صحيحا ، وفى جهودهم إلى الدعوة إليه ، دعوة للوافدين من كل أنحاء العالم ، وإرسالا للمبعوثين لينشروا الدين الصحيح فى القارات الخمس .. هل يمكن أن يصدق أحد أن مجتمعها مجتمع جاهلى ؟ .

من إذن – غير مصر – يستحق أن يسمى مجتمعًا إسلاميا ؟ ..

وإن كان فى مصر سلبيات .. فهل هناك مجتمع فى أى عصر من العصور.. حتى فى عصور النبوة والخلافة الراشدة .. كان يخلو من سلبيات ؟ ألا يحدثنا القرآن الكريم عن المنافقين ومرتكبى الذنوب والمعاصى.. والوحى يتنزل بينهم ؟.. ألا ترى العيون ما فى مصر ، وما فى غيرها ، ليدركوا أن ما فيها من مرتكبى المعاصى أقل بكثير ممن فى غيرها.. وأن ما فيها من ممارسات دينية صحيحة أكثر بكثير مما فى غيرها ؟

ثم إذا كان هناك فرد أو جماعة قليلة خرجت عن أمر ربها ، فكيف يؤخذ بجرمها غيرها من المؤمنين الصالحين والله يقول : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ ؟ وما دام المستقيمون لا يرضون عن المنحرفين ، ويسعون إلى تقويمهم بالوسائل الشرعية «بالحكمة والموعظة الحسنة» فهم أبرياء من تهمة الكفر أو الانحراف ، وهناك حديث شريف للرسول ﷺ ليته يصل إلى كل الشباب ، يروى فيه مسلم ، وهو راوية موثوق به ، أن الرسول ﷺ قال: (ستكون أمراء ، فتعرفون ، وتنكرون ، فمن عرف برئ .. ومن أنكر سلم ، ولكن من رضى وتابع .. قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ . قال : لا .. ما صلوا) ..

وعلماء مصر على منابرها يدعون إلى الله .. ويدعون إلى الإصلاح ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالأسلوب الحكيم الذى دعا إليه ربنا ، ومن يخالف هذا الأسلوب يخالف طريق الإسلام ومناهجه .

فالقول بأن هذا مجتمع جاهلى أو كافر هو قول غير صحيح تترتب عليه نتائج غير صحيحة ..

ومن يقول إن فى طعن نجيب محفوظ إعلاء لكلمة الله هو مجنون.. ومنحرف.. وضال.. وخارج عن الإطار الشرعى فى الدعوة والإصلاح مهما تكن الحجة التى يستند إليها ..

ومع ذلك فإن أحدًا لا يمكن أن يصدق شيئا من الدعاوى الباطلة التى تقال ..

والآن .. الكل يرفض الجريمة التى ترتكب باسم الإسلام ..

الإسلام برىء من الجريمة والمجرمين ..

والمسلمون جميعا يعلنون — أمام الله والتاريخ — براءتهم من كل دم يراق ويحسب على الله وشريعته .. وحاشا لله أن يكون دين الله دين القتلة .. والسفاحين.. وقاطعى الطريق ..

حاشا لله أن يكون هذا هو الإسلام .. أو أن يكون هؤلاء هم المسلمين ..

✿✿✿

ومن الذى سيبقى فى التاريخ ؟ نجيب محفوظ .. أم الشاب الذى طعنه بالسكين ؟ .. سيبقى نجيب محفوظ محفوظا فى التاريخ .. وسيذهب القتلة والمجرمون إلى النسيان ..

فقد بقى عمر بن الخطاب .. وذهب قاتله إلى أسفل سافلين ..

وبقى على بن أبى طالب .. وذهب قاتله حيث تلاحقه لعنة المسلمين إلى يوم الدين .

وهذا هو حكم الله ولن تجد لحكم الله تبديلا ..

ما ينفع الناس يبقى في الأرض .. أما الزبد فيذهب جفاء ..

وليس نجيب محفوظ مجرد شخص ككل الناس .. ولكنه قيمة .. ورسالة .. ونموذج .. وقدوة .. ومعنى ..

وكل ذلك سيبقى .. لا يقتله الرصاص .. ولا السكين ! .

الإعلام.. والإسلام (١)

بدأت اجتماعات وزراء الإعلام فى الدول الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٩٦ بداية تقليدية هادئة، وانتهت نهاية تقليدية، لأن الأسئلة الجديدة التى طرحت فيها ولم تجد إجابات بعد، كانت أكثر من الأسئلة التى توصلوا إلى إجابتها.

الحقيقة الأولى التى لا يريد كثير من الناس أن يدركوها، هى أن الإعلام لا يصنع واقعًا، ولكنه فقط يعكس الواقع القائم كما هو، وواقع العالم الإسلامى فى هذه المرحلة ملىء بالأحزان والهزائم والتناقضات.. قضية البوسنة والهرسك وتقاتل الأشقاء فى أفغانستان تحت راية واحدة هى راية الجهاد الإسلامى.. من أهم دواعى الأحزان. والإرهاب الذى ينتشر بصورة منظمة فى أكثر من بلد إسلامى يرفع شعارات واحدة، ويعمل بطريقة واحدة، تؤكد وجود تنسيق وتكامل، وعقلية مدبرة واحدة، واستراتيجية إرهابية واحدة.. هذه أهم هزائم العقل فى العالم الإسلامى، لأن كل عملية إرهابية تحدث باسم الإسلام تدل على هزيمة بعض العقول التى سقطت فى يد الشيطان ليزيف لها حقائق الإسلام تدل على هزيمة بعض العقول التى سقطت فى يد الشيطان ليزيف لها حقائق الإسلام ويشوه لها رؤية جوهره الراقى المتحضر. أما التناقضات فى العالم الإسلامى فإن شواهدها تفوق الحصر.. كلام عن الوحدة وفعل يعكس التشتت والتشرذم.. أموال تنفق فيما لا يفيد بإسراف وبذخ وتقتير شديد فى الانفاق على المشروعات التى تفيد وتحقق التنمية البشرية للمسلمين بمعناها الواسع.. جماعات تدل على اهتمام بالعلوم والتكنولوجيا وغياب المنهج العلمى فى التفكير وإبعاد المؤسسات العلمية عن الفاعلية وتهميش لدور العلماء..

أحزان.. وهزائم.. وتناقضات.. في وقت تتسارع فيه خطى العالم نحو إشراقة قرن جديد سيكون في حقيقته حياة جديدة فى عالم جديد، من لا يستعد لمواكبته سيقف بعيدا عنه لينتظر مصير الكائنات المتخلفة عن التطور: الانقراض!

بدأت اجتماعات وزراء الإعلام بكلمات ليس فيها جديد، ثم تزايدت حرارة المناقشات حين تحدث وزير الإعلام المصرى والسعودى عن ملامح استراتيجية إعلامية جديدة للدول الإسلامية، وتحدث وزير الإعلام السورى عن القضايا القومية والمتغيرات الدولية، وفجر وزير الإعلام التونسى قضية فى الصميم فى شكل سؤال استنكارى: هل مناهج العمل فى الإعلام والتعليم فى العالم الإسلامى كافية - فى الكم والنوعية - لتكوين رأى عام مستنير فى الدول الإسلامية، وتحصينه ضد الجهود الذكية المنظمة لتشويه الإسلام وربطه بالإرهاب؟

عند هذه القضايا كان لابد من مواجهة الحقيقة وهى أن التنسيق الإعلامى بين الدول الإسلامية لم يتحقق بصورة مرضية حتى الآن رغم كثرة الاجتماعات والمؤتمرات، ربما لأن هذا التنسيق لابد أن يستند أولا إلى وضوح فى الفكر يحتاج إلى اجتماعات مستمرة للخبراء والمفكرين والباحثين، لأنه لا يمكن وضع استراتيجية بحق ما لم تقم على أرضية جيدة وممهدة من المفاهيم والأفكار والتوجهات واضحة تمام الوضوح ومستقرة فى كل الأذهان دون أدنى لبس أو غموض وبنفس القدر فإن هذا التنسيق لا يمكن أن يتحقق إلا إذا توافرت الإرادة السياسية لذلك، فالإعلام لا يملك القرار السياسى الاستراتيجى، ولكنه يعمل فى إطاره ويدور فى حلقاته التنفيذية.

حقيقة أن الإعلام يستطيع أن يسهم بشكل جاد فى إيجاد رأى عام مستنير يفرق بين الصدق والكذب، وبين الصواب والخطأ، وبين الهداية والضلال، وبين الدعوة والتضليل، ولكن ذلك يحتاج إلى جهد مدفوع خاص. ليست المسألة إعداد برنامج تليفزيونى أو حتى مائة برنامج..

وليست فى قافلة للدعوة تلقى بعض الخطب فى بعض الناس.. ولا فى مقالات هنا أو هناك أو ندوة أو اجتماع.. الأمر يحتاج إلى فلسفة واضحة للعمل، وإلى كوادر قادرة ومؤهلة ومخلصة، وإلى برامج يومية متصلة.. وقد يبدو الأمر - فى الكلام - سهلاً، ولكنه عند التنفيذ شديد الصعوبة.

عند التنفيذ نصطدم بصعوبة عندما نريد مواجهة حملات تشويه الإسلام داخل العالم الإسلامى نفسه لأنه ليست هناك الآن مؤسسات لإعداد جيل جديد من القائمين على الاتصال «ولا أقول الدعوة أو الإعلام» بحيث تتوافر فيهم معرفة بدقائق القضايا المثارة، وبأساليب الدعوة وفقا للنظريات والمناهج الحديثة، وهى - فى عجالة - ليست مجرد عقد ندوات، أو إقامة سرادقات، أو إلقاء خطب، ولكنها نشاط يومى دائم ويغرس المفاهيم ويثير دوافع السلوك، وليس هذا كلامًا جميلا فقط، ولكنه أمر يتحول إلى عمل أمام عيوننا داخل وخارج بلادنا، وهناك من يجعل قضاياه بالعمل اليومى البسيط، والسلوك، والقدرة، جزءًا من عقول وشخصية ناس بذاتهم، ويتم ذلك فيما يشبه التلقائية ولكنه فى حقيقته مقصود بدقة، ومخطط بعناية شديدة جدًا.

وعند التنفيذ نصطدم أيضا، نجد بعض القيادات المشتغلة فى العمل التنفيذى غارقة فى «الأنا» المتضخمة، ونجد قطاعات من أمة الناس فى أسفل السلم الاجتماعى رافضة للواقع الاجتماعى الذى تعيش فيه، أو على الأقل راغبة فى تغييره، ونجد العمل الإعلامى فى الدول الإسلامية يخلط بين الإعلام، والإعلان، والدعاية، مع ما بينها من فروق كبيرة ليس هذا مجال عرضها ولكن يكفى الإشارة إلى أن خلط المفاهيم يؤدى إلى ظهور مقاومة، وعلى الأقل حذر وشعور بعدم الثقة لدى الذين يتلقون الرسائل الإعلامية الإسلامية الرسمية، لأنهم بشكل ما يشعرون بأن ما يقال لا يعكس واقعا، ولا يعبر عن حقائق، ولكنه يعبر عما تريد أجهزة الإعلام

الرسمية أن تفرضه على العقول وتضغط بكل وسائل الضغط النفسى والعقلى لإدخاله ضمن مكونات النفس والشعور.. وطبيعى أن يتولد مع الإلحاح غير الواعى، وتكرار الأقوال العامة المبهمة دون مناقشة، وترديد أقوال عن أشياء ليس لها وجود فى الواقع الملموس الذى يعيشه الناس، لا يمكن أن يحظى بالاحترام، ولا بالإقناع. بل ولابد أن يظهر الرفض والمقاومة.

من هنا نرى أن استراتيجية الإعلام التى طرحتها مصر والسعودية قد جاءت فى وقتها المناسب، وهى بالتالى تستحق أن تطرح على أوسع نطاق لكى يشارك فى بلورتها كل من يستطيع أن يقدم إضافة مفيدة، أو يزيدها وضوحا ويكسبها الصلاحية للتطبيق العملى.

أما الصعوبات التى تواجه الإعلام الإسلامى فهى كثيرة يصعب الحديث عنها كلها، ولكن يكفى إشارة عاجلة إلى «الاستراتيجية الإعلامية المضادة» القائمة والتى نلمسها فى الإعلام الغربى بشكل عام، ولأنها غربية فهى قائمة على أسس علمية بحق، وموضوعة بذكاء شديد، وتنفذ بدقة بالغة، وبنعومة وهدوء بالغين بحيث لا يشعر بها إلا من لديه حاسة النقد والتمييز..

يكفى أن نراجع ما يكتب فى اللاهوت عن الإسلام على أنه دين يؤمن بالقدرة الوحيدة الكلية الشاملة، بحيث لا يستطيع العقل المسلم أن يفهم مبدأ السببية.. ومثل هذه القضية التى تبدو فلسفية تأخذ فى الإعلام الغربى أشكالاً متعددة تقربها إلى الممارسات اليومية وسلوك الحياة العادية للمواطن المسلم.. أنهم يعمقون الثقة لدى كل غربى بأن المسلمين قوم لا يؤمنون بالعقل أو بالمنطق، والإيمان بهما يؤدى إلى الإيمان بأن كل شىء لابد أن له سببًا مباشرًا، وشخصا أو أشخاصا هم الذين تسببوا فيه، وبذلك تقوم المسئولية الإنسانية، وتظهر قدرة الإنسان، ويتولد الشعور بأن هذه الحياة على الأرض يمكن أن تتغير إلى الأفضل، وإن كل ظلم يمكن دفعه، وكل خطأ يمكن إصلاحه، وكل نقص يمكن استكماله،

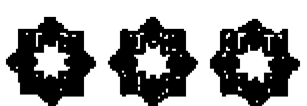
وكل حلم يمكن تحقيقه. أما العقل السليم فلا يثق فى مبدأ السببية، لأنه يؤمن بأن الله هو الذى جعله فقيرًا أو مظلوما أو متخلفا أو جاهلا. الخ.

طبعا هذا كلام لا يتفق مع حقيقة الإسلام الذى يقول لنا فيه ربنا تبارك وتعالى: ﴿ **وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا** ﴾ [الكهف ٨٤، ٨٥] لكن مفكرى الغرب لا يريدون أن يفهموا ذلك، وربما لأننا نحن المقصرين فى عرض ذلك.

ويبدو أننا لابد أن نعود إلى هذا الحديث ليتضح أنه ليس كلاما فى الفلسفة فقط، ولكنه كلام عن الحياة البسيطة لأى إنسان بسيط هل يثق فى الإرادة الإنسانية وقدرة الإنسان على العمل ويدرك أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، أم يستسلم لتصور بأن الإنسان ليس أكثر من ريشة فى مهب الريح، أو حجر ملقى ليس له إلا أن يتلقى ما تأتى به المقادير وهو فى موقف سلبى يدعو ولا يفعل.. ليس هذا كلاما فى الفلسفة، ولكنه كلام عن كيفية النهوض من الكبوة الثقافية الكبرى، والخروج من مأزق الجهل والتخلف، والبحث عن مكان فى عالم يجرى بالعلوم والأفكار الجديدة ونحن واقفون.

بدأنا فى الحديث عن الإعلام وانتهينا بحديث عن المؤامرات والصعوبات.

وهذه هى القضية.



الإعلام.. والإسلام (٢)

لا أظن أننى أحتاج إلى تقديم دليل جديد على مدى التشويه الذى يلحق بالإسلام ويجعل صورته فى الغرب مرتبطة بالتخلف، والعدوان، والدماء، وضيق الأفق، ومعاداة العلم، والعقل.. ففى كتب المستشرقين منذ عشرات السنين جهود منظمة بذلوها فبدت أفكارهم فى ثوب علمى وموضوعى وهى تخفى ببراعة الفهم المغلوط، أو التشويه المقصود، وكذلك قام فى الصحافة الغربية من الأدلة ما يكفى ويزيد بما تنطوى عليه السطور خفية أو ما تشير إليه صراحة وبكل وسيلة من وسائل وفنون الإعلام لإقناع الغربيين بأن الإسلام خطر على الحضارة الحديثة ومعاد لمفهوم التقدم.

لا يحتاج الأمر إلى دليل، ومع ذلك فهناك معالم لها أهمية لابد أن نتوقف عندها ولو بسرعة، ولكن القضية الأهم هى ما نفعله نحن بأنفسنا، لكى نقدم للغرب صورتنا، سواء فى الفكر أو فى السلوك، ففى كتابات بعض المسلمين وأعمالهم ما يسىء إلى الإسلام بأكثر مما يسىء المستشرقون وأعداء الإسلام الجاهلون به على السواء. فكم فى بعض الكتب المتداولة الآن من خرافات وهلوسة لا يمكن أن تكون تعبيرا عن حقيقة الإسلام، بما تفيض به من تصورات بدائية رافضة للتقدم العلمى الهائل الذى أنجزته البشرية فى القرون الماضية، ورافضة لفكرة التغير والتحول والتقدم وبأن ما يصلح فى عصر لا يصلح بالضرورة لعصر آخر، ولا يثبت إلا الكتاب الكريم فهو كلام الله الدائم الخالد الذى لا يلحقه التغيير أو التبديل، ولكن التغيير يكون دائما واردا فى الفهم والتفسير، فالقرآن الكريم كلام الله المنزل، ولكن فهم معانيه عمل إنسانى يخضع لقواعد وشروط بحيث يفسر النص القرآنى بعضه بعضا، وتفسر الأحاديث الصحيحة الموثقة بعضه

الآخر، باعتبار أن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، يضاف إلى ذلك أن الإعلام الغربى يتابع بدهشة اجتراء بعض الشباب قليلى العلم بالتفسير وعلوم القرآن والحديث وبالتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، وهم يتصدون للتفسير، ويتخذون مقاعد الافتاء والإمامة، وينصبون أنفسهم متحدثين رسميين باسم الإسلام، وهذا ما لا يحدث فى دين آخر. فكل دين له علماؤه المتخصصون الذين ينقطعون لدراسة الأصول والمناهج، ولا يضيفون مفاهيم جديدة إلا بعد أن يصلوا إلى درجة عالية جدًا من التعمق فى الدراسة، ولذلك لم يكن أحد من فقهاء ومفسرى ومحدثى العصور المضيئة فى الفكر الإسلامى يجرؤ على القول فى كتاب الله وسنة رسوله إلا بعد أن يحصل على إجازة بذلك من الفقيه الأكبر المعتمد فى عصره والذى يساوى الآن الجامعة. أما أن ينصب بعض صغار السن أنفسهم أئمة وفقهاء فهذا شيء من حق الإعلام الغربى أن يرصده بالدهشة ويرى فيه أن هذا الدين هين على أهله، يسهل الاجتراء عليه.

ثم إن كل من يريد أن يعيد الأمور إلى نصابها، ويذكر الناس بما يعتبر من البديهيات فى هذا المجال يفاجأ بحملة علنية أو خفية تجعله متهما، وكل ما يسعى إليه أن يقول دعوا الاجتهاد فى الدين لأهله، واتركوا مهمة التفسير لمن هو مؤهل له، ولا تخوضوا فى أمور الإسلام بما يزينه لكن فكركم الفردى، أو باختيار الغريب والمتهم من الأفكار والتى تمتلئ بها كتب التراث، وفى بعض كتب التراث سموم كان أصحابها يقصدون قصدا الإساءة إلى الإسلام، وجاء الباحثون دائمًا فى كل عصر عن كل ما هو غريب ليعيدوا إليها الحياة دون أن تكون لديهم أدوات البحث العلمى والتمييز بين ما هو صحيح وما هو مدسوس.

يسيء بعض المسلمين لأنفسهم، ويتصيد الإعلام الغربى هذه الإساءات وينشرها، ويكبرها، ولقد ذكرنى بهذه الحقيقة المفكر الكبير الدكتور فؤاد زكريا فى رسالة أنقلها لأهميتها.

الأخ الفاضل..

قرأت فى الأهرام بتاريخ ٢٣/ ١/ ٩٤ مقالتك الهامة، التـى هـى الحلقـة الأولى من موضوع «الإعلام والإسلام» وقد وجـدت نفسـى متفقا معـك فـى الجانب الأكبر مما كتبت، غير أن ما أود أن أناقشه معك هو الجزء الأخير من مقالك الذى تحدثت فيه عن التخطيط المتعمد الذى يعمد به الغرب على تصوير العقل المسلم بأنه لا يفهم مبدأ السببية، وأوضحـت بعبـارات دقيقـة كيف أن الإيمان بهذا المبدأ يؤدى إلى إذكاء الشعور بالمسئولية لدى الإنسـان ويتولد الشعور بأن هذه الحياة على الأرض يمكن أن تتغير إلى الأفضل، وإن كل ظلم يمكن دفعه، وكل خطأ يمكن إصلاحه».. علـى حـين أن الإعـلام الغربى يصور العقل المسلم بأنه «لا يثق فى مبدأ السببية، لأنـه يؤمـن بـأن الله هو الذى جعله فقيرًا أو مظلومًا أو متخلفًا أو جاهلاً..».

والمسألة التى أود أن أطرحها عليك هى: هل صحيح أن عدم الثقـة فـى مبدأ السببية هو مجرد «مؤامرة» من الاعلام الغربى، تعمد فيها أن يسـىء فهم حقيقة الإسلام.. وهل لا توجد على الإطلاق فى صميم العالم الإسلامى التاريخى والمعاصر تيارات هامة أسـهمت فـى غـرس عـدم الثقـة فـى مبـدأ السببية فى نفوس المسلمين؟.. إن القضية يا سيدى قديمـة، كـان مـن أهـم مراحلها إنكار أبى حامد الغزالى لمبدأ السببية المباشـرة للظواهـر الطبيعيـة، وتأكيده أن العلة الحقيقية للظواهر كلها هـى المشـيئة الإلهيـة. وتلـك قصـة تطول تفاصيلها، ولكن ما يهمنا منها هو أنه قد ظهر فـى العـالم الإسـلامى منذ ذلك الحين تيار قوى يفهم كلمة «الأسـباب» بمعنـى أنـها المناسـبات أو التى اختارت المشيئة الإلهيـة أن تتخذهـا لإحـداث الأشـياء. وكـان مـن الممكن أن تتخـذ غيرهـا، أو عكسـها، ومـن ثـم فـإن العلـة الحقيقيـة لكـل الظواهر ينبغى أن تلتمس خارج الطبيعة. ولم يكن يوجـد فـى ذلـك الحـين إعلام غربى قوى يتـآمر علينـا، وإنمـا انبثـق هـذا التيـار القـوى مـن قلـب حضارتنا، ومازال له تأثيره الهائل فى الإسلام المعاصر.

وليسمح لى، أيها الصديق، أن أروى لك قصة تعرضت لهـا أنـا شـخصيا خلال فترة تدريسى فى جامعة الكويت. فقد نشرت فى ذلك الحـين كتابـا لى بعنوان «التفكير العلمى» وتحدثت فيه حديثا يتفـق مـع الاتجـاه العـام لمقالك، مؤكدا أهمية الإيمان بمبدأ السببية فى العلم، وفى سعى الإنسان إلى التقدم.. إلخ.. فإذا بمجلة كويتية تنطق بلسان تيار إسلامى هـام تـهاجمنى هجوما عنيفا، وتتهمنى بالالحاد لأننى أقول بالأسباب الطبيعيـة للظواهـر. وحين رفعت دعوى ضد هذه المجلة جاء حكم قاضى المحكمة الابتدائيـة، وهذا هو بيت القصيد، لصالح المجلة، فأكد فى حيثياته «وهى وثيقة ذات دلالة بالغة فى الموضوع الذى تفضلت بطرحه فى مقالك» أننى قلت بوجود قوانين طبيعية ثابتة وأسباب لا تتخلف للظواهـر، وأننـى بذلـك ألغـى دور المشيئة الإلهية، ومن ثم كـانت المجلـة علـى حـق فيمـا نسـبته إلىّ. وعنـد استئناف الحكم صدر الحكم النهائى لصـالحى، وانتقـد قـاضى الاسـتئناف الرأى السابق بشدة.. ومن الجديـر بـالذكر أن القـاضى الأول كـان مصريًـا، والثانى كان كويتيًا!

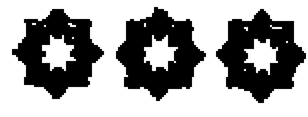
وعلى الرغم من أن هذا مثل فردى، فإنه يقودنا إلى صميم الموضوع الـذى تصدى مقالك لمعالجته. فالإعلام الغربى يا سيدى لا ينسب إلينـا أى شـىء من العدم، وإنما يتصيد دائما أخطـاء موجـودة فينـا بـالفعل، ثـم يضخمـها ويعممها ويؤكد أن هذا هو «العقل الإسلامى» بوجه عام. وفى كـل مـا مـر بى من حالات للتشويه الإعلامى الغربى على العـالم الإسـلامى، بـدءا مـن اتهام العالم الإسلامى بالتفكير الأسطورى حتـى السـلوك الإرهـابى، كنـت أجد لهذه الحالات على الدوام أصلا فى تفكيرنا وسـلوكنا نحـن، ولم أجـد حالة واحدة نسب فيها هذا الإعلام إلينا صفة ليست لها جذور متأصلة فى فئة من فئاتنا. وحين يلتقط الإعلام الغربى هذه العناصر، تكون مهمته بعـد ذلك فى التشويه والمبالغة يسيرة كل اليسر.

هذا يقودنا إلى سؤال أراه أساسيا فـى الموضـوع الـذى تفضلـت بطرحـه، وهو: هل ينبغى أن تقتصر جهودنا على «فضح» ما نراه تشويها إعلاميًا غربيا للإسلام، أم أن أمامنا مهمة أخرى تستحق منا مزيدًا من الجهد، وهى ممارسة النقد الذاتى بالكشف عن عناصر التخريب الفكرى والسلوكى فى داخلنا. تلك العناصر التى لولاها لما استطاع أعداؤنا أن يجندوا إعلامهم الجبار من أجل تقديم صورة متخلفة لمجتمعاتنا؟

هذا ما أردت أن أعرضه عليك فور قراءتى للحلقة الأولى، عسى أن يسهم فى إعانتك على مواصلة السير فى هذا الموضوع الهام الذى أشكرك على طرحه على صفحات «الأهرام».

ولأن الموضوع يطول شرحه فإن رسالة الدكتور فؤاد زكريا تجعلنا نصل إلى ما وصل إليه الشاعر العربى القديم لفهم موقف الإعلام الغربى من الإسلام.

نعـيب زمـاننا والعيب فينا   ومـا لزمـاننا عـيب سـوانا



الإعلام.. والإسلام (٣)

الذين يرون أن مسئولية الإساءة إلى صورة الإسلام فى العالم تعود إلى المسلمين أنفسهم بأكثر مما تعود إلى غيرهم، محقون دون شك لأننا مهما نشرنا النصوص من القرآن والسنة لكى نبين للعالم أن الإسلام دين حضارة، وعلم، وتقدم، وأنه دين تسامح وتعاون على البر والتقوى وليس على الإثم والعدوان.. مهما بذلنا الجهد فى ذلك من المكن أن يهدمه بعض أعمال القلّة الشيطانية التى ترتكب جرائمها الوحشية بغير قلب ولا ضمير باسم الإسلام. فينتهز الفرصة أعداؤنا، وأحيانا.. أصدقاؤنا، ليضعونا فى موقف حرج حين يتساءلون: أليس هؤلاء مسلمين..؟ أليست هذه الشعارات المعلنة شعارات إسلامية؟.. وتضيع أصواتنا وسط صخب وفرقعة الجرائم ونحن نشرح للعالم أن هؤلاء ليسوا مسلمين، ولكنهم عبء على الإسلام والمسلمين.

ولقد انشغل باحث عربى أكاديمى كبير مقيم فى أمريكا بهذه القضية، وأعد فيها مجموعة دراسات، هو الدكتور ميخائيل سليمان، فلسطينى الأصل أمريكى الجنسية، يعمل أستاذا للعلوم السياسية فى جامعة كانساس، أفادتنا أبحاثه فى فهم السبب فى اهتمام الإعلام الغربى بإبراز أنباء أحداث الإرهاب التى تسىء إلى الإسلام والمسلمين بأكثر من إبراز صورة الإسلام المعتدل الرشيد. بعد تحليل مضمون أعداد المجلات والصحف الأمريكية الكبرى خلال فترة طويلة ومنها مجلات تايم، ونيوزويك، ويو إس نيوز وغيرها توصل إلى أن الصحافة الأمريكية ليست محايدة، ولا متوازنة فى نشرها للأنباء المتعلقة بالعالم العربى والإسلامى ولا فى تحليل وتفسير هذه الأنباء، وحصل على درجة الماجستير من جامعة وسكونسن ببحث أعلن هذه

النتيجة المستندة إلى إحصائيات وتحليل مضمون ما نشرته الصحف الأمريكية. واستند إلى تقرير نشره معهد الصحافة الدولية بعنوان الأنباء في الشرق الأوسط، انتهى إلى نتيجة واحدة هي أن العرب ضحايا للقوالب الذهنية الجاهزة ومن ضغوط الصهيونية على الإعلام الأمريكي، وكذلك من خوف كثير من رجال الإعلام الأمريكيين من إظهار العرب والمسلمين بصورة إيجابية حتى لا تطاردهم المنظمات اليهودية بالاتهام الجاهز المعروف بمعاداة السامية، وأشار هذا التقرير المشهور إلى أن المحررين الأمريكيين يخافون من ذكر الحقائق لأنهم يعرفون مدى قوة الضغط الذى يمارسه اللوبى الصهيونى. أما دراسة الدكتور ميخائيل سليمان فهى تبين بالأدلة وجود تحيز أكيد من جانب المجلات الأمريكية الكبرى ضد العرب وتصورهم غالبًا على أنهم عاجزون وغير قادرين على إنجاز شيء، وأن العدوان والعنف جزء لا يتجزأ من طبيعتهم، أما إسرائيل فتقدمها هذه المجلات على أنها دولة نموذج، صانعة للمعجزات، تحول الصحراء إلى فردوس على الأرض، وتمارس الديمقراطية بصورة لا مثيل لها (!) وأكثر من ذلك أن المراسلين الأمريكيين فى العالم كله يقدمون صورة مشوهة للإسلام والمسلمين والعرب لا يذكرون ما يسىء إلى إسرائيل.. لأنهم لا يستطيعون ذلك، بينما يستطيعون إدانة أعمال الحكومة الأمريكية ذاتها (!).

وجمع الباحث مجموعة الخصال التى ينسبها الكتاب الأمريكيون إلى العرب والمسلمين فوجدها فى الغالب تدور حول معانٍ محددة مثل: الحياة البدوية، انخفاض مستوى المعيشة، التعليم الردىء، إهدار حقوق المرأة، توجه عام معاد للديمقراطية، عدم الأمانة، عدم الكفاءة، الانقسام والصراع وعدم القدرة على التعاون أو العمل الجماعى.. الخ بينما تدور الخصال الإسرائيلية حول: مستوى تعليم عال وحديث، اعتماد بطولى على النفس، أمانة، ثقة بالذات، ديمقراطية، توجه يتفق مع الحضارة العالمية.. الخ.

وينتهى الباحث بعبارة بالغة الدلالة يقول فيها: «هل أصبح من الصعب أن يكون الإنسان عربيا أو مسلما فى هذا الزمان: «بعد أن تزايد الانحياز الإعلامى فلم تعد هناك وسيلة للإنصاف أو الرؤية المتوازية، خاصة بعد أن وسع دائرة بحثه من الصحافة إلى دراسة وتحليل النكت، والاستعراضات الهزلية التليفزيونية التى تبين التحامل والسخرية والانتقاد بشكل عام للعرب والمسلمين.

وفى هذه الأيام نلاحظ أن الصحف الغربية والإذاعات ومحطات التليفزيون تبرز بشكل واضح أحداث الإرهاب والعنف، وتقدم الإرهابيين بأعمالهم الإجرامية وقتلهم السياح والأطفال والنساء الأبرياء على أنهم المثلون لفكر وتوجهات الإسلام والمعبرون عن الروح العدوانية الحقيقية الكامنة فى العقيدة الإسلامية ذاتها والتى يحاول المثقفون الإسلاميون إخفاءها عن العيون.

ولابد من جهد كبير يبدأ من الجامعات ومراكز البحث العلمى وكبار المفكرين والعلماء وينتهى بمخطط إعلامى شامل يتوجه إلى كل القنوات والوسائل الثقافية والإعلامية، وبالأسلوب الذى يتفق مع العقلية الغربية لكى نبين للعقل الغربى أن هناك فرقًا بين الإسلام كدين وعقيدة ونظام حياة، وبين المسلمين وهم بشر بعضهم يفهم الإسلام فهما صحيحا، وبعضهم ينحرف بهذا الفهم بحسن نية زيادة فى الإخلاص والحماس، أو بسوء نية وما أكثر العملاء الذين يرفعون راية الإسلام ويعملون ضد الإسلام.. والتاريخ ملىء بهؤلاء منذ عصر النبوة حتى اليوم. كما نحتاج إلى توضيح فكرة أساسية تزيل المخاوف التى انتشرت فى الغرب وتجد أصداء لها فى الكتابات العلمية والثقافية العامة والمتخصصة، وتتسع هذه الأصداء لتتردد فى وسائل الإعلام المختلفة، وهى أن الإسلام أصبح هو التهديد للغرب فى هذا العصر، وإن على الغرب أن يحمى نفسه من طغيان هذه الموجة العدوانية التى تعتمد على العنف والإكراه وعدم القدرة على الحوار،

لابد من أن نبين ونوضح أن الاضطرابات التى تظهر فى العالم الإسلامى لها جذور اجتماعية واقتصادية وتاريخية ولكن ليس لها جذور فى العقيدة الإسلامية ذاتها، لأنها عقيدة ترفض العدوان والعنف، ووسيلتها الوحيدة هى الحكمة والموعظة الحسنة، ومبدؤها الأساسى لا إكراه فى الدين، وروحها أن الله لا يحب المعتدين، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده.. الخ.

أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب لكى يلتقى المسئولون عن الإعلام والفكر والثقافة فى العالم العربى والإسلامى لكى يدرسوا بجدية أساليب الإساءة المنظمة إلى الإسلام بمظاهرها المختلفة، ويحللوا عواملها وأسبابها، ويضعوا تصورًا لعمل كبير يبدأ بالفكر وينتهى بالإعلام - وليس بالعكس - ويحشد طاقات المثقفين والمفكرين والإعلاميين العرب والمسلمين، وهم كثيرون ومنتشرون فى أنحاء العالم، ونبدأ حملة للدفاع عن الإسلام، وتوضيح حقائقه باللغة والمنطق والأسلوب الذى يتفق مع العلام الغربى لكى تبرئ الإسلام مما يقال عنه من اتهامات ظالمة، ونعيد إلى أذهان العالم الصورة الصحيحة المشرقة للإسلام على أنه الدين الذى يحفز على بناء الحضارة وصنع التقدم ويرفض كل صور التخلف والرجعية فى الفكر والسلوك، وعلى أنه الدين الذى قامت عليه حضارة اتسمت بازدهار الثقافة، وحرية العقل، والالتزام بالمنطق، وحب الحياة والعمل على تطويرها وترقيتها، وهو الدين الذى يعطى أتباعه القوة الملهمة للعمل لأن الله يحب إذا عمل المسلم عملا أن يتقنه، ولأن الله يرى أعمال العاملين ويحاسب عليها من أساء ومن أحسن ومن فرط ومن أتقن.. وهو الدين الذى يدعو أتباعه المخلصين الصادقين فى إخلاصهم له ليكونوا مثل رسولهم - قدوتهم - فى رفض العنف وإيثار الدعوة الهادئة.

أهم من ذلك أن نبين للعالم الغربى كيف أن التاريخ الإسلامى كان فى كل عصوره مليئا بالمنافقين الذين اتخذوا الإسلام ستارًا لتغطية جرائمهم

وعدوانهم على الإسلام، وهذا تاريخ طويل يحتاج إلى إعادة كتابته ليس فقط ليعرف العالم أن عليه أن يميز ويفرق بين المسلمين حقيقة وبين من يدعون أنهم مسلمون لتشويه الإسلام، ولكن أيضا لكي يعرف شبابنا التاريخ الطويل للمؤامرة على الإسلام حتى والقرآن ينزل والوحى يدل رسولنا الكريم على المنافقين والمدعين والمتسترين بالإسلام.

نحتاج إلى أن نشرح لشبابنا وللعالم كله معانى قول الله سبحانه وتعالى: **﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾** صدق الله العظيم [البقرة ٢٠٤ ، ٢٠٥].



الإعلام.. والإسلام (٤)

لا يكاد يختلف أحد من المراقبين والمتابعين للإعلام الغربى على أن فيه تشويها فى عرض الإسلام ذاته كدين للسماحة والتعاون على البر والتقوى وليس على الإثم والعدوان، وكحضارة ارتبطت بالتقدم العلمى والاجتماعى والأخلاقى وقدمت للإنسانية أساس حضارتها الحديثة، وكثقافة متفتحة على كل ثقافات العالم، ولذلك فإن جوهرها لا يتفق مع القضية المطروحة الآن فى الغرب عن صراع الحضارات والثقافات وبالذات بين الحضارة أو الثقافة الإسلامية من جانب وثقافة الغرب وحضارته من جانب آخر. فلقد تعايشت حضارة الإسلام وتفاعلت مع الحضارات وأضافت الكثير من خلال هذا التفاعل الخلاق.

ولا يكاد يختلف أحد أيضا على أن هذا الإعلام غير المنصف وغير الدقيق، وربما غير الأمين أيضا، قد ساهم مساهمة كبيرة فى صنع الصورة الذهنية المشوهة عن الإسلام والمسلمين فى العقل الغربى، وفى إيجاد رأى عام معاد، أو على الأقل غير متعاطف، وغير متجاوب، وغير متفهم، للإسلام والمسلمين. وهذه قضية مستقبل ومصير، ولذلك فإنها تحتاج إلى وقفة طويلة، ومناقشة هادئة. بحثا عن طريق للعمل.

وهناك دراسة نشرت منذ سنوات، وكان ينبغى أن تلفت الأنظار، ويدور حولها بحث ينتهى إلى خطط عمل، لكنها مرت دون أن تلتفت أنظار أحد - مسئول أو غير مسئول - مع أن حقائقها مازالت صارخة وقائمة، وهى بعنوان «صورة العرب فى عقول الأمريكيين»، وأعدها فى إطار بحث علمى أكاديمى أستاذ مقيم فى الولايات المتحدة هو الدكتور ميخائيل سليمان،

يقول فيها: إن أغلب الأمريكيين لا يفرقون بين العرب، والأتراك، والإيرانيين، ويخلطونهم جميعا كمسلمين من فصيلة واحدة، وإن صورة إيران قبل ثورتها في العقل الأمريكي كانت تتلخص في: حضارة قديمة، وسجاد إيراني، وبترول، وحاكم اسمه «الشاه» وبعد الثورة الإسلامية أصبحت الصورة تتلخص في أن الإيرانيين متعصبون قساة، غير متحضرين يستسهلون القتل. وتركيا في عقول الأمريكيين لا تختلف عن إيران قبل الثورة. فهي بلاد قديمة، صديقة وحليفة للغرب، والأتراك مقاتلون أشداء وصورة الإسرائيليين في عقول الأمريكيين أنهم: يهود، مصممون على تأسيس دولة خاصة بهم، مقاتلون، لديهم سلوك عدواني، أما العرب فصورتهم في العقل الأمريكي بشكل عام تتلخص في أنهم: أغنياء، متخلفون، بدائيون، غير متحضرين، ملابسهم غريبة، يسيئون معاملة المرأة، يبدون مولعين بالحروب، متعطشون للدماء، يتميزون بالغدر والمكر، وبرغبة دائمة في استخدام القوة، وبالقسوة. وهذه الصورة بالطبع في مجملها مشوهة، وغير صحيحة، وغامضة إلى حد كبير، ولكن الإعلام المعادي للعرب والإسلام يستخدمها بذكاء. وبحنكة، بحيث لا تظهر نوايا الإساءة والرغبة في التشويه، ويستدعي هذه القوالب الذهنية بطرق غير مباشرة غالبا العرب والمسلمين، وبقاء هذه الصورة في الرأي العام تسهل على أي معاد أن يستثير في الرأي العام الغربي عموما والأمريكي خصوصا المشاعر ضد العرب والمسلمين، وضد أي زعيم أو بلد، أو شعب عربي أو مسلم، لأن هذه الصور الذهنية متغلغلة في الوجدان بفعل تراكم سنوات من العمل الإعلامي والتعليمي والثقافي المنظم، رغم أنها صورة - كما تبدو لأي عقل محايد أو منصف - عامة، ومشوهة وغامضة، وغير صحيحة، يضاف إليها أن الإعلام الغربي بشكل عام يلح، ويكرر بكل وسيلة في عرض الصور والأحاديث والأحداث والشخصيات لإثبات أن العرب والمسلمين ضد العلم، وضد الاحتكام إلى العقل، ولا يخضع تفكيرهم

للمنطق، يؤمنون بالخرافات، كسالى، غير قادرين على القيام بالأعمال الكبرى الطموحة التى تحتاج إلى حشد القوة والدأب على العمل الصعب، وهم أيضا يتميزون بالعناد، خانعون أمام السلطة. شهوانيون لا يفكرون إلا فى المسائل الجنسية، أما الفنون الراقية، والأفكار الهامة، والمثل العليا، فليس لها فى حياتهم مكان (!).

نبهنا الدكتور ميخائيل سليمان فى دراسته التى استغرقت سنوات، واستخدمت أدق الأساليب العلمية والإحصائية، أن الغربيين ينظرون إلى العرب والمسلمين على أنهم قوم يتميزون بالتزمت ويضيقون بحرية الفكر ولا يحتملون طرح فكرة جديدة تعارض أو تختلف مع ما ألفوه واستقرت عليه حياتهم العقلية، وإن الأمية منتشرة بينهم، كما أن التواكل يشل إرادتهم نتيجة مفهومهم عن القضاء والقدر.. فلا يدركون قيمة الحرية الفردية، ولا قدسية الحياة الإنسانية، ولا يشعرون بأهمية التكنولوجيا إلا كمستعملين لها دون دراية، وهم أعداء التحديث والتجديد فى أى صورة.

تقول الدراسة كلامًا موجعًا يعكس حقيقة ما فى أعماق العقل الغربى والأمريكى عن العرب والمسلمين. إن الإعلام هناك، وخصوصا الأفلام السينمائية، جماعة منبوذة فى العالم الواسع، لا شاغل لهم إلا الجنس والعنف، وهم مصدر خطر دائم، والقيم التى يعتنقونها وتوجه سلوكهم هى فى حقيقتها قيم غير أخلاقية، يبددون ثرواتهم، ويتصرفون دون شعور بالمسئولية، ويهددون الاقتصاد الغربى، ويمكن أن يعرضوا الحضارة الغربية للخطر، لأنهم قوم عاشوا خارج التاريخ قرونًا طويلة.

تقول الدراسة أيضا أنه بقدر ما تعمل وسائل الإعلام الغربى فى شكل حملة مستمرة لبناء صورة إيجابية عن إسرائيل وأهدافها، فإنها تدس قوالب ذهنية سلبية عن العرب تشوه صورتهم، تقدمهم للأجيال المتتابعة التى لا تعرف، ولم تحتك بالعرب والمسلمين، فى هذه الصورة الظالمة.

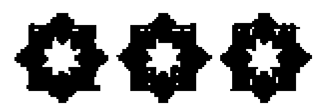
لابد أن نعود إلى هذه الدراسة وأمثالها مرات أخرى لكى نحلل، ونفهم، ونبحث عن طريق العمل. ولا نكتفى بإدانة الإعلام الغربى والأمريكى بالظلم، لأن الآخرين ليسوا مطالبين بأن يعملوا من أجلنا، ولكننا نحن الذين يجب أن نعمل من أجل أنفسنا وإذا هانت علينا أنفسنا، كانت على الناس أكثر هونا، وهذا أمر طبيعى.

من السهل أن نوجه الاتهامات إلى الإعلام الغربى والأمريكى ونتهمه بالانحياز، وهذا حق، ولكنه لا يكفى لحل المشكلة، كما لا يحل المشكلة ان نكتفى بالقول بأن المنظمات الصهيونية تسيطر على الإعلام هناك، والأفضل من ذلك إن نسأل أنفسنا: ماذا فعلنا وماذا يمكن أن نعمل لنواجه ذلك كله؟!

ليكلا تكون الصورة قاتمة لابد أن نضع فى اعتبارنا ثلاثة أمور **أولها**: أن هناك فئات وقطاعات من المثقفين وعامة الشعب فى الغرب عموما لديها صورة ذهنية إيجابية عن العرب والمسلمين، لكن هؤلاء ليسوا الأغلبية، **وثانيها**: أن هناك نماذج من شخصيات عربية وإسلامية مؤثرة فى الرأى العام الغربى ومشرفة تقدم صورة حية منصفة لقدرة العرب والمسلمين على التعامل مع العصر والتفوق فيه، **وثالثها**: أن ثمة جهوداً إعلامية وسياسية واتصالات على مستويات عليا، تفيد كثيرا فى تقديم صورة منصفة للتفكير والسلوك العربى والإسلامى المتحضر. ويضاف إلى ذلك أنه ليس من مصلحة أمريكا والغرب عموما معاداة العالم العربى والإسلامى وهذه عوامل فى صالحنا، ويبقى علينا أن نعد الخطط ونبدأ العمل بخطوات ثابتة، وبعقلية علمية تراعى أن فنون الاتصال الجماهيرى والإعلامى أصبحت الآن من العلوم الدقيقة، لها مناهج، وخبراء وأدوات ولم يعد مجديا شن الحملات الدعائية أو إطلاق العبارات والشعارات العاطفية. أو حجز مساحات إعلامية فى الصحف ومحطات التليفزيون الكبرى تكلف ملايين الدولارات ولا تغير شيئا.

من هنا أقول إن اجتماعات وزراء إعلام الـدول الإسـلامية، التـى جـرت فى القاهرة مؤخرا ومبادرة مصر والسعودية بطرح تصور لاستراتيجية جديدة للإعـلام تواجـه الإعـلام المضـاد وتقـدم الصـورة الصحيحـة عـن الإسـلام والمسلمين. كل ذلك ضرورى وبالغ الأهمية، فى هذا الوقت بالذات.

لكن الموضوع مازالت فيه جوانب تحتاج إلى تفصيل.



الإعلام.. والإرهاب (١)

ما هو الهدف الحقيقى للإرهاب..؟

هل يطمع هؤلاء الصبية بما هم فيه من جهل، وضيق أفق، وقلة خبرة، فى أن يحكموا مصر..؟

هل يتصورون أن الشعب المصرى بما فيه من مخزون الحكمة والخبرة. والتجربة السياسية والحضارية يقبل هذه الشرذمة لتتولى القيادة، وتتصدر الصفوف، وتوجه دفة البلاد فى عالم مضطرب ملىء بالمخاطر والاحتمالات، وفى بلد قائد بحكم تاريخه وموقعه وفاعلية دوره..؟

المؤكد أن الإرهاب لا يهدف إلى حكم مصر.. لأن الإرهابيين مهما بلغ بهم الجموح والجنون فلن يصل خيالهم إلى ذلك الهدف.

والمؤكد أن الهدف الحقيقى للإرهاب هو تعطيل مسيرة التقدم.. إثارة جو عام من القلق والتوتر.. خلق مناخ من عدم الثقة.. وإحساس بأن هذا بلد غير مستقر.. وإن من يستثمر أمواله فيه يعرضها للمخاطر، ومن يزوره أن يعيش فيه لن يجد فيه الحد الأدنى من الأمن.. وعمليات القتل والتدمير هدفها الوصول إلى «الإعلام» لتحويل الفزع إلى حالة عامة.

الهدف الحقيقى للإرهاب هو أن تصبح مصر على الحال الذى يتمناه لها أعداؤها.

وليس الهدف إقامة الشريعة.. أو الوصول إلى الحكم كما يفهم خطأ بعض المراقبين الذين لا يعرفون طبيعة وتكوين جماعات الإرهاب..

ولا طبيعة وتكوين الشعب المصرى والشريعة ليست إلا غطاء.. أو قناعا أو شعارا مما اعتدنا أن نصفه بأنه كلمة حق يراد بها باطل.

ولو أردنا أن نحدد التصنيف الصحيح للإرهاب فلن نجد إلاّ أنها عصابات ترتكب جرائم موجهة ضد الوطن كله وليست ضد فرد أو سلطة أو جماعة.. وإن ذلك كله يحدث تنفيذا لمخططات أجنبية.. وهذا ما يفسر أن هذه الجماعات يتم تدريب قياداتها فى دول معينة.. وتتلقى الأوامر والتعليمات والخطط كما يصل إليها التمويل من الخارج.. فهى فى النهاية صورة من صور الحرب المعلنة على الشعب المصرى من دول لا تريد، ولا تستطيع أن تعلن عن نفسها لتعلن علينا الحرب صراحة، ومثل هذه الحرب ليست جديدة علينا.. فقد تعرضت مصر على امتداد تاريخها لغزوات متعددة بعضها معلن وصريح وبعضها خفى ومن وراء أقنعة مختلفة.. كما تعرضت مصر، ومازالت تتعرض لأنواع متعددة من الحروب.. حروب عسكرية.. وحروب اقتصادية.. وحروب نفسية.. والصورة الأخيرة لهذه الحروب، وهى الإرهاب، تجمع بين أهداف ووسائل هذه الحروب جميعا.

إلى هنا والمسألة واضحة ولا تحتاج إلى شرح أو أدلة جديدة. الأمر الذى يحتاج إلى وقفة حاسمة هو موقف بعض الأطراف فى الداخل التى تؤيد الإرهاب علنا من خلال صحف منشورة.. وأحزاب رسمية.. ومن فوق منابر حكومية أيضا.. وعند هذا الحد لا يجوز السكوت..

بعض الأحزاب وصحفها تحولت إلى منابر تحرض وتشجع الإرهاب وتسعى بكل الوسائل لتصوير الإرهابيين وعصاباتهم الإجرامية على أنهم فتية آمنوا بربهم وأرادوا إصلاح وطنهم.. ولابد أن يقال صراحة أن هذا الموقف المؤيد للإرهاب ولأفكاره – صراحة أو ضمنا – هو موقف يتعارض مع الوطنية، ولا يتفق مع الإخلاص الواجب لمصالح مصر العليا، ولا يحقق إلا أهداف ومصالح أعدائها.

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الأحزاب وصحفها تساعد الإرهاب وتهيئ له المناخ الملائم بالسعى إلى إيجاد رأى عام ساخط على كل ما هو قائم، وبتحريض واضح على إثارة مشاعر العداء للسلطة القائمة ولكل رموزها وقياداتها دون تفرقة، وبتوجيه الاتهامات إلى الجميع دون سند أو دليل، ومن يحلل مضمون الخطاب الذى تتوجه به هذه الأحزاب وصحفها إلى الجماهير فسوف يجد فيهد تحريضا واضحا على الرفض والعنف.

الأكثر خطورة إن هذه الأحزاب وصحفها ترفض كل فعل وكل قرار تتخذه مصر، وتؤيد فى نفس الوقت كل فعل وكل قرار يتخذه الآخرون.. فتحولت إلى أبواق تردد مزاعم قوى أجنبية معينة تنطلق منها الدعايات العدائية وتنطلق منها بطرق ملتوية الأفكار المدمرة والأسلحة المدمرة.

ولو راجعنا ما تنشره هذه الصحف منذ فترة طويلة وبدأب - شديد، فسنجد بعد كل حادث إرهابى أنها لا تنشر عنه بالحجم الحقيقى له، ولكنها تعطيه حجما أكبر بكثير من حجمه الحقيقى، بما يتجاوز مهمة الإعلام إلى مهام أخرى.. إثارة الفزع فى نفوس الناس داخل مصر وخارجها.. تصوير الإرهاب وكأنه أصبح قادرًا على ارتكاب ما يريد من جرائم دون قوة تردعه.. تحريك مشاعر الخوف والقلق.. وأخيرا ترك انطباع لدى القارئ بأن الإرهاب ينتصر..!

وفى ذلك تحقيق للهدف الأول للإرهاب.. وهو الهدف الدعائى والنفسى.. للتأثير فى الروح المعنوية للشعب المصرى..

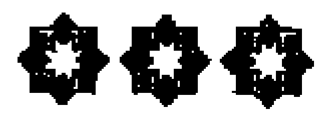
تفعل ذلك أقلام مصرية، وتكتب ذلك فى مصر، وتنشره فى صحف مصرية، وتظن أن هذا المكر الخبيث لن يكشفه المصريون.

فى هذه الصحف تقرأ اتهاما للحكومة لأنها تقبض على الإرهابيين، ونقرأ عنوانا يقول: «هجوم على قطار سياحى» مع أنه لم يكن هجوما

ولكن كان إطلاق رصاصات لاذ أصحابها بالفرار.. ومع أنه ليس هناك قطار سياحى فكل القطارات يركبها السياح والمصريون، وطلقات الإرهاب العشوائية لا تستطيع أن تختار السياح وحدهم، ولكنهم يريدون لفت أنظار المراسلين الأجانب لينقلوا هذه الصيغة الخبيثة لكى يتحقق الهدف وهو تخويف السياح، وضرب السياحة، أى ضرب الاقتصاد المصرى وحرمان الشعب المصرى من مصدر أساسى من مصادر الدخل القومى.

نقرأ أيضا عنوانا يقول: فندق الموت فى نويبع عنوانا لموضوع عن تصدع مبنى بسبب الزلزال الأخير لم يكن فندقا - كما أعلن وزير السياحة - ولكنه كان استراحة متواضعة ولم تحدث خسائر إلا وفاة شخص واحد، ولكن المقصود هو تخويف السياح من القدوم وخلق انطباع بأن الإقامة فى الفنادق فى مصر خطر على من يغامر ويقيم فيها..

والأمثلة كثيرة لما تقوم به بعض الصحف من دور مشبوه لتحقيق الهدف الإعلامى والسيكولوجى الذى يريد الإرهاب أن يحققه. ولا ندرى إن كانت هذه الصحف تقوم بهذا الدور عن قصد وتدبير أو دون قصد.. فكلاهما أمر مؤلم.. وخطير.. ولا يمكن السكوت عليه..



الإعلام.. والإرهاب (٢)

في مؤتمر صانعي السلام في شرم الشيخ أشار عدد من قادة الدول إلى الرابطة بين الإرهاب والإعلام، وهي إشارة وإن كانت تبدو عابرة في سياق حديث كل منهم، إلا أنها تمثل قضية بالغة الأهمية، لم تحظ حتى الآن بما تستحقه من الفهم والتحليل والاهتمام، لأن الذين تنبهوا إلى أن وسائل الإعلام في مختلف الدول، تقدم دعما غير مقصود للإرهاب، وخدمة دعائية مجانية للترويج له، ومساعدة بطريق غير مباشرة لتحقيق هدفه.. الذين تنبهوا إلى ذلك مازالوا قلة، وأغلبية المشتغلين بالإعلام في العالم لم تصل هذه الحقيقة إلى وعيهم بالدرجة الكافية.

ولابد أن نضع في اعتبارنا أن من بين المشتغلين بالإعلام - في أي دولة - من يعتنق بعض الأفكار والمبادئ التي يريد الإرهاب أن يفرضها على المجتمع وعلى سبيل المثال، فإن المنظمات الإرهابية - في مصر مثلاً - تبدأ من قضية أن هذا المجتمع كافر، وأنه لا يطبق الشريعة الإسلامية، وبالتالي يسري على كل من فيه حكم الكفار والمرتدين.. ومع أن هذا القول لا يمثل قضية شرعية حقيقية، ولا يستقيم مع المنطق، أو مع الواقع، إلا أن هناك من يخدم هذا التصور بشكل أو بآخر في وسائل الإعلام المختلفة.. بالصورة.. والمقال.. والخبر.. والكاريكاتير.. والتعليق.. وبالإشارة العابرة والخبيثة - في ثنايا الحديث العلني.. وبكلمات - موحية مدسوسة في عبارات مقال طويل.. وهناك من يكتب صراحة، وبكل وضوح، لنشر هذه الفكرة وتعميق الإحساس بها في نفوس الناس يوما بعد يوم، ومع التكرار والإلحاح، وتنوع الأساليب، ونغمة الثقة الزائدة، واليقين، ومهاجمة كل من يناقش هذه القضية المغلوطة وتشويه صورته..

مع هذا العمل الإعلامى المنظم فإن الأرضية الفكرية والنفسية للإرهاب تكون قد انتشرت واتسع نطاقها من حيث لا تستطيع الدولة أو أجهزة الأمن أن تلاحقها، لأن مواجهة المنحرف مسئولية أصحاب الفكر المعتدل وليست مسئولية أجهزة الأمن.

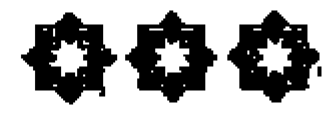
وهناك مقالات تنشر فى صحف مطروحة للبيع ليست فى حقيقتها مقالات رأى، ولكنها منشورات تحريض على الدولة، وعلى المجتمع، واستعداء على المواطنين الذين يعيشون آمنين مؤمنين بأن حياتهم تسير وفقا لما أمر الله وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويؤدون الصلاة، ويخرجون الزكاة، ويصومون رمضان، ويهرعون إلى الحج كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا.. فكيف يمكن أن يجرؤ مدع على اتهامهم بالكفر.. لكن الإرهاب أصبح أخطبوطا له رءوس متعددة، وأيد وعيون كثيرة، بل إن الإرهاب أصبح صناعة عالمية ويمثل مصدرا من مصادر الدخل الأساسية لبعض الدول، ومصدر للثراء والحصول على أموال بغير حساب للرءوس الكبيرة، ومصدرا للحصول على عمل يتكسب منه أصحاب الرءوس الصغيرة.. هذه الصناعة الكبرى أصبحت صناعة دولية.. وكما أن هناك شركات عابرة للقارات.. لاتهمها الاعتبارات الوطنية أو القومية، ولا مصالح الشعوب.. فإن هناك الآن منظمات إرهابية دولية عابرة للحدود، مستعدة لتقديم الخدمات والعمليات والمعدات الإرهابية لكل من يقدر على أن يدفع الثمن الباهظ لذلك، وما أسهل تقديم خدمات إضافية لتبرير عمليات الإرهاب، وتحسين صورة الإرهابيين وتقديمهم وكأنهم أصحاب قضية، أو أصحاب رسالة، أو أنبياء العصر، أو مناضلون من أجل الحرية، بحسب الظروف.. وهذا ما يفسر لنا لماذا نجد الإرهاب فى دولة فى شكل حركة دينية، وفى دولة أخرى فى شكل حركة سياسية، وفى دولة ثالثة فى شكل عصابات للقتل والسرقة وإثارة الفزع بين الناس لفرض إتاوات عليهم.. تتعدد الأشكال والجوهر واحد..

جوهر الإرهاب واحد.. والهدف أيضا واحد: هو إثارة الخوف العام، ونشر القلق والتوتر على نطاق واسع بين الناس.. الوسيلة هى القنبلة أو الرصاصة، والغاية هى السيطرة على المجتمع عن طريق تخويف الجميع وإشعارهم بأن حياتهم فى خطر إذا لم يذعنوا لما يطلبه الإرهابيون. وسائل الإعلام تساعد الإرهابيين على تحقيق الهدف.. بحجة أنه يمارس حقه فى نشر الأخبار، وتقع فى مصيدة البحث عن الإثارة وجذب القراء وزيادة التوزيع.. حيث يضيف إلى كل حادث إرهابى بعض الرتوش التى تجعل قلوب القراء تمتلئ بالخوف من هذا الخطر الداهم المجهول الذى لا قلب ولا عقل له.. وأحيانا تتوسع الصحف والإذاعات والتليفزيونات فى شرح الحادث الإرهابى وعرض صور الضحايا الممزقة إلى أشلاء.. ومعروف أن كل إرهابى ينفذ جريمة من جرائمه،يترقب بقلق معرفة نتائج فعلته ليطمئن إلى مدى نجاحه فى تحقيق الهدف.. فهو يفتح كل تليفزيونات القنوات الفضائية.. ويحصل على كل طبعات الصحف ليرى أثر ما فعله ويقيس رد الفعل أو ربما يحصل من الصحف على معلومات عن اتجاه تحرك الأمن وتفسير الأجهزة لكل حادث.. والصحف تقدم أحيانًا كل هذه الخدمات.. فتنشر بالعناوين العريضة وفى الصفحات الأولى أخبار وصور العمليات الإرهابية لكى تقدم دليلا على نجاح الإرهاب فى الوصول إلى غايته.. وأحيانا تكتب الصحف قصة الحادث الإرهابى بشكل يثير التعاطف مع الإرهابيين.. وكأنهم أصحاب قضية..! أو كأنهم أبطال مجهولون يؤثرون الموت من أجل هذه القضية السامية..!.

ولو أننا قمنا بدراسة تحليلية هادئة لكل الصحف الصادرة خلال السنوات الماضية فسوف نكتشف أن هناك أخطاء بعضها مقصود ومتعمد من جانب بالذات.. يعرف حقيقة ما يفعله.. ويقصد إليه.. ويقدم خدمات مباشرة ودفاعا مستميتا عن الإرهاب، ويعرض أفكاره بأساليب جذابة

وبحماس وإيمان واقتناع.. ولكن أكثر الصحف سنجدها قد وقعت في الشباك دون قصد..

وهذا ما يدعو إلى وقفة.. نراجع فيها.. ونعيد النظر.. ونتفق كيف ننشر أخبار الإرهاب دون أن نحجبها أو نفرض عليها رقابة باعتبار أن من حق المواطنين معرفة كل ما يجرى فى المجتمع.. وكيف نفعل ذلك دون أن نروج فكر الإرهاب أو نثير التعاطف معه.. ودون أن نظهر نتائج العمليات الإرهابية بأكبر من حجمها الحقيقى فتثير الخوف العام دون داع.. ودون أن نظهر الإرهابيين بمظهر الأبطال. وينبغى ألا ننسى أن الشباب فى سن المراهقة يمكن أن يتعلق بهذا النوع من البطولة الإجرامية.. وكم من المجرمين الصغار اعترفوا بأنهم ارتكبوا جرائمهم نتيجة الإعجاب والرغبة فى تقليد المجرمين العتاة.. يجب ألا ننسى أن الشر له أنصار.. وإن كان الخير له أنصار أكثر .



الفصل الثالث

- كيف تقدم الإسلام للغرب؟.
- رؤية غربية لحالة المسلمين.
- أخطاء المستشرقين.
- الإسلام ونظرية صراع الحضارات.
- من يؤيد الإرهاب؟!.
- تحذيرات من الغرب.
- مع المفتى فى أمريكا.
- ماذا قال المفتى فى أمريكا؟.
- واجب الدول الإسلامية الآن.
- الحوار الإسلامى المسيحى.

كيف نقدم الإسلام للغرب ؟

كيف نقنع الغرب بأن الإسلام برىء من الإرهاب؟ بالنسبة لنا تبدو سهلة، لأننا نعرف الإسلام معرفة من قريب، ولدينا تراكم قرون من الخبرة والمعرفة والمعايشة، ونستطيع أن نفرق بين ما هو إسلام وما هو دخيل عليه من دعاوى وأفكار وممارسات.

ولكن الأمر بالنسبة للغربيين مختلف. فهم يرون عمليات القتل فى أكثر من بلد إسلامى تحدث بشكل همجي وعشوائى باسم الإسلام وشريعته، ويبحثون وراء هذه الأحداث فيجدون أفكارا تحكم على المسلمين بالكفر وتبيح دماءهم، ولا يستطيع العقل الغربى أن يوفق بين هذه المتناقضات. دين يقول أهله إنه دين التسامح ويظهر فيه متعصبون، ويقولون إنه دين الرحمة وتظهر فيه جماعات تستخدم أقصى درجات القسوة إلى حد قتل الأبرياء فى الشوارع، ويقولون إنه دين الاعتدال ويظهر من بين أبنائه متطرفون.. كيف يستطيع العقل الغربى، وهو عقل منطقى يبدأ بأحداث الواقع ويتدرج منها إلى الحكم والحكمة والفكرة.

ولا نستبعد بطبيعة الحال سوء القصد لدى بعض الباحثين الغربيين كما لا نستبعد نظرية المؤامرة، أو سوء الفهم والخطأ فى قراءة النصوص والأحداث فى العالم الإسلامى اليوم، ولكن نضيف إليها سببا آخر هو ما يظهر على السطح من عنف يتحول إلى سلاح ضد الإسلام يستخدمه الغرب بسوء الفهم أو بسوء القصد.

وفى دراسة حديثة للأستاذ غسان سلامة الأستاذ بمعهد الدراسات السياسية فى باريس بعنوان «الإسلام والغرب» يشير أيضا إلى أن كثيرا من

خبراء الاستراتيجية الغربيين اعتبروا الإسلام هو العدو الجديد للغرب بعد انتهاء الحرب الباردة مع أن هؤلاء الخبراء لا يعرفون إلا القليل عن الإسلام، وكل ما يعرفونه أن البرنامج السياسي للإسلاميين يسعى إلى إحياء التاريخ القديم بصورة مغالى فيها، وأنهم يتحركون بدافع من الاغتراب عن النظام العالمي الراهن ويرون أن وضع العالم الإسلامي فيه قد أصبح هامشيا بصورة ظالمة إذا قيس بأمجاد الإسلام القديمة. وهم يسعون إلى إحياء التراث كله، ومقاومة الغرب، ومعاداة توجهاته الفكرية والسياسية الأساسية. والحقيقة أن الإسلاميين يتبنون برنامج القوميين ويترجمونه بمصطلحات دينية ويعدون بتحقيقه إذا وصلوا إلى السلطة.

لقد ساعدت الهجمات الغربية على الإسلام، والصور السلبية التى يقدمها الإعلام الغربى عن الإسلام والمسلمين إلى تأكيد ريبة المسلمين عن مؤامرة مغرضة للغرب على الإسلام، كما أن بعض الباحثين غذوا فكرة أن الإسلام دين فريد للغاية لا يمكن أن يتكيف مع معطيات العصر ولا أن يقبل التعايش مع الحداثة والديمقراطية، وقد وقع بعض أبناء الإسلام فى هذا الفخ وأظهروا العداء لكل ما هو حديث فى الفكر والتنظيم والتكنولوجيا وساهموا بذلك فى تصوير المسلمين على أنهم أصحاب دعوة للعودة إلى الحياة فى الكهف بعيدا عن الحضارة الحديثة.

ويشير غسان سلامة إلى مسئولية الغرب عن زيادة حجم التطرف فى الجانب الإسلامى، فلو أن الغرب ساهم فى حل المشكلة الفلسطينية وإعادة الحقوق إلى هذا الشعب الفلسطينى المظلوم لكان ذلك هو الحل الأمثل لعدم زيادة النزعة الراديكالية الإسلامية بين الفلسطينيين، ولكان فى ذلك تهدئة للرأى العام فى العالم الإسلامى الذى يتعمق فيه الشعور بأن الغرب يدعم القوى التى تغتصب أرضه وحقوقه ويعرقل وصول الحقوق إلى أصحابها الفلسطينيين، وأن ما يحدث للفلسطينيين يمكن أن يكرره الغرب مع

غيرهم.. كما أن هناك شعورا عاما بأن هناك نزعة التدخل لدى الغرب فى العالم الإسلامى طوال السنوات الماضية: سوريا (١٩٨٣) ليبيا (١٩٨٦) إيران (١٩٨٨) الصومال (١٩٩٣) فى حين أن الدوافع قد تختلف فى كل حالة إلا أن النتيجة هى التوجس من الغرب والتشكك فى دوافع تدخله حتى ولو كان هذا التدخل لأسباب إنسانية، لأن هناك شعورا يتعمق بأن الغرب يتعامل مع العالم الإسلامى بانحياز ضده وبعدم موضوعية، وبأنه يكيل بمكيالين.

ملخص هذه النظرية أن الغرب هو البادئ بالاعتداء الفكرى والموضوعى على الإسلام والمسلمين وأنه يبحث لنفسه عن مبرر فلسفى أو نظرى لهذا الاعتداء فلا يجد ذلك إلا فى الأفكار الغربية المحدودة الانتشار عن عداء الإسلام لغير المسلمين، أو عن احتقار المرأة ككيان إنسانى أو عن رفض الحضارة والتكنولوجيا الحديثة والديمقراطية أو عن استسهال الحكم على الناس بالكفر، أو فى ظهور جماعات العنف وارتكابها لجرائم غير مبررة، والحقيقة أن هذه كلها ظواهر كان ينبغى النظر إليها فى حجمها الحقيقى، وفى إطار نشأتها وظروف وجودها وبحسابات قدرتها على البقاء والاستمرار واحتمالات المستقبل بالنسبة لها، وتجاوب أو رفض الرأى العام فى العالم الإسلامى لها.. ثم بمقارنتها بما فى الإسلام الصحيح المعتدل من معطيات ومبادئ وأفكار هى بلاشك مع التقدم والحداثة، ومع الحريات وحقوق الإنسان، ومع الإخاء الإنسانى والسلام والتعاون الدولى.. ومع كل ما فى العالم من مبادئ تقدمية هى صياغات وترجمات لروح الإسلام، لأن حضارة الغرب الحديثة قامت أساسا على العلم والثقافة والحضارة الإسلامية وهذه حقيقة يعترف بها كل الباحثين الغربيين دون استثناء.

ولكن المشكلة أن المسلمين أصبحوا أكثر الناس تغنيا بالماضى الذى ذهب، وأكثر البشر حياة فى العصور التى انقضت.. لأنها كانت عصور ازدهارهم.. وبعض المفكرين استسهلوا الحياة فى الماضى ومحاولة استعادته بدلا من أن يتعبوا أنفسهم، ويبدأوا بحقيقة أنه ليس هناك عصر مضى يمكن أن يعود

وكل عصر يأتي لابد أن يكون جديدا، ولكن القيم الجوهرية الخالدة فى الإسلام هى الباقية التى لا تتغير بتغير العصور والأزمان.. يركب المسلمون الجمل أو الطائرة أو الصاروخ لا يهم.. لأن لكل عصر وسيلته.. يستخدمون صحائف من الجلد ليكتبوا عليها أو أجهزة كمبيوتر.. ليس ذلك شيئا يتعلق بالعقيدة.. ولكنهم فى كل الأحوال يتمسكون بالمبادئ.. الإسلام مبادئ.. وقيم.. وأسلوب حياة راقية فى العبادات والمعاملات.. وهو ليس دينا منقطع الصلة بغيره من الأديان السماوية، لأنها كلها من مصدر واحد.. ولذلك فهو يتفق معها ويعترف بها ويتعاون مع أهلها، وما ينفرد به فى العقائد والعبادات ليس سببا فى وجود عداء من أى نوع مع الآخر، وهذا ما يفسر أمر الرسول ﷺ للمهاجرين الأوائل بالهجرة إلى الحبشة ليعيشوا فى رعاية نجاشى الحبشة المسيحى، وزواجه عليه الصلاة والسلام بالسيدة ماريا القبطية، ووفاته ودرعه مرهونة عند يهودى إشارة إلى علاقات المسلمين بسائر الأديان علاقات أخوة وتعاون وليست علاقات عداء ابتداء بحكم العقيدة الإسلامية كما يروج بعض المفكرين الغربيين.

هناك افتراءات كثيرة ضد الإسلام والمسلمين على الساحة الفكرية الغربية تزداد يوما بعد يوم، وهذه حقيقة لا أعرف لماذا يحاول بعض كتابنا إنكارها أو التقليل من شأنها، مع أنها تمثل خطورة على الإسلام وعلى العالم الإسلامى، لأن سكوتنا بالعجز أو الاستهانة يؤدى إلى ترسيخ هذه الأفكار واتساع نطاقها.. وللحق لابد أن نقول إن المؤسسات الإسلامية لم تؤد واجبها كاملا حتى الآن.. لم تحشد المفكرين الكبار.. لم تحصر أوجه الهجوم على الإسلام لم تضع خطة للرد وتوضيح حقائق الإسلام فى كتب وبحوث، وفى مؤتمرات وحلقات بحث علمية على أعلى مستوى.. ولم تدع أصحاب الفكر المعادى لزيارة العالم الإسلامى والتعرف على السماحة المتغلغلة فى ملايين المسلمين ليعايشوا الفكر الإسلامى من خلال الممارسات اليومية البسيطة المعتدلة.

ولابد أن ندق ناقوسا يوقظ الغافلين.

رؤية غربية لحالة المسلمين

كلما تعمقنا فى تحليل أسباب سوء الفهم القائم فى الغرب للإسلام والمسلمين، نكتشف أن الموضوع متعدد الزوايا، وأن أسبابه عديدة، وعميقة ضاربة فى التاريخ الوسيط والحديث هنا وهناك، كما نتبين أن هناك الجهل المتبادل، وأحيانًا نجد سوء الظن المتبادل أيضًا. فى العالم الإسلامى تزدهر نظرية المؤامرة، وينمو إحساس عام بأن الغرب ينظر إلى الإسلام كعدو، وأن جسور التعاون والتفاهم والانفتاح الفكرى بين الغرب والإسلام، هذه الجسور ليست ممدودة أو مفتوحة بالقدر الكافى لتحقيق ذلك. كما تزدهر نظرية أخرى تردد فيما يشبه المسلمات أن «الشرق شرق» والغرب غرب ولن يلتقيا» وهى عبارة قالها مفكر غربى، ولكن صداها وتأثيرها فى العالم الإسلامى تضخم إلى حد أن أصبحت وكأنها تعبير عن حقيقة أزلية أبدية لا فكاك منها.

وفى الغرب هناك كتابات كثيرة تسىء إلى الإسلام وتشوه صورته، منها ما يتخذ شكل الكتابات العلمية والبحوث الأكاديمية، ومنها ما يظهر ما يظهر فى الكتابات الصحفية والمعالجات الإعلامية والفنية الأخرى وبخاصة فى برامج التليفزيون ومسلسلاته، وفى الأفلام السينمائية، وحتى فى الأعمال الأدبية والروائية.. ولذلك نقول إن حالة «سوء الفهم» القائمة الآن تحتاج إلى وقفة طويلة للفهم والإعداد لعمل يحقق ما ينادى به البعض من ضرورة «حوار الثقافات والحضارات» وهو أمر مطلوب وواجب ولكن يجب أن يتحقق بتوافر شروطه وليس بمجرد التمنى والمطالبة والرجاء.

ولقد دلنى الأستاذ ثابت عيد، وهو باحث مصرى متميز فى جامعة زيورخ بسويسرا إلى بعض كتابات صحفى سويسرى مشهور هو «اريك

جيسلينج» أبرز المتخصصين السويسريين فى شئون الشرق الأوسط يميزه أنه من الفئة التي تعمل فى الغرب على تصحيح صورة الإسلام، وقد ألف ثلاثة كتب عن الشرق الأوسط آخرها كتاب وضعه مع باحث سويسرى معروف هو «ارنولد هوتينجر» بعنوان «الشرق الأوسط بؤرة الصراعات» ويهدف فيه إلى تقديم الإسلام. كما عرفه - إلى المواطن السويسرى العادى، وهو يريد - بقدر ما يستطيع - أن يلعب دورًا فى تقريب المسافة بين العقليتين، ويشير إلى أن الأوربيين والأمريكيين يواجهون صعوبات فى فهم ما يجرى فى منطقة الشرق الأوسط من أحداث وصراعات.. فهل يرجع السبب إلى خلفيات سوء الفهم القديمة.. أم إلى الاختلاف الكبير بين العقليتين..؛ أم هى الخلافات الدينية والثقافية بين الحضارتين..؛ أم أن اختلاف اللغة هو العائق الرئيسى للتواصل والتفاهم بين الطرفين..؛ أم لأن الغربيين أصبحت لديهم فكرة ثابتة غير قابلة للتغير بأن العالم العربى (والإسلامى) لا يتصرف إلا بطريقة عاطفية..

يقول الباحث السويسرى أن هذه الفكرة الثابتة ليست صحيحة على إطلاقها فالسياسيون العرب يتعاملون مع الأمور بنفس الوعى والعقلانية اللذين يتصرف بهما سياسيو أوربا.. وهناك طبعًا بعض استثناءات ولكنها موجودة فى الجانبين والفارق الحقيقى أن السياسة فى العالم العربى (والإسلامى) ليست مسألة موضوعية ومجردة تخضع لنظريات محددة وواضحة ولكنها موضوع تتم معالجته حسب الأحوال من منطلق عملى ومحسوس.. فليس لدى العرب (والمسلمين) كثير من واضعى النظريات السياسية، أو مؤسسى المذاهب، كما هو الحال فى الغرب، يضاف إلى ذلك أن هناك مجموعات من العرب فى مختلف الدول العربية تجد صعوبة فى الإحساس بالانتماء.. ويضاف إلى ذلك أيضا تعدد ظهور أنظمة مصطنعة وهياكل شكلية للحكم فى فترات مختلفة من التاريخ العربى، كما أن الحدود بين الدول العربية تم رسمها بطريقة عشوائية بأقلام حمراء وزرقاء

عن طريق القوى الاستعمارية البريطانية والفرنسية وتستغل هذه الحقيقة استغلالاً سيئًا فى بعض الأحيان حتى أن صدام حسين حين غزا الكويت كانت حجته أن الحدود بين البلدين وضعها الاستعمار البريطانى، ونسى أن عدم الاعتراف بحدود الكويت يؤدى منطقيًا إلى التشكيك أيضًا فى شرعية حدود العراق لأن الاستعمار البريطانى هو الذى وضعها..!.

وفى تحليله لأسباب سوء الفهم بين الغرب والعالم العربى يقول إن هناك اختلافًا فى النظام السياسى، فهذا النظام السياسى يقوم فى المجتمعات الغربية على أساس توزيع السلطات. والحد من تركيز السلطة، وممارسة نظام تعدد الأحزاب، والاعتراف بحقيقة تنوع الثقافات. هذه الأفكار ليست غريبة على العالم العربى، وهناك أكثر من محاولة لتأسيس نظام ديمقراطى فى العالم العربى. كما أنه يجب أن نعترف بأن الشعوب العربية هى وحدها القادرة على اختيار النظام السياسى الذى يناسبها..

لكن الباحث حين يتعمق فى بحث جذور الفكر النظرى الذى تستند إليه النظريات وأنظمة الحكم فى العالم الإسلامى فإنه يرى أن هناك اختلافا فى فهم وممارسة مفهوم «الحرية» فى العالم الإسلامى والغرب، كما أنه من الناحية النظرية ليس هناك إجماع بين المذاهب الإسلامية حول نطاق حقوق الإنسان، أو حول الجبر والاختيار، وقضية حقوق الإنسان هى أحد أوجه الخلاف الرئيسية بين الغرب والعالم الإسلامى..

فى رأيه أيضًا ان القومية العربية، والسلفية الإسلامية حركتان قامتا كرد فعل من جانب الشعوب العربية والإسلامية ضد الغرب الذى تدخل بطريقة جافة وقاسية فى حياة العرب، وبعد الحملة الفرنسية على مصر فى القرن التاسع عشر، وسيطرة التفوق الاقتصادى والسياسى للغرب، أصبح العرب والمسلمون يسألون أنفسهم عن سر ضعفهم وعوامل تخلفهم، وأسباب تفوق الأوربيين عليهم، وبدءوا يحللون الماضى فى محاولة لفهم الحاضر، وأيضا

لإيجاد مخرج من حالة التخلف التى وجدوا أنفسهم عليها، وهكذا ظـهرت جماعة من المثقفين العرب تقول بوجوب نقل العلوم من الغـرب والاسـتفادة بها فى حل المشاكل، وتطوير المجتمعات الإسلامية، كمـا ظـهرت جماعـة أخرى بنظرية مختلفة ملخصها أن سبب ضعف المسلمين هو ابتعـادهم عـن تعاليم الإسلام وقواعده، وأن الحل الوحيد لمشاكل التخلـف هـو العـودة إلى هذه التعاليم والقواعد مرة أخرى، وإذا كان فى هذا التيار متطرفون فإن فيه معتدلين حتى داخل الثورة الإيرانية ذاتها..

وحتى قضية القومية العربية فقد كان فيـها هـى الأخـرى تيـاران: تيـار يمينى، يمثله مفكر مثل ساطع الحصرى، وتيار يسارى كان يمثلـه ميشـيل عفلق، وكانت هى الأخرى، تمثل خطا دفاعيا ضـد الغـرب، مـع فـارق أن القوميـين العـرب - مـن التيـارين - كـانوا يدركـون الحاجـة إلى تحديـث المجتمع العربـى، ويضيفـون إلى ذلـك ضـرورة نقـل التكنولوجيـا الغربيـة، والاستفادة من التقدم الحضارى والثقافى والعلمى فى الغرب عمومًا..

وينبهنا البـاحث السويسرى إلى فكـرة قـد تكـون غائبـة عـن كثـير مـن الباحثين فى حالة سـوء الفـهم الغربـى للإسـلام حـين يشـير إلى أن العـالم الغربى يتوجس خيفة مـن الفكـرة الإسـلامية بتقسـيم العـالم إلى جزءيـن أو عالمين: دار الإسلام ودار الحرب. ويستنتج الغرب منها خطأ أن المسلمين يعتبرون أنفسهم - بحكم دائم من الدين الإسـلامى ذاتـه فـى حالـة حـرب مستمرة مع الدول غير الإسلامية وقليل فى الغرب من يعرفـون ويتذكـرون.. أن الدول الإسلامية عاشت فـى سـلام لعصـور طويلـة جنبًـا إلى جنـب مـع الدول الأوربية، حتـى أن حـالات الحـرب بـين العـرب والأوربيـين تمثـل حالات استثنائية فى التاريخ..

لكن عصور الحرب بين المعسكرين تركت آثـارًا عميقـة علـى الجـانبين، وكان أولها فى القرنين السابع والثامن عندما توسـعت الحضـارة الإسـلامية

وامتدت من شمال أفريقيا إلى أسبانيا وجنوب فرنسا. وفى القرنين الحادى عشر والثانى عشر فى الحروب الصليبية، ثم الحملة الفرنسية على مصر التى يعتبرها الغرب نقطة تحول هامة فى المنطقة، حيث بدأ الغرب يمارس تفوقه العلمي والتكنولوجي، وباحتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ ووحشية معاملة الفرنسيين للشعب الجزائرى شهدت العلاقات العربية - الأوروبية تدهورًا جديدًا، ثم جاء احتلال بريطانيا للسودان، واحتلال إيطاليا وفرنسا بقية افريقيا فى الفترة بين عامى ١٩٠١ و١٩١١، وأخيرًا جاءت معاهدة سايكس - بيكو الغربية التى قسمت العالم العربى إلى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية، وبعدها وعد بلفور.. وليس غريبا أن يكون الاستعمار هو التحدى الأكبر بالنسبة للشعوب العربية والإسلامية، وأن تقوم الثورة بعد الثورة للتخلص من الاحتلال الغربى، حتى ترسخ فى الوجدان العربى والإسلامى أن التحرر معناه الثورة على الغرب..

ربما تساعدنا هذه الرؤية على فهم بعض عوامل سوء الفهم للإسلام فى العالم الغربى، ومهما اتفقنا أو اختلفنا مع الباحث السويسرى فإننا نسجل له إخلاصه فى البحث عن الحقيقة بالقدر المكن بالنسبة له كما نسجل للباحث المصرى الأستاذ ثابت عيد إخلاصه أيضا فى البحث عن رؤية الغربيين للإسلام لتكون بين أيدينا ونحن نفكر فى حاضرنا ومستقبلنا..

❁❁❁

أخطاء المستشرقين

ولو أن موضوع دور المستشرقين فى خدمة الإسلام الإساءة إليه موضوع طويل، أفاض فيه الباحثون ونبه إليه المخلصون من مفكرينا، إلا أنه ما زال هناك من يرى أن كل ما نشر عن الإسلام باللغات الأجنبية وبأقلام الباحثين الغربيين هو نتاج بحث التزم بالمنهج العلمى، وباعتبارات الموضوعية والحياد، ولعل سبب هذا الحكم العام هو الثقة الزائدة فى مؤسسات البحث العلمي الغربية، وفى الباحثين الغربيين، وتصور أنه ليس من المعقول أن يرد الخطأ، أو سوء النية ممن وصلوا إلى كل هذا التقدم العلمى، أو ممن قضوا أعمارهم فى دراسة الإسلام بكل جوانبه، لكن الواقع يكذب هذا الاتجاه القائم على تصور حسن النوايا دائما.. وهناك أمثلة.

آخر هذه الأمثلة - كنموذج ليس إلا - ما فعله المستشرق الفرنسى الأشهر جاك بيرك حين قام بترجمة معانى القرآن. وهو باحث ومفكر له مكانته الكبرى، وهو موضع ثقة ولا يتطرق إليه الشك كما ظل يردد كبار كتابنا طوال نصف قرن مضى، إلى حد أن تسرع البعض فأعتبر هذه الترجمة هى القرآن نفسه مكتوبا باللغة الفرنسية، واستندوا فى ذلك إلى معرفته العميقة بالقرآن وعلومه. وبصداقته لكبار المفكرين المسلمين، وبعضويته لمجمع اللغة العربية، إلى أن جاءت رئيسة قسم اللغة الفرنسية بجامعة المنوفية الدكتورة زينب عبد العزيز تنشر بحثا عن هذه الترجمة هو أقرب إلى الإدانة المسببة، وتضعها فى الإطار العام - السياسى والاجتماعى والثقافى - الغربى الذى يحيط بالإسلام وبخاصة فى عقد التسعينات.

والباحثة الجامعية تضع أمامنا شهادة مستشرق آخر هو آلان روبير كاسبار يقول فيها بالحرف: إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبدا.

بل ولم يحاول ذلك مطلقا.. وحتى خيرة المسيحيين الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام من أمثال يوحنا الدمشقى وتيودور أبى قرة، أو بولس الصيدونى، لم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته.. ولعل ذلك يرجع أساسا إلى أن الغرب المسيحى اكتفى لمدة قرون طويلة بتلطيخ الإسلام ومؤسسه بأسخف الأقوال، دون حتى أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة. فأول ترجمة لاتينية للقرآن لم تظهر إلا فى القرن الثانى عشر، أى بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام، وقد تمت بناء على مبادرة من بطرس المبجل، وتحت إشراف أسقف دير كلونى. ولابد هنا من إضافة : أن هذه الترجمة، وكل الترجمات التى تلتها، لم يكن لها أى هدف سوى أن تكون الأساس لتوجيه المزيد من الإدانات ضد القرآن.. تلك الإدانات لتى امتدت سلسلتها على مدى قرون..

وحين ظهر الاستشراق فى القرن السادس عشر لم يكن ذلك إلا لدراسة ثقافة العالم الإسلامى ومفاتيح السيطرة على عقول أبنائه لخدمة الاستعمار وترسيخ قواعده، وتعدد لنا الدكتورة زينب عبد العزيز بعض الترجمات لمعانى القرآن منذ القرن السابع عشر وحتى الآن بأقلام مستشرقين كبار لهم أسماء رنانة ولم تكن فى حقيقتها إلا تحريفا لمعانى القرآن يتستر وراء أردية علمية ومنهجية.. إلى أن جاء المفكر الفرنسى الكبير جاك بيرك ليرفض وينكر انتماءه إلى حركة الاستشراق، ويتمسك بأنه دارس للتاريخ، ومؤرخ، ولكنه حين أصدر ترجمته لمعانى القرآن التى صدرت فى فرنسا عام ١٩٩٠ كشف عن وجه آخر، فقد برر اهتمامه بتقديم معانى القرآن (مشوهة) للغرب «لأن الكثير من الناس والمفكرين الآن ينبذون الصورة المادية للحياة المعاصرة، ويرفضون مجتمع الاستهلاك، هذا المجتمع المادى المحض، ويفضلون على المدنية المعاصرة مدنية الإسلام الروحية، وينادون بالعودة إليها.. فكأنه أراد أن يقول للمفكرين الغربيين الذين أصبحوا يرفضون حضارة الغرب الآن ويرون أنها على وشك الانهيار لأنها فقدت الأساس

الروحى والأخلاقى، يريد أن يقول لهم: وهذا هو الإسلام أيضا ملىء بالخرافات والتناقضات.. إلى آخر الاتهامات القديمة المعروفة التى تتردد كثيرًا.

وتشير الباحثة أيضا إلى مستشرق فرنسى آخر هو رجيس بلاشير الذى يستشهد به جاك بيرك كثيرا، الذى يقول فى مقدمة كتابه عن «القرآن» متحدثا عن الصورة المشوهة التى قدمتها أوروبا عن الرسول ﷺ وإلى ترجمات معانى القرآن منذ القرن الخامس عشر فيقول إن هذه كلها «تمثل عنصرا أساسيا فى الصراع القائم ضد الإسلام».

و لا أستطيع أن أنقل هنا ما قاله جاك بيرك فى ترجمته لمعانى القرآن، لأننا فى شهر ومضان الكريم نعيش فى روحانية مصاحبة كتاب الله، ولا نحتمل ترديد مثل هذا التخريف، وقد نعود إليها بعد ذلك. ولكن يكفى أن نشير إلى ما توصلت إليه الباحثة العلمية المصرية من دراستها إلى أن المحاور الأساسية لعمل جاك بيرك الفخم تدور حول ما يلى:

أولا : التشكيك فى نزول وترتيب وتجميع القرآن.

ثانيا : تأثر القرآن بالشعر الجاهلى وبالفكر اليونانى القديم.

ثالثا : التشكيك فى أن القرآن تأثر بمزامير داود.

رابعا: احتواء القرآن لخط اسطورى ميثولوجى.

خامسا: أن مفهوم «الله» فى القرآن يثير الخوف فى نفوس المؤمنين به (ويغفل أن الله هو الرحمن.. الرحيم.. السلام.. الودود.. الباسط..).

سادسا: التناقض بين الإشارة إلى أهمية العقل فى القرآن وبين الإيمان بالغيب الذى يعنى عنده مساحات من الظلام. «ويغفل أن الغيب هو ما يمثل علم الله وإرادته المطلقة وغير المحدودة بينما علم الإنسان وإرادته لهما حدود بحكم طبيعته النسبية»..

سابعا: أن التشريع الإسلامى مرجعه الفقه، وهو تراكمات قضائية غير واردة فى القرآن الذى لا يتضمن إلا حوالى خمسمائة آية تتضمن الأحكام ويقول: «إن أقل ما يمكن أن يقال هو أن القرآن لا يتضمن آية قرآنية بالمعنى المفهوم، لا في العبادات، ولا فى مفهومها...» ثم ينتقد غموض التعبيرات فى الأحكام، وتناقض الشريعة، ويتهم بعض المفسرين الكبار بتحريف معانى بعض الآيات(!) كما يحاول الإيحاء بأن مفهوم «الله» فى القرآن هو ترديد لذات المفهوم فى الفكر اليونانى القديم (!)

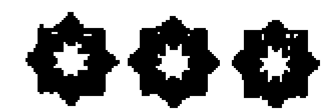
ويختم جاك بيرك مقدمته لترجمة معانى القرآن التى تقع فى ثمانين صفحة بالقول بأن مشكلة الإسلام اليوم هى ذلك الانفصال الذى يمكن أن يتفاقم بين مواقف العقيدة، ومسيرة العالم الفعلية، بل ومسيرة العالم الإسلامى نفسه، فالإسلام يبحث عن ملجأ باتجاهه إلى الأصول، إلا أن عدم إمكانية إخضاعها للنقد التاريخى ونقلها إلى الحاضر لا يعيد لها قوتها، إذ أن «الذكر» الحقيقى هو الذى يحول الذكرى إلى مستقبل.. وهى عملية خلاقة تدمج المعاصرة بالأصالة فى مواجهة التجديدات التى يجب على نظام العالم الآن أن يقترح حلولا ممكنة لها».

جاك بيرك، المستشرق الذى أحببناه من كثرة ما كتب عنه أساتذتنا الكبار باحترام، يردد هو الآخر نفس الأكاذيب عن عدم قدرة الإسلام على الحياة فى عالم يعيش ثورة التكنولوجيا وإنجازات العلوم الحديثة ويواجه تحديات من نوع جديد، وينتهى إلى تساؤل - أقرب إلى التشكيك - فى قدرة الإسلام على التأقلم مع ضروريات المستقبل.

وهل نعتبر ما قاله جاك بيرك بعيدا عما قاله مفكر غربى آخر هو جان كلود بارو فى كتابه عن «الإسلام والعصر الحديث» الذى صدر عام ١٩٩١ بصراحة ووضوح أكثر: «لابد من إعادة صياغة القرآن والسنة بمفاهيم عصرية جديدة، وإلا فإن على الإسلام أن يختفى» (!)

إن الدراسة التى قدمتها الدكتورة زينب عبد العزيز عن جزء من العمل الكبير لجاك بيرك عن ترجمة معانى القرآن ورقة جديدة فى ملف القضية مقدمة للرد على الذين يقولون إن فكرة إساءة فهم الغرب للإسلام هى نوع من عقدة الاضطهاد لدى المسلمين أو هى وهم من أوهام المتخلفين لكى يصلوا إلى تبرير تخلفهم لأنفسهم وللآخرين، أو هى - ربما - عقدة اضطهاد قديمة لها رواسب عند بعض المسلمين.

نقول إن المسألة ليست بمثل هذه البساطة.. ولكنها تحتاج إلى مجهود كبير جدا.. تقوم به الهيئات الإسلامية ومراكز البحوث، والعلماء، لحصر صور الإساءة والرد عليها، وتقديم الإسلام بصورته الحقيقية للعالم..



الإسلام ونظرية صراع الحضارات

ظهرت فى الفترة الأخيرة نظرية جديدة لتفسير الصراع العالمى لقيت رواجا كبيرا بين كتاب ومفكرى الغرب، ومنهم انتقلت إلى المثقفين العرب وتحولت على أيديهم إلى نوع من «الهستيريا» بحيث أصبح يرددها الجميع وكأنها المفتاح الذى كان ضائعا لفهم العالم، ووجده الغربيون أخيرا، ولم يعد ينافسها فى هذه «الهستيريا» إلا نظرية «نهاية التاريخ» التى اخترعها الباحث الأمريكى الجنسية اليابانى الأصل فوكاياما وانتهى فيها إلى أن الصراع انتهى بسقوط الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم، وسيظل الحال كذلك إلى يوم الدين.

أما نظرية «صراع الحضارات» فملخصها إن التاريخ هو تاريخ حضارات والصراع بينها، وأن العالم وقد انتهى من مرحلة أساسية من مراحل الصراع، فإنه مقبل على حلقة جديدة يكون فيها الصراع الدولى حضاريا، وليس أيديولوجيا أو اقتصاديا، وستكون الخطوط الفاصلة بين الحضارات هى نفسها خطوط القتال فى المستقبل وأبرز أصحاب النظرية هو المفكر المعروف صمويل هانتنجتون وقد بذل جهدا خارقا لكى ينشر فكرته بكل طريقة، وهى تدور حول أن الصراع العالمى سيكون بين الغرب من ناحية والحضارات غير الغربية من ناحية أخرى وأولها الإسلام، تليه ست حضارات أخرى هى: الكونفوشية، واليابانية، والأرثوذكسية السلافية، والأمريكية اللاتينية، وربما الديانات الأفريقية أيضا(1) ولكن الحضارة الإسلامية – من بين هذه الحضارات – فهى مركز الصراع فى المستقبل القريب.

ويفيدنا في الموضوع كتاب جديد صدر في القاهرة بعنوان «الغرب والإسلام» قامت فيه الباحثة منى ياسين بترجمة وتحليل خمسة نصوص هامة موضوعها رؤية الغرب للإسلام ومستقبله، ويهمنى أن أركز هنا على نظرية هانتنجتون لأنها تنتهى بدعوة الغرب لأن يتحد للتصدى لما يعتبره «الخطر الزاحف» من الشرق فى اتجاه الغرب والشمال، وهذا الموقف العدائى - أو على الأقل المتحفز - وإن بدا وليد الحقبة الأخيرة من هذا القرن، فإن جذوره تعود إلى أكثر من ألف عام كما يقول البعض، وتبدو معالم هذه الحقبة في محاولات تجاهل ما قدمه المسلمون من إسهامات فى الحضارة البشرية والحضارة الغربية على وجه الخصوص.

أما لو حاولنا تفسير أسباب هذا الموقف الغربى فى عمومه، فسوف نجد أسبابا عديدة على ألسنة وأقلام الباحثين الغربيين والمسلمين على السواء، تبدأ بإنكار الموضوع من أساسه، والقول بأن تصور العداء، أو الجهل أو التجاهل الغربى للإسلام ليس إلا محض وهم مسيطر على عقول البعض لا أكثر، وتنتهى بنظرية المؤامرة والعداء القديمين، وبينهما نظرية تقول بأن الغرب يحتاج دائما إلى تهديد من جهة ما لكى يبقى آلته دائرة ويحافظ على حركته وقوة الدفع فيه، لأن تركيب الآلة القتالية والعدوانية فيه هى التى تمثل القوة المحركة الأساسية له اقتصاديا وسياسيا وعسكريا، وإذا توقفت هذه الآلة الكبيرة فإن الحضارة الغربية كلها ستواجه تهديدا حقيقيا بالانهيار.

يضاف إلى ذلك تزايد ظهور الجماعات العنصرية المتطرفة المعادية للإسلام والمسلمين فى فرنسا وألمانيا وروسيا وغيرها، وتزايد النزعة إلى اتهام الإسلام بأنه دين يقوم على العنف والعداء «للآخر» واتخاذ الممارسات الإيرانية منذ ثورة الخمينى دليلا على ذلك. وممارسات الجماعات الإرهابية فى الدول الإسلامية دليلا آخر. مع تجاهل الحقيقة الجوهرية

وهى أن روح الإسلام كما هى فى الكتاب والسنة والسلف الصالح، وكما هى عند مئات الملايين من المسلمين المسالمين هى الدليل الذى يجب أن يؤخذ ويقاس عليه، لأن ذلك هو ما يمثل القاعدة وغير ذلك استثناء يؤكد القاعدة الغالبة ولا ينفيها.

لكن مفكرا مثل هانتنجتون يبدأ بمقدمة تقول إن الاختلاف عن «الآخر» لا يعنى الخلاف معه، إلا أنه ينتهى إلى نتيجة تتناقض معها مؤداها أن الاختلاف بين معطيات الحضارة الغربية وغيرها من الحضارات سيؤدى حتما إلى الخلاف بل وإلى الصراع، استنادا إلى أن الاختلافات بين الحضارات كانت السبب وراء أطول المنازعات فى التاريخ وأكثرها عنفا، ويهمل حقيقة تاريخية أخرى هى أن هناك حضارات تعايشت مع غيرها فى سلام، وينطبق ذلك على الحضارة الإسلامية بشكل خاص.

وتحت دعاوى البحث العلمى واستشراف المستقبل يصل الباحث الأمريكى إلى أن المصدر الرئيسى للنزاع فى العالم الجديد إما أن يكون اقتصاديا أو أيديولوجيا. وما سيحدث هو أن الانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية وستكون المنازعات بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة، وسوف يسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية، وسيكون النزاع بين الحضارات هو المرحلة الأخيرة فى تطور النزاع فى العالم الحديث، بعد أن انتهت فى القرن الـ ١٨ حروب الملوك وبدأت حروب الشعوب وبعد نزاع الأيديولوجيات الذى بدأ مع الثورة الروسية، وبعد صراعات بين الشيوعية والفاشية والنازية من ناحية والديمقراطية الليبرالية من ناحية أخرى، ثم بين الشيوعية والليبرالية.. لكن هذه كلها كانت حروبا أهلية غربية، ومع نهاية الحرب الباردة فى السنوات الأخيرة تحركت السياسة الدولية فى مرحلة جديدة هى سيادة الغرب، وأصبح المركز الرئيسى للحرب القادمة هو التفاعل بين الحضارة الغربية

والحضارات الأخرى غير الغربية ولم يعد تقسيم دول العـالم إلى دول العـالم الأول ودول العالم الثانى والثالث، تقسـيما ذا معنـى، لأن التقسـيم لم يعـد قائما على أساس مستوى التطور الاقتصـادى أو السياسـى ولكنـه الآن قـائم على أساس الثقافة والحضارة وستحدث أهم المنازعـات فـى المسـتقبل علـى امتداد خطوط التقسيم الثقافية التـى تفصـل هـذه الحضـارات الواحـدة عـن الأخرى.

الفواصـل والفـروق بـين الحضـارات عميقـة – وفقـا لهـذه النظريـة – والحضارات تتمايز كل منها عن الأخرى بالتاريخ واللغة والثقافة، والتقاليد والأهم من كل ذلك: الدين وللناس فى الحضارات المختلفة آراء مختلفة عن العلاقات بين الله والإنسـان، والفـرد والجماعـة، والمواطـن والدولـة والآبـاء والأبناء والزوج والزوجة والحرية والسلطة والمساواة والطبقات، وهذه الفـروق نتـاج قـرون، ومـع اقـتراب المسـافات أخـذت التفـاعلات بـين شـعوب الحضارات المختلفة فى التزايد.

وتمضى النظرية فى القول بأن الغرب الآن فـى أوج قوتـه، ولكـن هنـاك ردة للظواهـر الجذريـة بـين الحضـارات غـير الغربيـة تتمثـل فـى الانكفـاء للداخل أو الانغلاق على الـذات.. يحـدث ذلـك فـى اليابـان التـى تدخـل قوقعة «الطابع الآسـيوى» ويحـدث فـى الهنـد بإضفـاء الطـابع الهندوسـى عليها، كمـا يحـدث فـى الشـرق الأوسـط بمحـاولات الدخـول فـى شـرنقة الإسلام، وفـى روسيا صـراع بـين الانتمـاء للغـرب أو الدخـول فـى قوقعـة روسية.. وهكذا يصبح على الغرب وهو فى أوج قوتـه أن يواجـه كيانـات غير غربية دائمًا: من أنت؟ ترغب فى تشكيل العالم بأسـلوب غـير غربـى ولديها الإرادة والإمكانات لذلك.. وبعـد أن كـانت الصفـوة فـى دول العـالم غير الغربى تنتمى إلى الغرب وتتلقـى تعليمـها فيـه انعكـس الحـال ويـزداد الانتمـاء للثقافـات المحليـة بـين الصفـوة بينمـا تتفشـى الثقافـة والسـلوك

الغربى- وبخاصة الأمريكى - بين عامة الناس!.. وفى الصراع بين الحضارات يكون السؤال ومن البوسنة إلى القوقاز، قد تكون الإجابة عن هذا السؤال رصاصة فى الرأس.. فلقد أصبحت المسألة الدينية تفصل وتفرق بين الناس بصورة أكثر حدة من الأصول العرقية.

ليس هدفى أن أنقل أفكار هانتنجتون كاملة، ولكنى أردت أن اقدم زاوية من زوايا الرؤية الغربية للإسلام ترى أن خطوط التقسيم بين الحضارات تحل محل الحدود السياسية والأيديولوجية للحرب الباردة باعتبارها إشارات وميض للأزمات والمذابح.. وهى رؤية قد نرى فيها غرابة لأنها بعيدة عن تفكيرنا، لأن الحضارة الإسلامية قائمة على مبدأ التعاون بين الحضارات وليس الصراع بينها **﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** (الحجرات ١٣).

هدفى الحقيقى أن أدلل على أننا مقصرون.. لأننا حتى الآن لم نقدم الإسلام بصورته الحقيقية السمحة النقية.. ولم نبدأ فى إنشاء مركز علمى للأبحاث الإسلامية على أرقى المستويات الدولية يكون قادرا على الدخول فى حوار فكرى علمى مع كبار العلماء والمفكرين فى العالم، ويطرح الفكر الإسلامى باللغة التى يفهمها العالم المتحضر.. بدلا من ترك الساحة لمن يصورون الإسلام على أنه «العدو» القادم الذى يجب أن يقضى عليه الغرب أولا دفاعا عن حضارته..

ومثل هذا المركز يجب أن تقدم له كل الدول الإسلامية كل ما تملك من مال ورجال.. دون إبطاء..

✿✿✿

من يؤيد الإرهاب ؟!

من أين تستقي وكالات الأنباء معلوماتها عن الإرهاب؟ دور وكالات الأنباء الأجنبية فى تشويه صورة مصر، بعض الصحف ووكالات الأنباء الأجنبية لها تصرفات غريبة، فهى تنشر أخبار أحداث الإرهاب بصورة مبالغ فيها، وتعمل من الحبة قبة، وتعطيها أبعادا ودلالات لا تمثل الواقع ولا الحقيقة، ثم تتطوع من عندها بتفسير هذه الأحداث بما يعكس أمرا من اثنين لا ثالث لهما: إما الجهل الشديد بحقيقة ما يجرى فى المجتمع المصرى، وأما سوء النية المبيت والرغبة فى سكب الزيت على النار.. وحتى الآن لا نعرف بالضبط الدوافع الحقيقية لهذا الموقف غير المنصف.. وغير العادل.. وغير المتوازن.. وغير الموضوعى.

عندما وقعت أحداث الإرهاب فى إمبابة منذ عام ١٩٩٢ تطوعت وكالة رويتر بوصف الموقف بأنه يشير إلى قيام «جمهورية إمبابة المستقلة» وأرادت بذلك: أن تعطى انطباعا بأن إمبابة وصلت إلى حالة خرجت بها عن نطاق سيطرة الدولة، ولم تعد قوات الأمن قادرة على السيطرة عليها(!).. أين هى جمهورية إمبابة هذه؟.. وأين ما يدعونه عن مصداقية الإعلام الغربى، وموضوعيته، ودقته فى تحرى الأخبار؟..

وكلما وقع حادث صغير هنا أو هناك رأينا صحيفة مثل نيويورك تايمز الأمريكية.. أو وكالة مثل الوكالة الفرنسية أو وكالة رويتر تجعل منه واقعة كبيرة، وكأن المقصود هو بث الرعب فى قلوب قرائها فى الخارج.. والمشاركة فى تشويه صورة مصر، وضرب السياحة، وتخويف السياح من التفكير فى الحضور.

وأول درس يتعلمه طلبة الصحافة هو كيف وممن يستقى الصحفى أخباره.. وبالنسبة لحوادث الإرهاب فإن المصادر المصرية الرسمية لا تخفى شيئا، بل إنها تقدم المعلومات كاملة، وبتفصيلات أكثر مما يجب عن كل حادث، وتسهل مهمة الصحفيين - وخاصة الصحفيين الأجانب - للانتقال إلى مواقع الأحداث وتصويرها ومقابلة الضحايا والمتهمين والمحامين.. والتجول فى أى مكان يريدون أن ينقلوا منه صورة الحياة فيه.. ليس هناك محظورات تقريبا إلا ما يتعلق بصالح التحقيق، وهذا شيء طبيعى يحدث فى كل دول العالم، إذ ليس معقولا أن تكشف سلطات التحقيق كل الخيوط قبل أن تتضح أمامها الصورة، ويتم ضبط الجناة، وتعقب الهاربين منهم..

ومع ذلك فالملاحظ أن بعض مندوبى الصحف والوكالات الأجنبية يستقون معلوماتهم من الإرهابيين أنفسهم، ويسارعون بنقل كل نبأ يأتيهم على «الفاكس» من أى مصدر مجهول ما دام يصور الموقف على هواهم... وبالشكل الذى يخدم نواياهم، دون أن يرجعوا إلى وزارة الداخلية، أو إلى هيئة الاستعلامات، أو إلى المكتب الصحفى، أو إلى أى مصدر من المصادر الرسمية المعتمدة..

هناك أمثلة كثيرة تشير إلى أن موقف بعض أجهزة الإعلام الغربية ليس منصفا للحقيقة، وليس محايدًا..

وهناك أمثلة أخرى لمقالات تنشرها يدعى فيها أصحابها أن الإرهاب يجد تجاوبا فى الرأى العام.. وهذه كذبة كبيرة.. وافتراء يخالف الحقيقة تماما..

ألا يقرأون شهادات كتاب كبار قريبين من الرأى العام فى مصر ويجيدون التعبير عنه من بين صفوف المؤيدين والمعارضين على السواء..

إننى أدعوهم إلى أن يقرأوا بعض الكتابات التى نشرت أخيرا، أختارها لهم عشوائيا لكثرتها، ولأنى أفترض أنهم يتابعون ما ينشر أولاً بأول.

أدعوهم إلى قراءة فكرة للأستاذ مصطفى أمين التى نشرها فى الأخبار يوم ١٠ مارس سنة ١٩٩٦ ويقول فيها:

مصر لن تدمرها القنابل، ولن يقتلها الرصاص، ومهما تآمرت القوى المعادية عليها فسوف تعيش وسوف تكبر، وسوف تصمد للعواصف، ولن تركع أبدا للطغيان والاستبداد.

مصر هى التى قاومت جيوش الفرس، وقاومت نابليون بونابرت، وفشلت الإمبراطوريات أن تبتلعها أو تجعلها تنصهر فيها.. حرصت مصر دائما على أن تحتفظ بشخصيتها وتصمد أمام الطغاة والفاتحين. ومصر هى شعب مصر الذى لم يستسلم أبدا. تراجع لينقض، وسكت ليزأر، وسقط على الأرض ليقف من جديد.. الضربات التى وجهت إليه دفعته إلى الأمام، والأزمات التى تعرض لها زادت صموده وتمسكه باستقلاله وحريته وكرامته، وفشلت كل المحاولات لإضعاف هذا الشعب والسيطرة عليه.. وذهب جميع الطغاة والمستبدين وبقيت مصر..

وقيمة مصر أنها متحدة.. لا طائفية فيها ولا تعصب، وأنها تحترم كل الأديان، وأنها تفتح صدرها للمضطهدين من جميع أنحاء العالم.. لم تقفل أبوابها فى وجه المظلومين والمغلوبين والمشردين.. ساعدت كل شعب مقيد بالأغلال، ووقفت بجوار كل أمة أرادت أن تكسر أغلالها وتحطم سلاسلها.. وهى لا تتدخل فى الشئون الداخلية لأى دولة أخرى، وتؤمن بأن من حق كل أمة أن تختار حكامها وطريقة الحكم فيها.. لا تفرض على دولة حكاما تريدهم.. ولا تحارب وزارات لا تتفق معها فى الرأى والاتجاه.. ونحن نطلب من جميع الدول ألا تتدخل فى شئوننا، ونرفض أن تدس أنفها فى شئوننا الداخلية، ونقاوم المؤامرات التى تدبر ضدنا، وننصح الذين يتآمرون علينا أن يوفروا أموالهم، وينفقوها على شعوبهم بدل أن ينفقوها على القنابل والمدافع الرشاشة وأصابع الديناميت!..

هذا نموذج للفكر السائد فى مصر الآن يعكس الموقف الحقيقى للرأى العام المصرى ويعبر عن الملايين..

من أين إذن تأتي الصحف ووكالات الأنباء الأجنبية بما تنشره من أكاذيب عما يحدث في مصر وما يفكر فيه المصريون؟..

أدعوهم إلى قراءة ما يكتبه كتاب المعارضة أيضا ليعرفوا أن الإرهاب ليس له أرضية حتى بين أشد المعارضين والمختلفين مع الحكومة القائمة..

إن كاتبا معارضا كبيرا مثل الأستاذ جمال بدوى رئيس تحرير صحيفة الوفد يكتب فى ذات اليوم (١٠ مارس) سنة ١٩٩٦ مقاله الافتتاحى فى صحيفة الوفد يقول فيه:

يبدو أن عمليات القتل العشوائى وإلقاء المتفجرات على البنوك والقطارات والمراكب السياحية ستطول، ويتعين علينا أن نتعايش مع هذا الواقع ونتعود عليه، كما تفعل الشعوب التى تتعرض لحوادث العنف والإرهاب، ولكن إلى أن تزول هذه الغمة وتستعيد البلاد أمنها: كم من الضحايا سيسقطون؟ وكم من الجرحى سيصابون؟ وكم من النساء والأمهات والأطفال سيفجعون فى آبائهم وأبنائهم؟ وكم من الأموال ستهدر فى شكل تعويضات ومساعدات ونفقات لتقوية أجهزة الأمن؟ وماذا ستكون المحصلة النهائية لكل هذا النشاط؟ هل ستقوم دولة الإسلام كما يحلم الشباب الساخطون؟ هل سينتفض الناس للإطاحة بالنظام الحالى؟.. إن الذين يصرون على استعمال الأسلحة الآلية والرشاشات وإشعال المتفجرات يخطئون الحساب إذا ظنوا أن هذه الأعمال ستحقق لهم مراميهم.. ولو استعرضوا قائمة الأعمال التى قاموا بها لوجدوا أن كل ما فعلوه لم يغير شيئا من الواقع.. ولن يغير شيئا حتى لو ضاعفوا من نشاطهم.. لأن الشعوب قد تؤخذ بهذه الأعمال فى بدايتها.. ولكنها سرعان ما تتعود

عليها، وتتأقلم معها، ولا تنفعل بها ولا يكون لها من آثر سوى ازدياد السخط على مرتكبيها..

إن الأمل لا يزال معقودا فى شبابنا الذين انساقوا فى طريق التطرف مدفوعين بحسن النية، وبرغبة صادقة فى تحقيق الخير والفضيلة والعدل، ولكنهم وقعوا فريسة سهلة لزعماء عصابات مجهولى الهوية أساءوا إلى الإسلام أضعاف ما أساء إليه أعداؤه الصرحاء، وشوهوا صورته فى الخافقين.. وأقول لهؤلاء الضحايا ثوبوا إلى رشدكم قبل فوات الأوان، ومهما كانت الصعوبات والأزمات التى تواجهكم فإن حلها لن يكون عن طريق القتل العشوائى ونسف البنوك والقطارات.. الحل يكون فى التزام الجماعة، واحترام القانون والدستور، وكسب الرأى العام، والإقناع السلمى.. فذلك ادعى إلى حقن الدماء، وتجنيب البلاد شرور حرب أهلية لا تبقى ولا تذر.. فلماذا لا تجربون أسلوب المعارضة السياسية؟..

جربوا ولا تحجموا..

هكذا يقول كاتب أكبر حزب معارض..

فكيف يتصور من يكتبون فى صحف الغرب أن الإرهاب له أرضية فى مصر، وله مؤيدون وأنصار.. فى صفوف الرأى العام؟..

❁❁❁

أدعوهم أيضا إلى التعريف إلى رأى شيخ من مفكرينا هو الدكتور محمد محمود الإمام الذى يكتب الآن فى صحف المعارضة وله مقالات توجه النقد إلى السياسات بقوة قد نتفق أو نختلف معه فيها، ولكنها جميعا تصدر عن رغبة صادقة فى الإصلاح، وفى مسألة الإرهاب فإنه يعلن رأيه بكل وضوح.

وملخص رأيه كما نشره فى صحيفة «العربى» يوم ٧ مارس ١٩٩٤ أن علماء الجريمة يقولون: فتش عن المستفيد تدرك من هو المعتدى الأثيم..

وفى قضية الإرهاب تختلط الأوراق، ويلقى كل طرف على الآخر باللائمة لأنه يرجع الظاهرة إلى سبب دون آخر يرى فيه أصل البلاء. والواقع أن قليلا من التأمل يشير إلى أن هناك ما يمكن تسميته بجمعية المنتفعين، اقتداء بتسمية ظهرت فى أعقاب تأميم عبد الناصر قناة السويس فى تحد صارخ لإرادة الاستعمار وفى تأكيد صريح لإرادة مصرية لا تلين، حيث اجتمعت كل عناصر الشر فى جمعية تريد بالكنانة سوءا فحفظها الله مما يبيتون. ولكن شتان ما بين الحدثين، وما بين الجمعيتين، وإن كانت الضحية المستهدفة فى الحالتين واحدة.. هى الأمة العربية فى قلبها النابض مصر. مرة لأنها أرادت أن تقود، وأخرى لأنه يخشى أن تجد نفسها رغما عنها تقود.

ثم هو يفرق بعد ذلك بين المناخ الذى أدى إلى تسهيل استقطاب حفنة من الشباب وتحويلهم إلى معاول هدم بدلاً من أن يقوموا بواجبهم الأساسى كأدوات بناء لمستقبل وطنهم الذى هو مستقبلهم. والثانى هو الجهة أو الجهات المنشئة للإرهاب والعنف والتى قد تظل فاعلة من البداية للنهاية، أو قد تخلى الساحة لآخرين ينافسونها أو يؤازرونها فى حلف غير مقدس. والثالث هو الجهات الأخرى التى تطرب لما يحدث لكونه يحقق لها أغراضا يسرونها وتنضم هذه إلى المجموعة الثانية ليتشكل منهم ما أسميناه جمعية المنتفعين، ويختلف موقف أعضاء هذه الجمعية وفقا لتقدم الفئة الممارسة للإرهاب نحو الهدف الذى يتفق عليه الجميع، وهو تمزيق المجتمع المصرى، وإنهاك الاقتصاد القومى.. والأدهى من ذلك أن النماذج التى تتمسح فى الإسلام تتنافس فيما بينها فى ارتكاب الموبقات..

إن الدين ليس حكرا على فئة تدعى الحكم به.. الإسلام شأنه شأن سائر الأديان أنزل لكى يهدى الناس إلى طريق الصواب، ولكى يصلح شئون

المجتمع حتى لا يقع الفرد فريسة ظلم اجتماعى يحيد بإرادته عن الصراط المستقيم.

لقد آن الأوان لإيقاف هذا العبث بعقول الناس باسم الدين، ونبذ الشوشرة التى تثار حول منح أو منع جماعات تلوّح بالإسلام فرصة المشاركة فى العمل السياسى فى إطار التعددية، وإن الجماعات التى تعلن أنها متبرئة من الإرهاب عليها أن تعلن أن الحكم ليس هدفها، وأن تجمع صفوف أتباعها لينضموا إلى أولئك الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسهموا معهم فى بناء هذا الوطن، ويسعوا إلى إحياء هذه الأمة التى ازدهرت باعتناق الإسلام، حتى لا يجد إرهابى من يأويه، أو يستجيب له..

ثم هناك التحليلات التى قدمها الكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل.. والتى نتفق أو نختلف معه فى بعضها، ولكنه قالها، ويقولها بكل صراحة، وبكل وضوح، وبكل ثقة ويقين إنه لن يكون للإرهاب مستقبل فى مصر.. وقال أكثر من مرة بحسم : مستحيل أن يكون للإرهاب مستقبل فى مصر، فنحن أمام هوية اضطرارية.. هوية ملجأ وليست هوية اختيار.. الذين يقاتلون باسم الدين لا يستطيعون أن ينشئوا لا سلطة ولا فكرًا بديلا.. وهناك حاجة إلى مناقشة مسميات كثيرة مثل الاقتصاد الإسلامى، والأمن الإسلامى.. كيف يكون هناك أمن يجمع الجزائر وأندونيسيا..؟..

والمستقبل..

يقول الأستاذ هيكل:

دينى فى قلبى، ودين كل الناس فى قلوبها، معاشها متروك لها وللتنظيمات التى تنشئها بما فيها تنظيمات الدولة.. الدين قيمة.. قيمة لابد أن تكون ثابتة وليست متغيرة بتغير العصور.. الدين هداية..

ثم ها هو ذا الأستاذ مجدى أحمد حسين رئيس تحرير صحيفة «الشعب» المعارضة والمعبرة عن التيار الإسلامى يكتب يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٩٣ تحت عنوان «الإسلام لا يبيح القتل العشوائى» ويقول: «تلقت جماهير مصر باستياء بالغ أنباء المحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس الوزراء د. عاطف صدقى، والتى أودت بحياة «شيماء» وأصابت قرابة عشرين مواطنا بجراح وإصابات مختلفة من بينهم طفلة فى السادسة من عمرها «ندا» وقد ورد فى أحد البيانات المرسلة إلى وكالات الأنباء تبنى أحد تنظيمات الجهاد للعملية.. إننا ندين – بلا تحفظ – هذه العملية الإجرامية.. إن أرواح البشر ليست لعبة، ولم يحض دين أو مذهب أو عقيدة أو نظرية على الحفاظ على روح الإنسان أكثر من ديننا العظيم (الإسلام): **﴿ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾** ولا يوجد تصوير أكثر شمولية وتحصينا لروح الإنسان من الآيات القرآنية التى اعتبرت قتل إنسان واحد كأنه قتل للناس جميعا: **﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾**..

الواقع إذا صح أن منظمة تنتسبب إلى الإسلام هى التى دبرت لهذا الحادث (وقد ثبت ذلك بالتحقيق والمحاكمة).. فإنها فعلت أفضل ما يمكن عمله للإساءة للإسلام وللحركة الإسلامية.

هكذا يقول الإسلاميون..

❁❁❁

لا يتسع المقام لجمع أقوال ومواقف كل المفكرين فى مصر، لأنهم جميعا أعلنوا مواقفهم فى رفض وإدانة كل عمليات الإرهاب التى تحدث، واتفق فى ذلك علماء الدين الكبار وعلى رأسهم أصحاب الفضيلة الشيخ محمد الغزالى، والشيخ محمد متولى الشعراوى، وأعضاء مجمع البحوث

الإسلامية، وأعضاء لجنة الفتوى بالأزهر، كما أجمع عليه كل قيادات الأحزاب السياسية، والكتاب المعبرون عن مواقف وسياسات هذه الأحزاب دون استثناء.. وأرجو أن تقوم هيئة الاستعلامات بجمع هذه الآراء فى سلسلة من المجلدات وتضعها تحت يد مراسلى الصحف والوكالات الأجنبية فى مصر..

من إذن يقف مع الإرهاب؟

ومن أين يأتى بعض السادة مراسلى الصحف والوكالات الأجنبية بما ينشرونه فى الخارج، بين الحين والحين من تلميحات وتصريحات لا تمثل حقيقة الأوضاع فى مصر..

قد يكون عذرهم أنهم أجانب، ولا يفهمون دقائق وتفاصيل الحياة المصرية وطبيعة تكوين المجتمع المصرى.. ولا يفهمون أن هذا الشعب احتضن الإسلام بمفهومه الصحيح، على أنه دين اعتدال، لا غلو ولا تطرف، ولا عنف، ولا لجوء إلى الجريمة لإعلاء شأنه. ولأن كلمة الله هى العليا، وستظل هى العليا فى هذا البلد دون أن يدنسها أحد بدماء الأبرياء..

ولا يفهمون أن حوادث الإرهاب تظهر أكبر من حقيقة حجمها نتيجة التهويل والمبالغة التى ينشرون بها أنباء هذه الحوادث، والتى ينقلها عنهم آخرون ظنا بأن هذه الصحف والوكالات الأجنبية الكبرى موضع ثقة، وأنها تدقق فى نقل أخبارها، وتستوثق منها قبل النشر.. لكن ذلك لا يحدث دائما بالنسبة لنا..

لماذا ؟

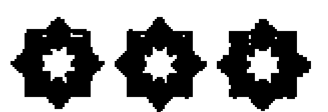
نستبعد الآن – مؤقتا – تفسير هذا الموقف بسوء النوايا. ونكتفى بتصديق أنه نتيجة الجهل، أو سوء الفهم، أو عدم التعمق فى معرفة الإسلام كدين للسماحة والرحمة والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

ومن حقنا بعد ذلك أن نطلب منهم أن يتحروا الحقيقة قبل أن ينقلوها مشوهة وينساقوا وراء دعاوى الإرهاب ويصبحوا فى خدمته، وهم - ربما - لا يشعرون..!

ندعوهم أيضا إلى أن ينظروا إلى أحداث الإرهاب فى مصر كما ينظرون إلى مثيلاتها فى أمريكا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا.. ولعلهم يرون كيف عولجت أحداث الهجوم بالمدافع على مطار لندن مرتين متتاليتين ونزول الجيش البريطانى لحماية المطار. ومع ذلك لم نرهم يبالغون فى التحليلات والتأويلات كما يحدث عندما يطلق بعض الصبية طلقات طائشة على قطار عابر..

ندعوهم أيضا لأن يعيشوا مع المصريين فى قراهم وشوارعهم وبيوتهم، ويتحدثوا إليهم، ليتأكدوا أنه ليس بين المصريين من يؤيد الإرهاب أو يتعاطف معه.

الشعب المصرى بطبيعته يرفض الإرهاب ولا يعرف للدعوة إلى الله إلا طريقا واحدا، هو الحكمة والموعظة الحسنة.. وغير ذلك دخيل وغريب، ومرفوض. مهما أحدث من فرقعة.



تحذيرات من الغرب

من الملاحظات التى تلفت النظر إننا حين نقول إن الإسلام يواجـه سوء الفهم أو سوء القصد فى الغـرب أن نجـد رد فعـل بعـض المثقفـين المسلمين الذين يعيشـون فـى العـالم الإسـلامى مختلـف عـن رد فعـل أكـثر المثقفـين المسلمين وغير المسلمين الذين يعيشـون فـى الغـرب.. فـالذين يعيشـون فـى العـالم الإسـلامى يـرون أن حضـارة الغـرب حضـارة العلـم، والإنصـاف، والموضوعية، وبالتالى فليس لديها عن الإسلام تحيزات معادية، وما تعكسـه ليس إلا صـورة لمـا هـو قـائم فـى العـالم الإسـلامى مـن تخلـف فـى الفكـر والحضارة، أما الذين يعيشون فى الغرب. ويعايشـون الظـاهرة مـن الداخـل فإنهم يعلنون – من هناك – أن التشـويه الـذى يصيـب الإسـلام والمسلمين بأقلام وألسنة علماء ومفكرين وإعلاميـين غربيـين أصبـح أمـرا يثـير القلـق، ويدعـو إلى التنبـه إلى خطورتـه، ويسـتلزم حشـد قـوى المسـلمين، الفكريـة والسلوكية، لإعادة تقديـم الإسـلام بصـورة متجـددة لتظـهر حقيقتـه كديـن للحضارة والتقدم والإنسانية والفضائل جميعا.

ويكفى أن نعود إلى كتاب هـام لبـاحث أمريكـى كبـير مـن أصـل عربـى فلسطينى هو الدكتور إدوارد سعيد الذى أطلق تحذيراته منذ الثمانينات فـى دراسته عن «تغطية الإسلام» وقال فيـها إن الإسـلام لا ينتمـى إلى أوروبـا، كما أنه لا ينتمى إلى مجموعة الأمم الصناعية المتقدمة مثل اليابـان، والـدول الإسـلامية جميعـا تدخـل فـى نطـاق الـدول الناميـة، وهـى بحاجـة إلى «التحديـث» وقـد أنتجـت أيديولوجيتـها للتحديـث طريقـة فـى النظـر إلى الإسلام كان يمثلها شاه إيران فى أوج مجده وكان الغرب ينظـر إليه علـى

أنه حاكم عصرى، وحين هوى نظامه رأى الغرب أن النظام البديل ينتمى إلى القرون الوسطى..

ونبهنا الدكتور إدوارد سعيد أيضا إلى أن دراسة التاريخ تدلنا على أن الإسلام كان يمثل على الدوام إزعاجا خطيرا للغرب، وليس هناك حديث عن أى دين آخر غير الإسلام على أنه يمثل تهديدا للحضارة الغربية وهناك الكثير من الكتب والكتاب موضوعهم الرئيسى الحديث عن «الهمجية الإسلامية» وكثير من الخبراء الغربيين ينصحون دولهم باستخدام القوة والعنف ضد الإسلام، ويتحدثون عن «التناقض» فى الإسلام فهو مؤيد للرأسمالية والاشتراكية على السواء وللنضال والقدرية وللشمولية العالمية والانتقائية الضيقة وللعنف والسلام «!» ويبرر الدكتور إدوارد سعيد هذا الخلط الشديد فى الفهم إلى أن الإسلام أصبح «كبش الفداء» لكل مالا يروق للمفكرين الغربيين من أنماط سياسية واجتماعية واقتصادية.. فهو بالنسبة لمفكرى اليمين فى الغرب يمثل «الهمجية» وبالنسبة لمفكرى اليسار يمثل «الثيوقراطية فى العصر الوسيط» أما بالنسبة لمفكرى الوسط فإنه يمثل نوعا من المواقف والأفكار الغريبة، ومع هذا الاختلاف فى زاوية الرؤية يتفق هؤلاء جميعا على أن ما هو معروف عن الإسلام والعالم الإسلامى قليل. ولكن ما هو معروف منه حتى الآن يتعارض مع قيم الحضارة الغربية، وما يعتبر ذا قيمة فى الإسلام هو أساسا عداؤه للشيوعية، مما يعنى أن هذه القيمة قد انتهت بنهاية الشيوعية «!»

يشير أيضا الدكتور إدوارد سعيد إلى حقيقة تكفى معرفتها لإلقاء الضوء على مواقف المستشرقين والدارسين للإسلام فى الغرب، فقد كان المستشرقون منذ البداية ينتمون إلى الإدارات المسئولة عن المستعمرات، وكان التعاون وثيقا بين البحث العلمى للإسلام وبلاده وشعوبه والفتح الاستعمارى العسكرى المباشر، وأبلغ مثال على ذلك المستشرق الهولندى س. سفوك

هيرجرونج الذى استغل الثقة التى أعطاها له المسلمون لتخطيط وتنفيذ الحرب الهولندية الوحشية ضد المسلمين الأندونيسيين فى سومطرة.. ومع ذلك مازالت بعض كتاباتنا تتدفق فى الدفاع عن الطبيعة غير السياسية للبحث العلمى الغربى وعن ثمار العلم الاستشراقى وقيمة الخبرة المتخصصة «الموضوعية» ولا يضعون فى اعتبارهم أنك لا تكاد تجد خبيرا متخصصا فى الإسلام فى الغرب لم يسبق له أن كان مستشارا أو موظفا فى حكومته أو فى إحدى الشركات المتعددة الجنسيات، أو فى أحد أجهزة الإعلام.. وبالتالى فإن أبحاثه لم يكن القصد منها إلا خدمة أهداف ومصالح هذه الجهات.

فإذا لم يكن أكثر ما يكتب عن الإسلام فى الغرب مشوبا بسوء الفهم، أو بسوء القصد، وإذا لم يكن باطلا كله، أو بعضه فهو على الأقل متأثر بالأوضاع السياسية والاقتصادية والفكرية التى ينشأ فيها، وهى أوضاع لا تسعى إلى الدفاع عن الإسلام أو إنصافه، وليس من أهدافها تنقية الفكر الإسلامى مما علق به من شوائب ليست من طبيعته. ولا أظن أحدا ينكر أن المصالح الغربية لها دور وتأثير لا يمكن إنكارهما.

ويرى الدكتور إدوارد سعيد من خلال معايشته لمراكز البحوث العلمية ووسائل الإعلام والمفكرين فى أمريكا عشرات السنين، إن الاهتمام بالإسلام هناك يتركز فى الجماعات التى يكون لها من النفوذ والتأثير فى العالم الإسلامى نفسه ما ساعد على تصدير أفكار ومفاهيم غريبة عن الإسلام مثل المؤسسات الأكاديمية والشركات العملاقة. والإعلام، والدوائر الحكومية وهى تعمل فى اتجاهات وأهداف تحايلية بارعة من إثارة حرب باردة جديدة، إلى إشعال عدم التعاطف العنصرى إلى تعبئة المشاعر بالحديث المبالغ فيه والذى يلفت النظر هذه الأيام عن غزو الإسلام المحتمل للغرب، وأيضا فى تصوير العالم الإسلامي على أنه ليس لديه من فائدة للغرب إلا أن يورد النفط والإرهاب «!»

والكتابات الكثيرة عن الإسلام في الغرب تحاول أن تنعش في الذاكرة وتبالغ في الحديث عن قوة الإسلام وخطورته التي تتجه إلى إزعاج الغرب، وأن هدف المسلمين الكامن هو أن يعيدوا سابق انتصاراتهم وغزوهم للغرب إذا امتلكوا القوة لتحقيق ذلك، أو تصوروا المسلمين على أنهم يعانون من عقدة المبالغة في تقدير الذات والأنا المتضخمة، وأنهم يشعرون بالحقد على الواقع، وعقليتهم تجعلهم عاجزين عن فهم مبدأ السببية، وتفضيل المكسب السريع المباشر على التخطيط طويل المدى، وأهم من كل ذلك فإن الكلمات والواقع غير مترابطين في العقل المسلم بحيث يعايشون انفصالا غريبا بين ما يقولون وما يفعلون دون أن يشعروا بغرابة في ذلك من تناقض.

ومنذ القرن الثامن عشر وكتاب الغرب ينظرون إلى الإسلام على أنه كتلة واحدة، ولا يستطيعون إدراك ما في هذه الكتلة من تمايز وتعدد واختلافات، فإذا كان في العالم الإسلامي جماعات من الإرهابيين فليس كل المسلمين إرهابيين، وإذا كان فيه أغبياء وضيقو الأفق فليس كل المسلمين كذلك والنسبة فيهم ليست أكثر عن مثيلتها في الغرب، حيث تظهر فيه جماعات تفهم المسيحية فهما متطرفا ومتعصبا وتلجأ إلى العنف والإرهاب، وكثير من مفكري الغرب لا يدركون الفوارق بين السنة والشيعة.. أو بين المذاهب أو بين المدارس الفكرية السوية والمدارس الفكرية المنحرفة التي تحسب على الإسلام أو بين الاتجاهات المعتدلة والحركات السرية والباطنية المنحرفة وينشرون أفكارها على أنها جميعا معبرة عن الفكر الإسلامي.

وهذه المواقف جميعا - دون شك - وراءها دوافع وأسباب يمكن فهمها.. دينية.. ونفسيًا.. وسياسيًا.. نزعاها في البداية والنهاية «المصالح» التي هي محور السياسات والموجهة لكل فكر وبحث وعلم في الغرب مهما

بدأ الأمر – فـى ظـاهره – غـير ذلـك – ولا يـزال مسجلا حديث بـاحث أمريكى كبير هو ف.س نيبول لمجلـة نيوزويك الكـبرى فـى ١٩٨٠/٨/٢٩ قال فيه: «إن المبادئ الأساسية فـى الإسلام خلـو مـن المضمون الفكـرى، ولذلك لابـد أن ينـهار» دون أن يحـدد مـا هـى هـذه المبـادئ الخاليـة مـن المضمون الفكرى ولا حتى ما هو هذا المضمون الفكرى الذى يقصـده.. ولكـن هكذا يشعرون ويفكرون ويؤمنون ويعملون..

ماذا نفعل نحن؟

لابد أن نعترف أن الجهود العلمية لتقديم الإسلام من جانبنا للغرب فـى صورته الصحية مازالت قاصرة.. وهذا موضـوع يحتـاج إلى وقفـة بالصراحـة والموضوعية مع الأجهزة والمؤسسات المسئولة فى العالم الإسلامى.

لكن الأخطر من ذلك أن جماعات الإرهاب التى تقتـل النـاس عشـوائيا. وتخرب المنشآت، وتحاول أن تثير الذعر فى النفوس، وتدعـى أنـها تفعـل ذلك بوحى من مبادئ الإسلام، ومن أجل إقامة شريعته، تقدم خدمة العمر لأعداء الإسلام والمسلمين ليسيروا إليهم ويقولون: أترون هؤلاء المخربين.. لو انتصر الإسلام فسوف ينتشر التخريب والقتل والإرهاب فى العالم كله!

نحن إذن أمام مشكلتين لابد أن نجد لهما حلا.. لأنـه ليـس هنـاك مـن يهمه حلهما غيرنا.. ولا فى صـالح أحـد أن يحـدث ذلـك.. بـل إن صـالح أعداء الإسلام أن يظل الإهمال والتراخى فى ناحية ويظل الإرهـاب والقتـل والتخريب فى ناحية أخرى.. ليبقى العالم الإسلامى فى حالة من التخلف والتبعية ويبقى للغرب الهيمنة والسيطرة..

❁❁❁

مع المفتى فى أمريكا ..

عندما هبطت الطائرة في مطار كنيدى في نيويورك كان في استقبالها حشد كبير في مظاهرة لم تر مثلها الولايات المتحدة..

كان الجميع قد علموا أن مفتى مصر سيصل إلى الولايات المتحدة في زيارة يلتقى خلالها بالمسلمين والمسيحيين ويبقى بينهم ١٢ يوما متنقلا بين ولايتى بنسلفانيا وأوهايو، ثم مدينتى نيويورك والعاصمة واشنطن.. وكانت السفير سهير زكى قنصل مصر العام في نيويورك تحمل معها عشرات الطلبات التى تقدمت بها هيئات وجمعيات تطلب تعديل جدول زيارات المفتى لكى يجدوا وقتا لدعوته إلى لقاء معهم.. وكان الحشد الذى يحيط بالمفتى في كل اجتماع ولقاء خليطا من المسلمين والمسيحيين.. ومن المصريين والعرب والأفارقة.. ومن الأمريكيين السود والبيض.. ومن الرجال والنساء..

كان ذلك في ديسمبر عام ٩٤.. والمفتى هو فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى..

وكان الانطباع الأول عن أهمية هذه الزيارة هو ما قاله أحد أئمة المسلمين الأمريكيين للمفتى:

– لقد تأخرت علينا كثيرا.. كان يجب أن تتم هذه الزيارة منذ سنوات طويلة.. لأننا نحتاج إليك.. ولدينا الكثير مما نريد أن نعرضه عليك ونناقشه معك.. والآن وقد جئت أخيرا نرجو أن تتكرر هذه الزيارة.. وأن تكون بداية جسر يربط بين مصر وهى قلعة الإسلام ومهد الحضارة وبلد الأزهر.. وبين الولايات المتحدة التى يعيش فيها أكثر من ٨ ملايين مسلم

متفرقين، ويحتاجون إلى من يجمعهم على كلمة سواء.. وأنت تستطيع ذلك بحكمتك.. وعلمك.. وما لمسناه فيك من مقدرة على النفاذ إلى القلوب..

وتكرر نفس الكلام تقريبا في كل لقاء للمفتي مع كل جماعة من جماعات المسلمين في أمريكا.. أما المصريون - مسلمون ومسيحيون - فقد كانت الدموع في عيونهم انفعالا برؤية المفتي وهو قادم في صحبة رئيس الطائفة القبطية الإنجيلية في مصر. الدكتور صموئيل حبيب.. وهما يؤكدان عمق الروابط بين المسلمين والمسيحيين.. وكلاهما يقول نفس الكلام.. حتى إن أحد قادة الكنائس الأمريكية علق في أحد اللقاءات على هذه الروح الأخوية قائلا:

- إنني أتمنى أن يتعلم الأمريكيون من المصريين كيف يتعاملون معا بروح المحبة والتعاون رغم اختلاف دياناتهم.. لأن ما يحدث في مصر شيء فريد.. لا يتكرر كثيرا في العالم.. والآن تأكدت أن ما نقرؤه عن حوادث العدوان التي تقع في مصر ليست إلا حوادث إجرامية فردية لا يصح أن نعطيها حجما أكبر من حجمها الحقيقي..

كان الإحساس العام منذ بداية الرحلة إلى نهايتها أنها نجحت في تحقيق هدفها، وهو تصحيح صورة مصر والإسلام لدى الرأي العام الأمريكي.. وتبقى متابعة هذه الخطوة الأولى.. لأنها ليست إلا بداية لطريق طويل من العمل إذا أردنا أن نجد لأنفسنا مكانا في أمريكا، ولا ندع الساحة بالكامل خالية لغيرنا ينفرد بها ويحقق فيها نجاحا ما كان ممكنا أن يحققه بهذا الحجم لولا غيابنا.

ورغم مشقة الرحلة التي لم تدع لنا فرصة لالتقاط الأنفاس.. ولم يتركنا أحد للراحة.. لأنهم - على حد قولهم - انتظروا طويلا.. وليس ضروريا أن ترتاحوا عندنا..

وكانت رحلة لا مثيل لها..

جاءت فكرة هذه الرحلة حين وجهت الكنيسة الإنجيلية المسيحية في أمريكا الدعوة إلى فضيلة المفتى، الدكتور محمد سيد طنطاوى، وإلى رئيس الطائفة الإنجيلية فى مصر، الدكتور صموئيل حبيب. لزيارة أمريكا، للقاء القادة الدينيين الإسلاميين والمسيحيين، وتقديم صورة للتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين في مصر.. وتولى الإعداد لهذه الرحلة ممثل الكنيسة الإنجيلية فى أمريكا لشئون الشرق الأوسط، الدكتور فيكتور مكارى، وهو مصرى، مازال شديد الارتباط بمصر، قام بالاتصالات، وإعداد اللقاءات، كما قام بالترجمة طول الوقت من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية، وكان دقيقا فى ترجمته لكلمات المفتى بكل ما فيها من مصطلحات فقهية، وآيات؛ وأحاديث.. كما كان الدكتور صموئيل حبيب حريصا على أن يؤكد فى كل لقاء على أن الإعلام الأمريكى يقدم صورة غير دقيقة لما يحدث. فى مصر.. فكل حوادث الإرهاب التى تحدث ليست إلا أحداثا فردية.. لا تمثل مصر.. ولا تستند إلى قاعدة من الرأى العام المصرى.. بل إن المصريين يرفضون مسلك هؤلاء المتطرفين والإرهابيين.. وكان السفير المصرى الممتاز أحمد ماهر سفيرنا فى واشنطن يساند الرحلة بكل ما يستطيع.. وبذلت السفيرة سهير زكى جهودا تفوق الطاقة.. وكان هناك عشرات الأمريكيين يعملون بحماس لجمعية مصرية أمريكية لتنظيم المساعدات لمشروعات الخدمات الاجتماعية فى مصر..

وكانت البداية فى مدينة صغيرة فى ولاية بنسلفانيا هى مدينة وستمنستر.. فى هذه المدينة كلية مشهورة هى فى الحقيقة جامعة؛ لأنها تضم مجموعة تخصصات مختلفة.. وقد قررت إنشاء درجة للدكتوراه عن «صنع السلام» وقررت أن تمنح هذه الدكتوراه الفخرية لأول مرة لكل من المفتى والدكتور صموئيل حبيب.

وكان الاحتفال مهيبا.. حيث تجمع كل الأساتذة فى أروابهم الجامعية وساروا فى طابور طويل بين مئات الحاضرين من أساتذة الجامعات ورجال

الدين والشخصيات الأمريكية البارزة.. وعلى رأس الطابور سار المفتـى وهـو يرتدى الـروب الجـامعى ومعـه الدكتـور صموئيـل حبيـب.. ووقـف جميـع الحاضرين.. وارتفع علم مصر.. وتجمـع المصريـون الذيـن جـاءوا مـن المـدن والولايات المحيطة، داخل وخارج القاعة، وبعضـهم قطـع أكـثر مـن ٢٠٠ ميل من أجل أن يشهد هذه اللحظة.. واشتعلت القاعة بـالتصفيق والهتـاف لمصر بينما الدكتور أوسكار ريمك يقلد وشاح الدكتوراه للاثنين، ثم وهم يلقى كلمتـه ويشـيد بـروح الأخـوة والسـماحة فـى مصر التـى جعلـت المسـلمين والمسيحيين يحققون معا إنجازات كثيرة فـى مجـالات التعليـم، والرعايـة الصحية، والخدمات الاجتماعية..

وكانت كلمات المفتى شديدة التأثير فى الحاضرين وهو يقول فـى كلمتـه فى هذا الاحتفال: إن الله قد أوجد الناس جميعـا مـن أب واحـد، ومـن أم واحدة، وأمرهم أن يعيشوا إخوة، يحب كل واحد منهم الخـير لغـيره كمـا يحبه لنفسه. ونحن فى مصر نحرص - كمسلمين ومسيحيين - علـى نشـر روح الإخاء والمودة فيما بيننا، لأن هذه الروح السمحة العاقلة عندما تنتشـر فى أمة، يعمها الخير والرقى والأمان..

وشـدت كلمـات المفتـى انتبـاه الجميـع بدرجـة غريبـة وهـو يقـول: إن المسلمين والمسيحيين فـى مصـر مسـاكنهم متجـاورة، ومزارعـهم ومصانعـهم ومتـاجرهم متلاصقـة، أو متقاربـة، والخـير الـذى يـأتى إلى مصـر لا يـأتى للمسلمين وحدهم أو للمسيحيين وحدهم، وإنما يأتى للجميع.

وازداد الانتباه عندما رنت كلماته وسط السكون الكـامل وهـو يقـول: إن كل من يحمل الجنسية المصرية له من الحقوق، وعليه من الواجبات، مثـل ما لغيره سواء كان مسلما أم مسيحيا أم يهوديا أم غير ذلك، لأننا نؤمـن أن أبناء البلد الواحد يتساوون فـى الحقـوق والواجبـات، أمـا العقـائد، فلكـل إنسان عقيدته التى اختارها.. والعقـائد لاتبـاع ولا تشـترى، ولا إكـراه فـى

الدين، لأن الإكراه لا يأتى بمؤمنين صادقين مخلصين، وإنما يأتى بمنافقين كاذبين.

وظل الصمت كاملا والمفتى يتردد صوته وسط القاعة المهيبة لكلية وستمنستر وهو يقول: إن علماء الدين الإسلامى والمسيحى فى مصر يتعاونون فيما بينهم تعاونا أخويا صادقا من أجل نشر روح المحبة والمودة والسلام.. لا فى مصر وحدها، بل فى كل مكان فى العالم.. وهم يفعلون ذلك لأنهم جميعا يعتقدون بأن الأديان السماوية أنزلها الله لسعادة الناس لا لشقائهم.. لأمنهم لا لخوفهم.. لتقدمهم لا لتأخرهم.. أنزل الله الأديان السماوية للتعمير لا للتخريب.. للإصلاح لا للفساد.. للتقريب لا للتفريق.. للفضائل لا للرذائل.. للحب لا للحقد.. وفى كثير من المناسبات الدينية والوطنية يلتقى المسلمون والمسيحيون ليتبادلوا التهانى، وليتناولوا الطعام معا.. وليجددوا الإخاء مع بعضهم.. وأنا شخصيا تحدثت من فوق منبر الكنيسة الإنجيلية وبحضور الآلاف المسيحيين والمسلمين.

وازداد الصمت أكثر وأكثر عندما قال المفتى بصراحته وتلقائية:

لقد سمعتم عن بعض الأحداث القليلة التى قام بها بعض الذين لا يفهمون الأديان السماوية فهما سليما، والذين امتدت أيديهم بالتخريب إلى بعض المنشآت، وبالعدوان على بعض المسلمين، والمسيحيين، والسياح، وإنى باسم الدين الإسلامى أحيطكم علما بأن الدين الإسلامى برىء من أفعال هؤلاء المعتدين.. ولو أن هؤلاء الجاهلين فهموا دين الإسلام فهما سليما، لعرفوا أن غير المسلم دمه مصون كدم المسلم تماما، وأن أمواله مصونة تماما كأموال المسلم. وأن كرامته محترمة تماما ككرامة المسلم.. وما دام غير المسلم يحترم عقيدة المسلم، فإن على المسلم أيضًا أن يحترم عقيدة غيره، ولا يسىء إليه بأى لون من ألوان الإساءة.. لأن دين الإسلام دين سلام وأمان لكل من يمد يده بالسلام والأمان.. وإننى باسم دينى

الإسلامى أدعو كل إنسان سواء كان مسلما أم مسيحيا أم يهوديا إلى أن يعرف أن الأديان السماوية جميعها تدعو إلى نشر المحبة والمودة وتبادل المنافع بين الناس لكى يعيشوا عيشة كريمة، تظلها راية الحب والعدل والكرامة.

وانفجرت القاعة بتصفيق استمر - طويلا..

وظل التصفيق وعميد الكلية يقول: هذا كلام نسمعه لأول مرة.. وكنا نحتاج إلى أن نسمعه من مصدر ثقة يعبر عن الإسلام.. وإن هذا الفهم الجديد للإسلام يجب أن ينتشر..

وأكد هذه المعانى الدكتور صموئيل حبيب رئيس الطائفة الإنجيلية وهو يقول: إن الهيئة القبطية الإنجيلية فى مصر تقدم خدماتها فى الرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية وتنظيم الأسرة وتحسين ظروف المعيشة وإيجاد فرص عمل للشباب.. تقدم هذه الخدمات للمحتاجين إليها فى أماكن عديدة من القرى والأحياء الفقيرة دون تفرقة بين مسلم ومسيحى.. لا يهمنا لمن تصل خدماتنا.. المهم أن تصل إلى من يحتاج إليها.. لا فرق بين مسلم ومسيحى..

وعلق أستاذ مصرى قائلا: هذه هى مصر أيها السادة.. بلد لا مثيل له فى التسامح.. لأنها أم الحضارة..

وزيادة فى التكريم دعا رئيس كلية وستمنستر الدكتور أوسكار ريمك المفتى والدكتور حبيب إلى العشاء فى بيته مع عشرات من الأساتذة والشخصيات البارزة.. وكان البيت الأنيق فى مدينة نيو ولمنجتون مكتظا فى المرتين بعدد كبير من الأمريكيين الذين يحبون مصر حبا يفوق الوصف.. أكثرهم عاش فى مصر سنوات طويلة.. وبعضهم مازال يعيش بمشاعره فى مصر.. ويتحدثون باللغة العربية.. وقالوا: إن زيارة المفتى

شجعتهم على أن يتجمعوا ويتحركوا ليشرحوا للأمريكيين الحقائق عن المجتمع المصرى كما لمسوها بأنفسهم لسنوات طويلة.. وكانت الإقامة فى نيو ولمنجتون.. وفى وستمنستر.. مليئة بالحوارات والمناقشات.. وفى كنيسة وستمنستر تجمع قادة الكنائس الإنجيلية المشيخية فى المنطقة ليسألوا المفتى ويتحاوروا معه عن سماحة الإسلام، وعلاقته بالأديان الأخرى، ومصدر العداوة والعنف لدى الجاهلين بحقيقة الإسلام.

وكانت مناقشة علمية وموضوعية هدفها رغبة حقيقية فى الفهم.. والتفاهم

وفى مسجد كبير فى مدينة ينجستون بولاية أوهايو كان قادة المسلمين فى المنطقة فى انتظار المفتى ليسألوه أسئلة فقهية كثيرة عن الحلال والحرام.. بعضهم من المسلمين الأمريكيين البيض.. وبعضهم من السود الذين لا يعرفون الكثير عن الإسلام.. وبعضهم من المصريين والعرب الذين بعد بهم العهد فى أمريكا فازدادوا تمسكا بالإسلام، ولكنهم يفتقدون إلى المعرفة بحقائق الإسلام.. واكتشفنا من الحوار أنه من الخطأ أن يترك هؤلاء لأفكار غريبة تصل إليهم من مصادر تجهل الإسلام..

وأدركنا أن مسئولية مصر أن توفد عددا أكبر من الأئمة ورجال الدين والدعاة إلى كل أنحاء الولايات المتحدة.. لأن هذه قاعدة عريضة للإسلام.. قاعدة جديدة.. تتطلع إلى مصر.. وتمد يدها لتطلب العون.. ووطن الأزهر هو الذى يستطيع أن يقود ويعلم ويجمع كل هؤلاء على كلمة الحق.

وتكررت أسئلة الحيرة فى مسجد مدينة نيو كاسل.. هل اختلاط الرجال والنساء فى العمل حرام؟.. وماذا يفعلون وهم فى أمريكا حيث الاختلاط أمر من ضرورات الحياة؟.. والعمل أيضا من ضرورات الحياة؟ وهل التعامل مع البنوك حرام؟ وماذا يفعلون وهم فى أمريكا.. حيث لا يستطيع الإنسان أن

يشترى بيتا أو سيارة أو متجرا إلا عـن طريـق التعـامل مـع بنـك.. بـل لا يستطيع أن يتعامل فى أبسط صـور الشـراء والبيـع إلا عـن طريـق بطاقـات الائتمان التى تصدرها البنوك.. ومقاطعة البنوك معناها عدم التعامل أو عدم العمل والانقطاع عن الدنيا كلها.. وأسئلة أخرى كثيرة.. مـاذا يحـدث فـى مصر؟ وأين الكتب الدينية التى تصدرها مصر؟ ولماذا لا تصـل إلينـا؟ ولمـاذا لا تنتج فى مصر أفلام فيديو لتعليم الصلاة والصوم والحـج والزكـاة وتفسـير القرآن؟.. على أن يكون ذلك باللغة الإنجليزية وتباع بثمـن معقـول ويمكـن أن تجد سوقا تناسـب مـن يعيشـون فـى أمريكـا وقـد فقـدوا الصلـة باللغـة العربية؟ وهذه مشكلة كبيرة.. لأن أبناء الجيل الثانى مـن المـهاجرين تبعـد الصلة بينهم وبين مجتمعهم الأصلى، ويندمجون فـى المجتمـع الأمريكـى، ويصبحون أمريكيين دما ولحما.. وإن كان الباقى فـى ذاكرتـهم أنـهم أبنـاء مصريين هاجروا، ولا يعرفون عن مصر إلا بقايا ذكريـات ممـا كـان يحكيـه لهم آباؤهم فى طفولتهم.

هذه المشكلة لابد أن ننشغل بها.. لأن اللغة العربيـة هـى الخيـط الـذى يمكن أن يربط بين عشرات الآلاف من أبناء المصريـين وبـين وطنـهم.. ولـو انقطع هذا الخيط فسوف تنقطع الصلـة بـالوطن الأم.. وتفقـد مصـر رصيـدا مهما لها فى داخل المجتمع الأمريكى..

وهذه المشكلة سبق أن أثـيرت.. وكـانت هنـاك مشـروعات بطبـع كتـب لتعليـم اللغـة العربيـة تتناسـب مـع أبنـاء المـهاجرين الذيـن يتحدثـون بالإنجليزية.. ومشروعات أخرى لإنتاج شرائط كاسيت وفيديو لتعليم اللغـة العربية.. ولكنها كلها لم تنفذ..

وجـاءت زيـارة المفتـى لكـى تجعلنـا نلمـس بأنفسـنا مـدى أهميـة هـذا الموضوع، وأعتقد أن واجب وزارات: التعليم والخارجية والأوقـاف أن تبـدأ

فى تنفيذ مشروع لإيجاد جسور مع المهاجرين وأبنائهم فى أمريكا.. خسارة أن نفقدهم.. وخسارة أكبر أن نتركهم لغيرنا ليبنى عقولهم وفقا لمصالحه.. ولنا أن نتصور حجم الفائدة التى تعود على مصر إذا ظل المهاجرون وأبناؤهم على صلة بها.. كيف سيكون حجم الفائدة اقتصاديا.. وسياسيا.. وبدلا من أن نشكو من نشاط اللوبى الصهيونى فى أمريكا الذى يمارس الضغط على سلطات اتخاذ القرار ويشارك فى توجه السياسات لصالح إسرائيل.. لماذا لا نبدأ نحن أيضا بالعمل وفقا لقواعد اللعبة الأمريكية التى تعطى لكل جماعة الحق فى ممارسة الضغط، وتكوين اللوبى الذى يدافع عن مصالحها..

لابد أن نعترف بأننا قصرنا طويلا فى حق المصريين والمسلمين الذين يعيشون فى أمريكا.. وقد تصورنا أن عليهم هم أن يأتوا إلينا إذا أرادوا.. أما نحن فلن نذهب إليهم.. ولن نتغلغل فى تجمعاتهم.. ونتصل بهم فى المدن الصغرى والكبرى ليشعروا أننا نفكر فيهم، وأننا لا نلجأ إليهم فقط حين نريد أن نطلب منهم.. ولكننا نعطيهم أيضًا.. ونفتح قنوات الاتصال والحوار بيننا وبينهم.. وكما نذهب إليهم فسوف يأتون إلينا.. وبذلك تصبح مصر هى الوطن الثانى بحق لكل المصريين المهاجرين.. ولكل المسلمين فى أمريكا.. وهذه قضية مهمة.. بل شديدة الأهمية.. ولابد أن نفكر فيها بجدية، ونبدأ فى العمل فيها ولو بسياسة الخطوة خطوة..

وزيارة المفتى يمكن اعتبارها الخطوة الأولى على هذا الطريق..

❁❁❁

فى الكلية اللاهوتية فى مدينة بتسبرج كان رئيسها وأساتذتها وطلبة الدراسات العليا فى انتظار المفتى والدكتور حبيب.. وكان ترحيب رئيس الكلية الدكتور سام كاليان بالمفتى يفوق الوصف، وقال: إن هذه هى الفرصة

الأولى التى نلتقى فيها بأكبر قيادة دينية إسلامية فى مصر، ولذلك نعتبرها فرصة لنتعرف على حقائق الإسلام.. وما يثار عن التطرف الإسلامي..

وقال الدكتور سام كاليان أيضا: إن هذه مناسبة تاريخية حيث تستضيف الكلية اثنين من قادة الدين الإسلامي والدين المسيحى معا، وقد جاءا فى طائرة واحدة.. وسيارة واحدة.. ولهما دور ملحوظ فى نشر التفاهم بين أصحاب الديانتين وفى مواجهة التوتر والعنف السياسى فى بلديهما.. ونحن نرحب بهما لإجراء حوار سلمى حول ما يجرى فى البوسنة وفى أنحاء أخرى من العالم، ونحن نتطلع إلى حل مشاكل كثيرة تستخدم فيها العقائد الدينية لإشعال الحروب بين البشر.. نحن لا نستطيع أن نعيش شعوبا متفرقة ومنقسمة.. وإن تحقيق السلام بين الأديان ضرورى لكى يتحقق السلام بين الأمم.. وفى أمريكا أكثر من ثمانية ملايين مسلم، وهم ضعف عدد المسيحيين الإنجيليين فى أمريكا.. لقد أصبح الإسلام هو الدين الثانى فى فرنسا والثالث فى أمريكا من حيث عدد المؤمنين به، وسوف يصبح الدين الثانى فى أمريكا فى عام ٢٠١٠.. وبذلك لم نعد نستطيع تصور الإسلام على أنه الديانة التى تخص أبناء الشرق الأوسط أو أفريقيا أو آسيا، ولكن الإسلام – مثل اليهودية، والمسيحية – هو الآن ديانة أمريكية..

وتحدث المفتى عن الإسلام فقال إنه دين السماحة، لأنه يعطى لغير المسلم نفس الحقوق التى يعطيها للمسلم، ويفرض عليه نفس الواجبات.. والقاعدة أن غير المسلمين فى مجتمعنا كما أمرنا الرسول ﷺ: «لهم مالنا، وعليهم ما علينا» وقال: إن المسلم لا يكون مسلما إلا إذا آمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسله جميعا دون تفرقة بين أحد من رسله.. ولذلك يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿**قولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، والأسباط، وما أوتى موسى،**

وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن لـه مسلمون﴾. والإسلام دين يرفض العنف ﴿لا إكراه فى الدين﴾ ﴿وجـادلهم بالتى هى أحسن﴾ و ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسـنة﴾.. وهو دين سلام.. ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل علـى الله﴾.. وهـو دين يحرم القتل تحريما مطلقا ويعتبر قتل إنسان واحد قتلا للبشـرية كلـها ﴿مـن قتـل نفسـا بغـير نفس أو فسـاد فـى الأرض فكأنمـا قتـل النـاس جميعا﴾..

وقال القس الدكتور صموئيل حبيب إن الهيئة الإنجيلية استطاعت بنـاء علاقات سلمية مع المسلمين من ناحية، ومـع الطوائـف المسيحية الأخـرى مـن ناحيـة أخـرى.. حيـث جمعـت ١٨٠ مـن رجـال الديـن الإسـلامى والمسيحى الكـاثوليك والأرثوذكـس والإنجيليـين لدراسـة دور الكنيسـة فـى التفاعل مع المجتمع. وبعدها جمعت ٦٥ مـن رجـال الديـن الإسـلامى مـع قادة الديـن المسـيحى لدراسـة دور المسـجد والكنيسـة فـى التعـاون لخدمـة المجتمع.. ونعد الآن لإجراء حوار بين الديانـات لنصـل إلى تفـاهم مشـترك يجعلنا أكثر قدرة على أن نعمل معا فى كل المجالات.

وفى مدينة بتسبرج تكـررت اللقـاءات فـى الكنـائس والمراكـز الإسـلامية ودارت حوارات غاية فى الأهمية سأعود للحديث عنها.. وقد خرجنا منها بانطباع بأن هذه الزيارة قد حققـت أكـثر ممـا كنـا نتوقـع، وإن كـانت قـد فتحت طريقا واسعا لعلاقات مفيدة داخل المجتمـع الأمريكـى إذا اسـتطعنا أن نواصل السير عليه دون تردد أو تأخير، فسوف تكون النتائج مفيـدة لنـا بأكثر مما نتصور، لأن الأيدى التـى تريـد أن تلتقـى بأيدينـا هـى الآن فـى أمريكا كثيرة جدا.. أكثر مما نتصور..

۞۞۞

ماذا قال المفتى فى أمريكا ؟

عندما بدأنا الرحلة إلى أمريكا كنا نعرف أنها ليست رحلة سهلة..

كان برنامج الرحلة يتضمن لقاءات يومية تبدأ فى التاسعة صباحا وتنتهى فى العاشرة مساء.. ويتضمن رحلات بالطائرات والسيارات لساعات طويلة.. ولا يراعى الإرهاق الذى يعانى منه المسافر من مصر إلى أمريكا فى أيامه الأولى نتيجة لفروق التوقيت.. حيث الساعة فى أمريكا متقدمة سبع ساعات عن مصر.. فالعاشرة مساء هناك هى الثالثة بعد الظهر فى مصر.. ولذلك يحتاج الإنسان إلى يومين أو ثلاثة إلى أن يتلاءم إيقاع جسمه مع التوقيت الجديد..

كذلك كنا نعرف أننا سنواجه الحملة على الإسلام والمسلمين وجها لوجه.. وقد أصبحت وسائل الإعلام الأمريكية تربط بين الإسلام والإرهاب والتخلف والجهل والعداء للحريات.. وأصبحت صورة الإسلام فى عقول الأمريكيين مشوهة وتثير فيهم مشاعر الخوف والعداء.. وكنا نعرف أن أصواتا كثيرة سوف ترتفع فى مواجهتنا بالهجوم تحت ستار أن المجتمع الأمريكى مجتمع مفتوح.. يستطيع فيه كل إنسان أن يقول ما يشاء دون حدود أو قيود.

وحين بدأنا الرحلة : فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية.. والقس الدكتور صموئيل حبيب رئيس الطائفة الإنجيلية فى مصر.. وأنا.. كنا قد اتفقنا على أن كلمة الحق التى نحملها سوف تجد طريقها إلى قلوب وعقول من سنتحدث إليهم.. لأن الحق له قوة فى ذاته.. ومهما نجح أعداؤه فى تشويهه أو إخفائه لابد أن يظهر فى النهاية..

وينتصر. وقلنا لأنفسنا إن هذه رحلة فى سبيل الله.. ويكفينا هذا لنتحمل المتاعب الجسمية والنفسية مهما تكن.

ومع ذلك فقد لقينا فى أمريكا أكثر مما كنا نتصور..

الكل متفقون على أن هناك حملات قوية لتشويه صورة الإسلام..

والبعض يهمس فى أذنك أن اللوبى الصهيونى يضغط بكل قوة لكى يمنع وصول صوت الإسلام.. وصوت مصر إلى الرأى العام الأمريكى.. واللوبى الصهيونى فى أمريكا له قوة يعرفها الجميع وبخاصة فى ميدانين أساسيين: المال.. والإعلام ثم هناك أيضًا مجموعات من العرب والمصريين.. هاجروا إلى أمريكا فى ظروف صعبة.. تركوا بلادهم وهم شبه مطرودين منها.. أصحاب فكر منحرف.. عاطلون.. فاشلون جاءوا ليبدأوا طريقهم بغسل الأطباق والسيارات وهم يحملون شهادات عليا.. معارضون سياسيون.. متعصبون يملؤهم الحقد على بلادهم ويريدون أرضا غريبة تسمح لهم بممارسة التنفيس عن حقدهم.. أخلاط غريبة من الناس أوشكوا أن يفقدوا قدرتهم على التفكير السليم، وتحولوا إلى طاقة حقد على بلادهم.. وهم كثيرون.. ومن كل البلاد العربية دون استثناء.

على الجانب الآخر التقينا بمجموعات من الأمريكيين والعرب والمصريين يمثلون الجانب الآخر.. ناس محترمون.. عاقلون.. يحترمون العقل والمنطق ويبحثون عن المعرفة، ويريدون بإخلاص أن يعرفوا الحقائق من مصادرها.. ولكنهم لم يلتقوا بهذه المصادر.. وهؤلاء هم الذين قضينا معهم أكثر وقتنا، لأن الحوار معهم كان متعة عقلية.. وأقنعنا بأن سوء الفهم الذى نلحظه فى الرأى العام الأمريكى سببه أننا لم نبذل مجهودا كافيا لنخاطب هذا الرأى العام.. ونتصل به اتصالات مباشرا.. ونقدم إليه أدلة ونماذج حية لما نتحدث عنه.. ولذلك كان رائعا أن يتحدث المفتى ورئيس الطائفة القبطية

الإنجيلية معا فى كل مكان.. فى الكنائس.. والمساجد.. وكليات اللاهوت المسيحية.. والمراكز الإسلامية.. وأمام ممثلى الصحافة العالمية فى المؤتمرات الصحفية.. وكانت شخصية الإثنين مقنعة وموفقة فى عرض سماحة الإسلام، وبراءته من الإرهاب، والعلاقات القوية التى تربط المسيحيين والمسلمين مصر باعتبارهم جميعا أبناء وطن واحد.

وكانت الرحلة مليئة بالأحداث والحوارات..

❁❁❁

فى المركز الإسلامى فى مدينة بتسبرج بولاية بنسلفانيا تجمع آلاف المسلمين لصلاة الجمعة.. جاءوا من بلاد بعيدة بعد أن عرفوا أن مفتى مصر هو الإمام فى هذه الصلاة.. وأقاموا مأدبة غداء كبيرة فى المركز.. ونظموا ندوة استمرت أكثر من ثلاث ساعات..

قالوا إننا نحتاج إلى علماء الأزهر ولا نجدهم.. فكيف يمكننا الاحتفاظ بالرابطة مع الإسلام المعتدل دون أن يكون بيننا عدد كاف من الأئمة والوعاظ.

وقالوا إن أطفالنا وتنشئتهم تنشئة إسلامية فى أمريكا مشكلة يجب أن تساعدونا فى حلها.. نحن لا نجد ما يساعدنا على تعليم اللغة العربية للأجيال التى تولد فى أمريكا، ومن الممكن أن تذوب فى المجتمع وتفقد الجسور والصلة بوطنها الأصلى إذا لم تجد هذه الجسور منذ البداية.. لماذا لا ترسلون إلينا كتبا لتعليم الدين الإسلامى واللغة العربية، وأفلام فيديو، ونحن مستعدون لشرائها بالثمن؟ ولماذا لا تتوافر لدينا مطبوعات عن مصر.. وما يحدث فيها من تقدم فى الميادين السياسية والاقتصادية؟ وليست لدينا معلومات عن تقدمها.. بل إن ما تقدمه الأجهزة المسئولة فى مصر أقل بكثير مما يجب.. وعلى سبيل المثال، عندما نظمت جامعة بتسبرج معرضا

دوليا كبيرا جاهد الطلبة المصريون الذين يدرسون فى الدراسات العليا بهذه الجامعة، وعددهم كبير، وأقاموا جناحا مصريا بجهودهم المحدودة.. وطلبوا من المكتب الثقافى المصرى أن يزودهم بمطبوعات عن مصر لتوزيعها على جمهور المعرض، فأرسل المكتب إليهم ثمانية كتب فقط لا غير، على سبيل الإعارة، وألزمهم بإعادتها.. وكان الجناح المصرى هو أفقر الأجنحة.

وقالوا إننا نعيش فى حصار حملات الإعلام التى تظلم الإسلام وتشوه صورته.. والتليفزيون يقدم صورا غريبة عن مصر والمسلمين.. كان آخرها فيلما من إنتاج شبكة تلفزيون بى. بى. اس. وهى الشبكة العامة التى تدعمها الحكومة وتبث إرسالها فى كل الولايات المتحدة فى القناة الثالثة عشرة الفيلم بعنوان: «الجهاد فى أمريكا.. الحرب المقدسة» ، ومدته ساعة كاملة.. وأعيد عرضه أكثر من مرة.. ويتضمن لقاءات مع بعض زعماء المسلمين فى أمريكا، ولكن أحاديثهم أذيعت مبتورة.. وتم اختيار عبارات يظهر منها أنهم متطرفون، ودعاة عنف، وأن رسالتهم هى دعوة المسلمين لإعلان الحرب على غير المسلمين دون تفرقة.. وبغير سبب.. لمجرد أنهم ليسوا مسلمين.. وقال الفيلم: هذا هو مفهوم الجهاد.. قتل.. وتخريب.. وتدمير.. إما أن تطيع هؤلاء «المجاهدين».. وإما أن تموت برصاصهم وقنابلهم.

وكانت نتيجة هذا الفيلم أن عاش المسلمون فى أمريكا أياما صعبة.. بعد أن أساء إليهم وصورهم جميعا على أنهم إرهابيون.. لن يدخلوا الجنة إلا بقتل الآخرين المخالفين لهم فى الرأى والعقيدة.. وأصبح المسلمون فى أمريكا فى موقف الاتهام.. ومازالوا يحاولون الدفاع عن النفس..

وهذا نموذج واحد فقط.. وهناك مثله مئات، بل آلاف، تملأ نفوس المسلمين فى أمريكا بالمرارة.

وقال محمد أخضر رئيس المجلس الإسلامى فى بتسبرج، وهو مجلس يضم ممثلى ستة مراكز إسلامية، إن الأمة الإسلامية كانت دائما تجتمع

على أصل واحد هو الحق.. فكانت أمة واحدة.. ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾.. رغم اختلاف اللغات والثقافات.. والآن لماذا ضاعت الوحدة بين المسلمين؟ ولماذا اختلطت المفاهيم؟ وما هي علاقة المسلم بالمسلم؟ وما هي علاقة المسلم بغير المسلم؟ قل لنا يا فضيلة المفتي..

وأجابهم المفتي: إن علاقة المسلم بالمسلم يجب أن تقوم على الأخوة وليس على العداء أو الكراهية ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾.. وتقوم على التعاون (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وتقوم على نصرة المسلم لأخيه المسلم على الحق وليس على الباطل.. وتقوم العلاقة بين المسلم والمسلم على حسن الظن: ﴿ **يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا** ﴾.. أما علاقة المسلم بغير المسلم فقد حددها القرآن تحديدًا دقيقًا، إذا مد غير المسلم يده بالسلام والأمان والتعاون، وجب على المسلم أن يرد عليه هذه المعاملة بمثلها أو بأحسن منها.. وكل من يعاملنا ـ نحن المسلمين ـ بالسلام والتعاون ولا يسيء إلى ديننا وإلى عقيدتنا ويتبادل معنا المنافع نمد له أيدينا بالسلام والتعاون . أما الذى يعتدى على حقوقنا أو كرامتنا أو أعراضنا فإن الإسلام يدعونا إلى أن ندافع عن أنفسنا دون أن نكون نحن المعتدين ﴿**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾. ولذلك فإن مفهوم الجهاد فى الإسلام هو الدفاع وليس العدوان.

وسألوا: كيف نصوم رمضان فى أمريكا والبلاد الإسلامية مختلفة فى تحديد بداية ونهاية الشهر الكريم؟ وقال لهم المفتي: صوموا وأفطروا على رؤية الهلال فى أمريكا أو فى أى بلد إسلامى.

وسألوا عن الدور الذى يمكن أن يقوم به المسلمون فى أمريكا وهم كثيرون.. فقد وصل عدد المسلمين إلى أكثر من ثمانية ملايين.. وهم يزدادون عددا يوما بعد يوم.. وقال لهم المفتي: دوركم أن تكونوا سندا لإخوانكم

المسلمين، وأن تكونوا نماذج حية للإسلام فى سماحته، واعتداله، وإيمانه بالعقل والعلم والتقدم..

وفى نيويورك كانت الأحاديث أكثر سخونة..

۞۞۞

فى نيويورك كان ثالث مؤتمر صحفى كبير.

سأل صحفى أمريكى: إن عمر عبد الرحمن ماثل الآن أمام المحكمة.. ولكن الحقيقة أن هذه محاكمة للإسلام على أنه دين عنف وإرهاب!

وقال المفتى: من قال إن هذه محاكمة للإسلام.. وهل هناك شخص مهما تكن صفته يكون ممثلا للدين كله.. **أولا** المتهم برىء إلى أن تثبت إدانته، هذا مبدأ نحترمه فى مصر، ولابد أنكم تحترمونه أيضا فى أمريكا - **وثانيا**: لو أن إنسانا ارتكب جريمة فإن العدل يقتضى أن تسند الجريمة إلى الشخص بذاته كإنسان فرد مسئول، ولا تسند إلى وطنه أو إلى ديانته، وألا يكون ذلك تعميما، فالتعميم فيه ظلم شديد، ولا أظن أن معنى العدالة يمكن أن يغيب عن العقول السليمة.. **وثالثا**: إن الإسلام دين سماحة، واعتدال، وسلام، وهو برىء من كل ظلم أو عدوان أو إرهاب، وبرىء من كل من يرتكب جريمة وينسبها إليه.. الأديان كلها أرسلها الله لسعادة البشر وليس لشقائهم.. للتعمير وليس للتخريب.. للإصلاح وليس للإفساد. وللعدل وليس للظلم.. وللخير وليس للشر..

وسأل صحفى آخر: ما رأيك فى الشيخ عمر عبد الرحمن؟

وأجاب المفتى بكل هدوء: أنا لا أعرف تفاصيل القضية والاتهام.. وهى قضية ينظرها القضاء الأمريكى، وقد جرت العادة عندنا فى مصر أننا لا نتعرض بالحديث عن قضية معروضة أمام القضاء ليكلا يكون فى ذلك

تدخل فى شئون القضاء، أو محاولة للتأثير عليه، والقضاء محل احترامنا.. نحن نحترم القضاء المصرى.. وكذلك نحترم القضاء الأمريكى، ونثق فى عدالته.

وسأل صحفى: هل ترى أن إلغاء الانتخابات الجزائرية كان خطأ أو صوابا؟ وأجاب المفتى: أنا رجل دين، ولست رجل سياسة، الانتخابات الجزائرية يسأل عنها السياسيون، أما أنا فعندما أتكلم باسم الدين فإننى أطالب بالحرية الإنسانية والكرامة الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، وكل نظام يؤمن بالعدل، والحرية، ويحارب الرذائل، فإننى معه من منطلق موقفى كرجل دين.

وسأل صحفى: ما هو تعريف «الجهاد فى الإسلام»؟

وأجاب المفتى: الجهاد فى الإسلام مقصود به الدفاع عن النفس، وعن المال وعن العرض، وعن الوطن، وعن الكرامة الإنسانية بصفة عامة، وكل من يقول إن الجهاد هو القتل، أو السرقة، أو الظلم، فهو منحرف عن المفهوم الإسلامى الصحيح، الجهاد دفاع عن النفس الإنسانية، ودفاع عن المظلوم، ودفاع عن الحق إذا اغتصب، وأعطيكم أمثلة: فى البوسنة، المسلمون يدافعون عن أنفسهم، وهو يتعرضون لأبشع صور التعذيب والطرد من بيوتهم ووطنهم.. ودفاعهم. عن أنفسهم هو «جهاد».. والإسلام ضد الظلم، وضد الاستغلال، سواء صدر عن الحاكم أو عن المحكوم.. وسواء صدر من دولة صغيرة أو من دولة كبيرة.. ونحن كرجال دين يحتم علينا ديننا أن نقف إلى جانب المظلوم حتى ينتصر الحق، وأن نقف فى وجه الظلم حتى يندحر.. هذا هو فهمنا للأمور..

وسأل صحفى: هل عمليات القتل التى تحدث فى مصر تعتبر جهادا؟ وهل ما يفعله الفلسطينيون فى القدس جهاد؟

وأجاب المفتى: نحـن فـى مصـر ندعـو إلى الشـريعة بالكلمـة وبالموعظـة الحسنة كما أمرنا ربنا، وشهادة أمام الله أقول لك إن مصر لم تشهد حريـة كما تشهد الآن، ونحن مـع هـذه الحريـة، ونطـالب بـالمزيد مـن الحريـة، ولكننا ضد من يقتل.. ومن يسرق ومـن يفسـد فـى الأرض باسم الشـريعة.. وشريعة الإسلام بريئة من العدوان.. وكل سائح يأتى إلينـا هـو ضيـف فـى بلادنا.. تأمرنا شريعة الإسلام أن نوفر له الحمايـة ونرعـاه إلى أن يعـود إلى بلاده سالما.. نحـن نطـالب بالتغييـر بـالحوار وليـس بـالقتل.. وفـى مصر مجلـس الشـعب فيـه معارضـة قويـة.. ومجلـس الشـورى يمثـل الحكمـة والخبرة.. والصحافة حرة تعارض وتنتقد.. وحرية الرأى مكفولة.. أما حرية القتل فهى خروج على الإسلام.. وعلى كل الأديان.. أما الفلسطينيون فلهم شأن آخر.. كل من يدافع عن حقه أمام الظلم، وكل من يدافع عن أرضـه، وماله، وعرضه، ويواجه العدوان الواقع عليه.. فله الحـق فـى أن يسـتعمل كل الوسائل المشروعة.. وليس هنـاك ديـن مـن الأديـان يدعـو أصحابـه إلى السكوت عن الظلم إذا كانت أرضه وحقوقه مغتصبة.. وكـل الأديـان تدعـو إلى نصرة المظلوم ضد الظالم، وسأل صحفى: وما موقفكم من فتوى الخمينـى بقتل سلمان رشدى فى جريمة رأى؟ وأجاب المفتى: أولا أنا كمفتى مصر.. أنا ضد الدعوة إلى قتل إنسان.. وثانيـا: أنـا قـرأت ترجمـة لروايـة سـلمان رشدى ولم أجد فيها رأيا، ولكنى وجدت فيـها مجموعـة أكـاذيب ينسـبها إلى رسولنا وزوجاته وصحابته.. وهذه الوقائع التى ينسـبها إليـهم مـن أيـن جاء بها؟ أنا أستاذ فى جامعة الأزهر عشرين عاما قبـل أن أتـولى الإفتـاء.. تعـودت حـين أنـاقش رسـالة أن أسـأل الطـالب: مـن أيـن أتيـت بـهذه المعلومات؟ فإذا لم يستطع توثيق مصادر معلوماته اعتبرته كاذبـا وغشاشـا.. ولذلك فأنا أطالب بتشكيل لجنة ثلاثية: من أحد علماء الديـن اليـهودى.. وأحد علماء الدين المسيحى. وأحد علمـاء الديـن الإسـلامى.. وتتـولى الـدول التى يقيم فيها سلمان رشدى تنظيم حوار معه، وتسـأله اللجنـة: مـن أيـن

أتيت بالمعلومات والوقائع التى تنسبها إلى الرسول ﷺ؟ أنت تنسب إلى محمد ﷺ أنه كاذب وقاتل.. وخائن.. وقلت إن بعض الصحابة ارتكبوا جرائم.. ووصفت بعض زوجات الرسول بالخيانة.. قل: من أين أتيت بهذا الكلام؟ من أى مصدر؟ من أى مرجع؟ من أى كتاب؟ فى أى لغة؟ ولابد أن تتولى هذه اللجنة إعلان الحقيقة: وهى أن سلمان رشدى كذاب.. وغشاش.. ودجال.. وهو رجل لا يبحث إلا عن المال.. ولذلك باع نفسه من أجل المال.. وأساء إلى الأديان كلها، وجميع القوانين فى كل الدول تعاقب من يتهم غيره كذبا.. جريمة القذف موجودة فى كل القوانين.. بعد هذه المناقشة يكفينا ما يحكمون به..

وسأل صحفى: ما هى حقيقة التوتر فى العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر؟ وأجاب المفتى: إن وجودى إلى جانب صديقى الدكتور صموئيل حبيب هو الإجابة عن هذا السؤال، وإذا وجدت بعض الأحداث، وأنا لا أنكرها، فهى حوادث فردية، موجودة فى كل دولة، والكنائس والمساجد فى مصر لهما نفس التقدير باعتبارهما بيوتا يذكر فيها اسم الله..

وقال الدكتور صموئيل حبيب: إن المسلمين والمسيحيين فى مصر يعيشون معا.. فى البيت الواحد تعيش الأسر المسلمة ملاصقة للأسرى المسيحية.. ويشتركون فى التجارة والعمل.. بلا تفرقة من أى نوع.. وفى رمضان يحتفل المسلمون والمسيحيون معا بهذه المناسبة الدينية الإسلامية التى أصبحت مناسبة قومية والهيئة الإنجيلية عقدت دورات حضرها أئمة المساجد المسلمون مع القسس المسئولين عن الكنائس، وبحثوا معا وضع قواعد لخدمة المجتمع وتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية.. ومحاربة العادات الضارة بالصحة والعادات الاجتماعية الخاطئة.. وهكذا نحن نعيش معا، ونعمل معا.

وفى نيويورك أيضا عقدت ندوة مهمة.. دعا إليها المجلس القومى للكنائس، وحضرها مجموعة مختارة من قادة مختلف الكنائس الأمريكية، وقال السكرتير العام لمجلس الكنائس القس جون براون كامبل: إننا نعتبر هذا اللقاء لقاء تاريخيا.. لأن هذه هى المرة الأولى التى نستقبل فيها مسلمين ونستمع إليهم، ونحن نريد أن نجرى حوارا بين المسيحية والإسلام لكى يتعرف بعضنا على بعض، ونبحث عن نقط الالتقاء التى يمكن التعاون فيها لتحقيق مصلحة البشرية.

وقال المفتى: إن قادة المسلمين والمسيحيين يجب أن يتعاونوا على تحقيق السلام والعدل.. والتعاون.. نحن نعرف أن النفس الإنسانية فيها الأنانية، والظلم. والأديان هى التى تحمى البشرية من هذه الغرائز والرذائل.. ولذلك فإن احتياج الإنسان إلى الدين أكثر من احتياجه إلى الطعام. وإذا فهم الناس الدين فهما صحيحا وإذا طبق المؤمنون بالأديان تعاليم أديانهم تطبيقا دقيقا على أنفسهم.. فسيكون ذلك هو عصر العدل والسلام بين البشر.

وقال: إن الأديان جميعا. والإسلام على رأسها، تعلم الإنسان ما يجب عليه نحو خالقه: أن يعبده بإخلاص. وواجبه نحو وطنه: أن يعمل على تعميره وليس تخريبه.. وواجبه نحو غيره ممن هم على ديانته أو يخالفونه فى العقيدة: أن يحب لغيره ما يحب لنفسه، وأن يكره لغيره ما يكره لنفسه.. وواجب المؤمن نحو من يخالفه فى العقيدة أن يحسن الظن به، وأن يعامله معاملة كريمة، وأن يتعاون معه على ما فيه الفائدة والخير للناس وللوطن.. والأساس فى الإسلام أن العلاقات مع سائر البشر إنما تقوم على احترام حقوقهم الإنسانية، وعلى تبادل المنافع معهم.. وأما العقائد.. فلكل إنسان عقيدته.. والذى يتولى حساب الناس على عقائدهم هو الله وحده..

واختلاف الأديان ليس معناه اختلاف أو صراع أصحاب الديانات.. ولكن معناه أن يتعارفوا، ويتعاونوا.. ﴿ **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ﴾ ونحن جميعا نؤمن بوجوب اعتناق الفضائل، واجتناب الرذائل.. ونؤمن جميعا بالحق والعدل والأخوة الإنسانية مهما اختلفت دياناتنا.. وشريعة الإسلام شريعة العدل والتسامح والسلام.. وهي بريئة من كل من يرتكب جريمة وينسبها إلى الإسلام.. ولذلك فنحن نستنكر ما نراه من بعض وسائل الإعلام حين تنسب مرتكب جريمة إلى ديانته.. لأنه لا علاقة بين الجريمة والدين.. يجب أن تنسب الجريمة إلى مرتكب جريمة إلى ديانته.. لأنه لا علاقة بين الجريمة والدين.. يجب أن تنسب الجريمة إلى شخص مرتكبها وحده.. ولا تنسب إلى دين من الأديان، لأن الأديان لا تأمر بالتخريب، أو القتل، أو العدوان، ولكن تأمر بأن يستمع كل إنسان إلى الآخر، ويتبادل معه المنافع، إن الكراهية التى يعلنها البعض ليست من الأديان.. وأنا أقول لكم بصراحة، إن الخطأ فى الأحكام على دين من الأديان سببه أن كثيرا من الناس لا يأخذون المعلومات عن هذا الدين من مصادرها الصحيحة.. فلكى أعرف حقيقة المسيحية لابد أن أسأل رجال الدين المسيحيين، وأقرأ كتبهم الأصلية المعتمدة.. ومن الخطأ أن أكون أفكارى عن المسيحية من أفعال بعض المسيحيين.. أو من بعض أفكار متطرفين من المسيحيين.. كذلك فإن معرفة الإسلام يجب أن تكون من مصادر إسلامية صحيحة.. وما أكثر الذين يتسترون بالأديان وأفعالهم تتعارض مع حقيقتها.. ونحن فى مصر – مسلمين ومسيحيين – نعيش معا على أرض واحدة، ولنا مصالح واحدة، ونعرف أن من الخير لنا أن نتعاون وألا نتفرق، أما الأحداث التى تسمعون عنها فى مصر فهى أحداث فردية، لا قيمة لها، ولا تأثير، وهى تحدث فى كل بلد، أما الأغلبية من المسلمين والمسيحيين فى مصر على اختلاف مذاهبهم فهم أسرة واحدة وأبناء وطن واحد.

وسأل أحد قادة الكنائس: هل يمكن إصلاح هؤلاء الضالين الذين يرتكبون الجرائم باسم الإسلام، أو أنهم انفصلوا عن المجتمع وأصبحوا شاردين؟

وأجاب المفتى: إن كل إنسان مسئول وحده أمام الله وأمام القانون عن كل كلمة ينطق بها، وكل فعل يقوم به، والناس يختلفون فى مداركهم وفى تصرفاتهم، وهذا أمر يحدث منذ بدء الخليقة، والكتب السماوية تحدثنا عن الفترة التى شهدت بدء الخليقة وكانت فيها البشرية مكونة من أسرة صغيرة: أب وأم، ووالدين اثنين فقط، فقتل أحدهما الآخر، فليس غريبا إذن أن نجد من يتحدثون عن الإسلام بما يخالف حقيقة الإسلام، ويفعلون أفعالا تحاربها الأديان جميعا.. لأن الإرهاب بما يخالف حقيقة الإسلام، ويفعلون أفعالا تحاربها الأديان جميعا.. لأن الإرهاب والتخريب والقتل والظلم حرام فى كل الأديان.. والتعصب مكروه فى كل الأديان.. وهذا لا يمنع من أن واجب كل دولة أن تحاسب من يرتكب جريمة باسم الدين أو لغيره.. ولكن يجب أن نراعى ألا تنسب جريمة يرتكبها شخص إلى شخص آخر.. وألا تنسب جريمة يرتكبها إنسان إلى دين معين..

وواجبنا أن نبصر أطفالنا وشبابنا بهذه الحقائق، وأن نكرر رجاءنا إلى وسائل الإعلام بأن تنسب الجرائم إلى من يرتكبها كشخص وليس إلى دين من الأديان وسأل أحد قادة الكنائس: نسمع عن خطبة الجمعة فى بعض المساجد فى مصر وما فيها من تحريض على الجريمة.. من يختار خطباء الجمعة؟ وهل هناك رقابة عليهم أو أن منابر المساجد متروكة لمن يريد؟

وأجاب المفتى الأزهر يقوم بدوره، ووزارة الأوقاف تشرف على أكثر المساجد، وهناك توجيه وإرشاد لكل من يتصدى للخطابة فى المساجد بأن يكون مهذبا فى ألفاظه، ووظيفة رجال الدين – مسلمين ومسيحيين – أن

يكونوا قادة لغيرهم وإذا استمر خطيب مسلم أو غير مسلم في الإساءة إلى عقيدة غيره يجب أن يحاسب على خطئه.

وأجاب الدكتور صموئيل حبيب عن هذا السؤال أيضا: فقال: إن هناك سوء فهم للإسلام والمسلمين، إن حوادث القتل ينسبها الإعلام إلى الإسلام، وعندما أفتى الخميني بقتل سلمان رشدى تحدث الإعلام الغربي على أن هذا هو موقف الإسلام كله، ولكن هناك قادة إسلاميين أفتوا بعدم قتل إنسان عقابا على ما يقوله، ولكن الإعلام لم ينشر آراء هؤلاء القادة، وركز على فتوى الخميني وحده.. وعندما يقول جميع شيوخ المسلمين إن الإسلام برىء من القتل والإرهاب لا تنشر وسائل الإعلام هذا، ولكنها تنشر أقوال المتطرفين الذين يقولون إن القتل هو أمر من الله في الإسلام .. الإعلام عادة لا ينشر إلا ما هو غريب وشاذ وغير متوقع .. لكن الأمور العادية لا تنشر.. الأمور العادية عندنا أن الإسلام ليس دينا للقتل أو التخريب، ويجب أن يكون لهذا المفهوم فرصة للنشر والإعلام.. هناك مفاهيم عظيمة في الإسلام لا تجد طريقها إلى النشر.. ولابد أن ندفع علاقات التفاهم بين الإسلام والمسيحية..

وقال القسيس خورى اللبناني الأصل: الجميع يعرفون أن الإعلام الأمريكي ليس منصفا للإسلام والمسلمين..

وكان هذا حسن الختام.

❁❁❁

وفى واشنطن العاصمة كانت المناقشات أكثر سخونة..

فى حوار مع المفتى أجرته شبكة يو. بى. اى. الإذاعية، وهى شبكة عامة، **سأل المذيع:**

- هناك خوف عام من أن الإرهاب فى مصر ربما يؤدى إلى أن تصبح مصر جزائر أخرى..

وقال المفتى: لقد قلت كثيرا خلال لقاءاتى هنا إن مصر تختلف عن الجزائر فى تكوينها الجغرافى والتاريخى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى.. الجزائر لها ظروف.. مصر مختلفة.. الدولة فيها قديمة وقوية ومستقرة.. والتجانس بين المصريين قديم.. والإرهاب أقلية.. والشعب المصرى لا يتعاطف معه ولكن يرفضه.. الإرهابيون مجموعة صغيرة ليس لها قوة.. وليس لها مستقبل.. والأغلبية فى مصر ضد أعمال القتل والتخريب لأنها ضد طبيعة الإسلام..

وسأل المذيع: ماذا يمكن أن يتعلم العالم الإسلامى من مصر؟

وأجاب المفتى: أرجو أن يتعلم العالم الإسلامى من مصر روح الأخوة الإنسانية التى تربط بين المسلمين والمسيحيين.. وأن يتعلم أن روح الأديان ترفض العدوان بكل صوره.. وأخيرا أن يتعلم أن اختلاف مواقف الناس لا يمنعهم من أن يتعاونوا من أجل مصلحة بلدهم.. وأن التعصب هو نوع من عمى البصيرة يصيب البعض ويهدد المجتمع ومستقبله.

وأجاب الدكتور صموئيل حبيب: إن بعض ما ينقله الإعلام الأمريكى عن مصر غير صحيح.. نحن مع بداية قرن جديد نستعد لبناء بلدنا بناء جديدا، ونعمل معا بالمحبة، ولا نريد أن يكون اختلاف الأديان وسيلة للانقسام وهدم المجتمع.. ونحن نعرف من خلال حياتنا فى مصر مع المسلمين أن الإسلام ليس دين الإرهاب أو الكراهية للآخرين.. بل إنه على العكس من ذلك.. دين يدعو إلى السلام بين البشر.. ويدعو للتسامح مع المختلفين معه فى العقيدة..

وسأل المذيع المفتى: ما هو موقفكم من قضية البوسنة؟

وأجاب المفتى: إن مفهوم المواطن المصرى أن هناك ظلما واضحا يقع على المسلمين وأن الصرب يعاملون المسلمين معاملة سيئة.. يعتدون عليهم

وبالقتل.. وبانتهاك أعراضهم.. وبطردهم من بيوتهم.. هذا سلوك لا يوافق عليه دين من الأديان.. ولا يمكن أن نقول إن هؤلاء يفعلون ذلك من منطلق ديانتهم المسيحية.. لأن هذه الأعمال لا توافق عليها أية ديانة، ولا يقرها أى قانون، ولا ترضاها الطبيعة الإنسانية السوية..

وسأل المذيع: أنتم تقولون إن الإسلام دين السلام..

وقال المفتى: نعم.. الإسلام دين السلام.. ونحن دائما نطالب بالسلام.. ولكن أى سلام؟ هل السلام الذى يقوم على الظلم واغتصاب الحقوق يعتبر سلاما، أو أن السلام هو الذى يحقق العدل، ويحمى الكرامة الإنسانية؟ نحن نطلب السلام العادل لأبناء البوسنة، وأبناء فلسطين، وكل البشر.

وقال الدكتور صموئيل حبيب: إن بعض المسلمين من البوسنة جاءوا إلى مصر والتقينا بهم فى مؤتمر بالإسكندرية، ولمسنا أنهم يرون أن ما حدث للمسلمين فى الأندلس يتكرر فى البوسنة وفى شوشان، حيث يتم استئصال الإسلام والمسلمين وتدمير وجودهم.. ونحن نفهم أن هناك مشكلة سياسية قومية فى يوغسلافيا القديمة وروسيا القديمة، ولكن يجب ألا يكون المسلمون هم الضحية.

وسأل المذيع الدكتور صموئيل حبيب: هل أنت متفائل أن السلام سيتحقق فى الشرق الأوسط وأن الإرهاب سيزول؟

وأجاب: نعم.. أنا متفائل.. السلام سوف يأتى ويسود المنطقة.. ومفهوم السلام هو العدل لكى يدوم.. ورحلتنا هذه هى من أجل السلام.

وكانت فى واشنطن مواقف أكثر إثارة..

فى لقاء مع القناة العامة وهى شبكة تليفزيونية تغطى كل الولايات المتحدة..

سأل المذيع:

ساد اعتقاد بعد انهيار الشيوعية أن الإسلام أصبح هو العدو للغرب.. ما رأى المفتى؟

وأجاب المفتى: أعتقد أن هذا زعم فاسد وباطل.. لأن الشيوعية كانت ضد كل دين سماوى، أما الإسلام فهو دين يحترم الأديان السابقة عليه، ويمد يده لسائر الأديان بالإخاء والسلام، ومن المستحيل أن يكون هناك صراع بين العقائد السماوية، والأقرب إلى المنطق أن يتقارب أصحاب الديانات المختلفة ويتعاونوا بعد انهيار الفلسفة الملحدة.

والقول بأن الإسلام يمكن أن يكون عدوا لأمريكا، أو للغرب، شيء غريب، لأن الأديان جاءت للتعاون بين البشر، والمسلمون يأمرهم ربهم بأن يجنحوا للسلم لكل من يسالمهم.. وبالمحبة لسائر البشر.. فمن أين يأتى العداء؟ ليس من الإسلام.. ولكن من الظلم الذى يرتكبه البشر ضد غيرهم..

❁❁❁

وفى مجلس الأساقفة الكاثوليك فى واشنطن التقينا بمجموعة من أساتذة اللاهوت اليهودى والمسيحى، وشاركنا فى هذا اللقاء السيد حبيب أشرف عضو مجلس المديرين في مجلس المسلمين الأمريكيين بواشنطن، ومحمد إسلام شيما رئيس هذا المجلس، والإمام كاشف عضو مجلس الأئمة فى منطقة متروبوليتان بواشنطن، والإمام يوسف سليم إمام مسجد محمد بواشنطن، والدكتور عبد الرحمن العمودى المدير التنفيذى لمجلس المسلمين الأمريكيين.

وقالت مديرة الندوة القسيسة الدكتورة مارجريت توماس عضو لجنة الحوار بين الأديان فى الكنيسة **البروتستانتية** المشيخية فى أمريكا:

إن هذه مناسبة نادرة لأن مجموعة محدودة رفيعة المستوى من أهل الديانات الثلاثة تجتمع معا ليناقشوا كيف يمكن أن تلتقى الأديان،

وليعرفوا ما هى العلاقة بين الأغلبية المسلمة والأقلية المسيحية فى مصر والعكس فى أمريكا:

إن هذه مناسبة نادرة لأن مجموعة محدودة رفيعة المستوى من أهل الديانات الثلاث تجتمع معا ليناقشوا كيف يمكن أن تلتقى الأديان، وليعرفوا ما هى العلاقة بين الأغلبية المسلمة والأقلية المسيحية فى مصر والعكس فى أمريكا.

وقال **المفتى**: نحن جميعا نعبد إلهـا واحـدا، ونؤمن بأديان تتفق فى الدعوة إلى الأخلاق، وليس هناك دين يدعو إلى الرذائل، وإذا أردتم أن تعرفوا العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر فهى ترجع إلى أربعة عشر قرنا، ولا شك أن هذه العلاقة الطويلة قد تعرضت لكثير من الأمور.. تعرضت للمحبة والتعاون فى الفترات التى كان العقلاء فيه هم الأغلبية من المسلمين ومن المسيحيين، وهى الآن أحسن ما تكون، ونحن نعتبر كل من يحمل الجنسية المصرية له من الحقوق وعليه من الواجبات ما لغيره، بصرف النظر عن عقيدته الدينية.. ونحن نؤمن بحرية العقائد ومبدؤنا أمر الله لنا: ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾ .

ولا ننكر ما يحدث من أحداث التطرف أو الإرهاب، وهى قليلة، ليست أكثر مما يحدث فى أى دولة، والإرهاب منبوذ من المصريين، أما السؤال عن علاقة الدين بالمجتمع فى مصر، فإن كل مؤمن بدين يطبق تعاليم دينه كاملة فى العبادات والسلوك والمعاملات.. ووظيفة الدين كما نفهمها أن ينظم المجتمع تنظيما يقوم على العدل، والمساواة بين الناس، واحترام حرية وكرامة الإنسان، أما الذى يخالف عقيدته ويرتكب الجرائم باسم العقيدة، فإن الذنب يقع عليه، وليس على الدين ذاته.

وقال **الدكتور صموئيل حبيب**: إن تجربة الهيئة القبطية الإنجيلية فى مصر تفيد فى معرفة طبيعة الحياة فى مصر، فهذه الهيئة تقدم خدمات

اجتماعية وصحية، ومشروعات لتحسين دخل الأفراد والأسر، وتحسين البيئة.. دون تفرقة بين المسلمين والمسيحيين.. ولأن المسلمين هم الأغلبية فإن أغلب خدمات الهيئة تتجه إليهم، وقد بدأنا عقد لقاءات مع قادة الكنائس المختلفة، ووجدنا معارضة فى البداية، ولكن الجميع بدأوا يتفهمون مقاصدنا من الحوار، وهى أننا نريد الوصول إلى أرضية مشتركة لكى نعمل معا لخدمة بلدنا ودعونا قادة مسلمين للتحدث إلى المسيحيين، وكانوا يشعرون بالحرج فى البداية، ولكنهم بعد ذلك أدركوا أن هناك أفكارا كثيرة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين، ونحن نخطط للقاءات كثيرة.

وقال القس كلارك لوينستين: إن هناك كتبا تباع فى القاهرة تتحدث عن المسيحيين على أنهم مشركون.

وقلت: إن هذه الكتب تباع على الأرصفة، وهناك مثلها كتب تتحدث عن المسلمين بنفس الأسلوب، والأفضل أن نعود إلى المراجع الإسلامية الأصلية وهى الكتاب والسنة وكتب الفقه الأساسية بدلا من إقامة الحوار على أساس مطبوعات هزيلة يكتبها عادة غير المتخصصين، والمشكلة أن هناك محاولات لتشويه صورة كل دين فى عيون أصحاب الديانات الأخرى، وهذا هو سبب سوء الفهم، وواجبنا أن نزيد محاولات الفهم والتفاهم بين أصحاب الديانات.. ونحن نشكو من أن الرأى العام الأمريكى لا يعرف حقائق ما يحدث فى مصر ويبنى أحكامه على معلومات جزئية لا تمثل الحقيقة كاملة. ويتخذ مصادره من كتب سطحية وبعضها يتضمن مفاهيم تتعارض مع حقيقة كاملة. ويتخذ مصادره من كتب سطحية وبعضها يتضمن مفاهيم تتعارض مع حقيقة الإسلام.. خذوا الإسلام من مصادره المحترمة وهى كثيرة جدا.. ولا تبحثوا عن المطبوعات الصفراء الشاذة.

ودار حوار طويل انتهى بشعور عام بأن مجرد الحوار فيه فائدة لكى يصبح أصحاب الديانات قادرين على التعاون معا دون حساسيات، واقترح الدكتور صموائيل حبيب فى النهائية أن يأتى بعض أعضاء هذا اللقاء مع كبار قادة الأديان إلى جولة فى الشرق الأوسط ليستمعوا إلى الفلسطينيين، واليهود، والمسيحيين، واللبنانيين، والمسلمين، وليعرفوا ما يشكو منه كل شعب، وبعد ذلك يعود اللقاء مرة أخرى فى ضوء معرفة بالواقع.

❁❁❁

وفى واشنطن أيضا حضر المفتى والقس صموئيل حبيب مؤتمرا صحفيا عالميا جمع أكثر من ستين من ممثلى الصحف العالمية الكبرى وممثلى وكالات الأنباء وشبكات التليفزيون..

وكان هناك اثنان أو ثلاثة من المصريين الغاضبين الذين هاجروا إلى أمريكا، ويبدو أنهم مازالوا يشعرون بالمرارة.. أرادوا أن يفسدوا المؤتمر فبدأوه بأسئلة عن بناء الكنائس فى مصر ولماذا تكون بقرار؟

وكان الرد: إن كل بناء فى مصر وفى أمريكا يتم بقرار.. المساجد والكنائس والبيوت.. وكل شىء يخضع لتنظيم..

وقال أحدهم: إن حكومة مبارك ظالمة..

ورد المفتى: إن وجود من يصف حكومة مبارك بأنها ظالمة دليل على أن الحرية فى مصر قائمة، لأن الدولة التى يتكون مواطنوها قادرين على التعبير والنقد خير من الدولة التى تكمم الأفواه وتخرس الألسنة وتحارب أصحاب الرأى.. وإذا كان هناك من يرى أن حكومة مبارك ظالمة، فإننا نرى من ينكر وجود الله، وبعض الناس قتلوا الأنبياء، وهكذا.. كل إنسان يعبر عن هواه ومصالحه، ولكن الكثرة من المصريين - مسلمين ومسيحيين - لا ترى هذا الرأى لأن الواقع يكذبه.

وقال الدكتور صموئيل حبيب: إننا نتطلع إلى السلام، ونستعد للقرن القادم بالتفاهم بين الأديان. والمسلمون والمسيحيون فى مصر يتعاونون معا، والأديان السماوية بريئة من الإرهاب. والشعب المصرى يعيش فى مناخ حرية لم يكن متاحا بهذا القدر فى أى مرحلة سابقة.

وسأل صحفى مصرى (أحمد نصر سعيد): ما رأى المفتى فى الدولة الدينية؟

وقال المفتى: نحن فى عصر التخصص، رجل الدين له تخصص، ورجل السياسة له تخصص، ولا يصح أن يدس رجل السياسة أنفه فى دقائق الشئون الدينية، كذلك لا يصح أن يدس رجل الدين أنفه فى دقائق الشئون السياسية ، وإنما هناك مجال للتعاون بين الاثنين، وبذلك يتحقق التكامل بين الدين والسياسة.

وقال مندوب صحيفة الوطن الكويتية (محمود شمام): ماذا عن إرهاب المؤسسات فى مصر، والأزهر يتدخل بمصادرة الكتب؟

وقال المفتى: الأزهر لا يصادر، وإنما الذى يملك حق المصادرة هو المحاكم وحدها، ومصر كغيرها من الدول الديمقراطية تحترم أحكام القضاء، وحرية العقيدة فى مصر مكفولة، والمسلمون والمسيحيون ينشئون الكنائس والمساجد كل يوم وفى كل مكان فى حدود ما تنظمه القوانين.

وسألت مندوبة صحيفة الرياض السعودية (آمال ميد البالى): ما رأى فضيلة المفتى فى الشيخ عمر عبد الرحمن وأجاب فضيلة المفتى أن تقاليدنا ألا نتحدث عن أمر معروض أمام القضاء ونحن نحترم القضاء. وسألت مندوبة صحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية: هل إذا تحققت حرية الأديان فى القدس تقبلون أن تكون عاصمة لإسرائيل؟

وقال المفتى: المسجد الأقصى مكان مقدس بالنسبة للمسلمين، ولا نقبل إلا أن يكون للمسلمين بكل معانى الكلمة، ولا تكون لإسرائيل أية سيطرة عليه، أما الوضع السياسى للقدس فهذا من شأن القادة السياسيين والرئيس ياسر عرفات.

ولا أستطيع أن أنسى المجهود الكبير الذى بذله القس الدكتور فيكتور مكارى المسئول عن علاقات الشرق الأوسط فى الكنيسة المشيخية بأمريكا، وهو مصرى وأمريكى الجنسية، وقد ظل يعمل لتنظيم الرحلة بدقة ليلا ونهارا دون تعب، وتولى الترجمة من وإلى الإنجليزية بكل دقة، ولا أنسى بوب ستردرد الأمريكى مدير منظمة «الأيدى» للخدمات الاجتماعية لمصر، وكان منظما فوق العادة لهذه الرحلة.

✿✿✿

ليس هذا تسجيلا كاملا لما دار من حوارات.. ولكنه فقط جزء منها، ويضيق المقام عن ذكر الباقى.

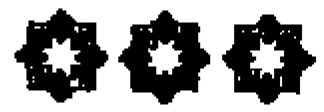
ولكن المهم أن نصل إلى مجموعة حقائق مهمة أدركتها من هذه الرحلة بغاية الوضوح:

أولا: أن الأمريكيين مهتمون بالإسلام، لأنه ينتشر فى أمريكا ، وهناك تصور بأنه قد يصبح الديانة الثانية فيها. ومن الممكن أن يصبح هو الديانة الأولى فى القرن القادم ويحكم أمريكا.. ولذلك فهم يريدون معرفة حقيقته، ولا يجدون المصادر الصحيحة لذلك.

ثانيا: إن هناك شعورًا عاما لدى الأمريكيين بأن الإعلام الأمريكى ليس منصفا فى عرضه وتناوله للإسلام، ولكنهم لا يعرفون. ما يفعلون لاختراق هذا الحصار الإعلامى، وهذا واجب الدول الإسلامية.

ثالثا: إن أمريكا مجتمع مفتوح، يمكن لكل أصحاب رأى أن يعبروا فيه عن آرائهم بحرية. ويجدوا من يتعاطف أو يرفض، ومن واجب المسلمين أن يقيموا جسورا من الثقة بينهم وبين الرأى العام الأمريكى.

وهذا حديث يطول..



واجب الدول الإسلامية الآن

يتزايد اهتمام الغرب بالإسلام بدرجة ملحوظة فى هذه الأيام .. يبدو الاهتمام فى صورة الهجوم عليه واعتباره الجديد للغرب بعد اختفاء الشيوعية التى كانت تمثل ايديولجية متكاملة تريد التوسع والانتشار والسيطرة على العالم والآن يظهر الإسلام كقوة وايديولوجية تريد الانتشار والسيطرة على العالم بنفس المنطق والأساليب التى كانت تتبعها الشيوعية .

هكذا يقول أنصار هذا الاتجاه فى الغرب ، وهم ليسوا قلة ، وهم يحشدون بالحق وبالباطل أدلة وأسانيد تؤيد وجهة نظرهم ، وأقواها ظهور جماعات الإرهاب والعنف التى تخرب فى بلاد المسلمين وفى بلاد الغرب على السواء رافعة رايات الإسلام ، ومدعية أنها تمثل الإسلام بوجهه الحقيقى .. ولو كان هو الوجه الحقيقى للإسلام فمن حق العالم أن يشعر بالقلق الشديد منه ..

ويبدو أن أصحاب هذا الاتجاه يزداد عددهم ، حتى أن سكرتير عام منظمة حلف الأطلنطى ، لم يراع اعتبارات منصبه فاندفع فى التحذير من انتشار الإسلام لأنه يعنى انتشار الهمجية والفوضى بما فيها من خطر شديد على حضارة الغرب ولم يكن وحده .. فهناك تصريحات كثيرة .. لعل أشهرها نظرية «نهاية التاريخ» التى وضعها الباحث الأمريكى ميشيل فوكوياما واشتهرت بسبب ما توصل إليه فى نهاية بحثه من أن الصراع القادم سيكون بين الحضارة الغربية وبين الإسلام .. ومنها أيضا ما كتبه الرئيس الأمريكى السابق ريتشارد نيسكون عن الإسلام من أنه خطر زاحف يجب أن يحتاط الغرب لنفسه منه .. وغير ذلك كثير ليس مجال عرضه الآن ..

ولكن القضية الآن هى أن العالم الإسلامى يجب أن يتنبه جيدا ، ويدرك أن هناك نظرية جديدة يتم بناؤها والإقناع بها يوما بعد يوك بصبر شديد ، وفى كل يوم يتصيد أصحاب هذه النظريات أحداث العنف التى تجرى فى أى مكان من العالم باسم الإسلام ليؤكدوا صدق نظريتهم .. كما أنهم يجمعون بصبر ودأب لا يخطر على بالنا كل ما يكتب وما يقال عن الغرب ، أو عن غير المسلمين «على ألسنة متسرعة» أو بأقلام غير متخصصة وغير مسئولة ليقدموا أدلة على أن الفكر الذى يحرك التيار الإسلامى الراديكالى الجديد ليس إلا نوعا جديدا من أنواع الفكر الفوضوى، يحمل دعوة إلى التخريب والقتل والعدوان وعدم احترام الآخر ، ورفض مبدأ حرية الفكر ، ورفض قيمة العقل الذى يمثل حجر الزاوية فى الحضارة الغربية .

وليس الغرب كله اتجاها واحدا ، ومن الخطر أن نقع فى التعميم فنتصور أن صورة الإسلام قد أصبحت مشوهة فى كل أنحاء العالم الغربى، وأن هذا التشويه يمثل خطة ، أو مشروعا معاديا ، أو فلسفة تتبلور لتبرير العدوان على الإسلام والمسلمين .. قد يكون فى الأمر شىء من ذلك لدى بعض المتعاملين مع القضية.. ولكنه ليس كذلك مع الجميع ..

وحين التقيت مع مجموعات كبيرة من المسلمين وغير المسلمين الذين يمثلون مختلف الاتجاهات والمستويات فى الولايات المتحدة أثناء مصاحبتى لفضيلة المفتى فى جولته فى بعض الولايات الأمريكية اكتشفت بما لا يدع مجالا للشك أن المسلمين مقصّرون فى عرض دينهم بالصورة التى تناسب العقلية الغربية .. وفى نهاية القرن العشرين .. فى عصر أصبح فيه من المستحيل قبول أى تشكيك أو استهانة فى قيمة العلم .. والعقل .. والحريات .. واكتشفت أن أكثر الباحثين .. وأغلبية الناس العاديين يشاهدون على شاشات التليفزيون أحداث القتل والعدوان التى تتم من

جماعات تدعى أنها تمثل الإسلام ولا يجدون من يشرح لهم إن كان ذلك هو الإسلام حقا أم أن هذه الجماعات تمثل تيارا آخر.. وما هو هذا التيار .. وما هى أصوله .. ولماذا اختار الظهور فى ثياب الإسلام .. ولماذا أصبح الحكم على المسلم بأنه (كافر) سهلا بحيث يستطيع مجموعة من الشباب أن يصنفوا المسلمين .. فيحكموا على هذا بالكفر .. وعلى هذا بالإيمان .. وهذا شىء لا يستطيع الغربيون أن يفهموه ..

اكتشفت أيضا أن معظم الجهود التى تبذلها المنظمات الإسلامية فى الولايات المتحدة هى جهود محدودة ، وروتينية ، ولا يتعدى نطاق تأثيرها مساحات صغيرة من الأرض ، وعددا قليلا من الناس ، والمسألة تحتاج إلى جهد أكبر لابد أن تقوم به الدول الإسلامية جميعها ، وأن تضع سياسة لإيفاد المفكرين الإسلاميين القادرين على عرض حقائق الدين الإسلامى بصورة تقنع أهل الحضارة الغربية الذين يتعاملون يوميا مع أحداث منجزات العلوم والتكنولوجيا .. ويرون بأعينهم أنهم وصلوا إلى القمر .. وحققوا طفرات علمية جعلتهم لا يقتنعون إلا بما يعتمد على فكر واضح ، وعلى مقدمات منطقية سليمة تقود إلى نتائج سليمة .. ولا يصدقون إلا ما يقوم عليه دليل من الواقع .. ولا يستطيعون أن يفصلوا بين الإسلام كفكر .. ونظرية .. وبين المسلمين كما يرونهم من خلال سلوكهم وفكرهم واستجاباتهم للواقع ولمعطيات الحضارة ..

واكتشفت أيضا أن الإسلام له فى الغرب أصدقاء كثيرون .. لديهم الاستعداد والقدرة على تقديم يد العون لمن يريد أن يعمل على توضيح حقائقه .. ولكنهم ينتظرون أن تكون الخطوة الأولى من أصحاب القضية أنفسهم .. لأن تقصير أصحاب الشأن لا يعطى فرصة لمن يريد مساعدتهم .. ولأن منطق الغربيين هو إنهم لا يستطيعون مساعدة من لا يساعد نفسه .

واكتشفت كذلك أن هناك جماعات قائمة فى الولايات المتحدة وفى دول غربية كثيرة يشارك فيها علماء الأديان ومجموعات من صفوة المثقفين ،

وأساتذة اللاهوت ، ورجال الدين ، وهدف هذه الجماعات عقد لقاءات مع نظرائهم من المسلمين فى حوارات هدفها أولا التعرف على حقيقة الإسلام الذى يقدمه البعض على أنه دين العنف والعدوان ، ويقول البعض إنه ليس كذلك ، دون أن تتاح فرصة المناقشة ، والفحص ، والدخول فى تفصيلات وأعماق العقيدة والشريعة الإسلامية واستعراض مجمل التاريخ الإسلامى وتحليل الواقع الإسلامى الآن لكى يخرجوا من محصلة ذلك بصورة متكاملة ، وواضحة ، ودقيقة لحقيقة الإسلام ..

هؤلاء يريدون أن يعرفوا .. ويتعرفوا .. ولكنهم لا يجدون الاستجابة الكافية من جانب المنظمات والمؤسسات الإسلامية .. وإذا كانت جولة فضيلة المفتى قد حققت أثرا كبيرا .. فلا يزال هناك مجال واسع للعمل يحتاج إلى جهد جماعى .. ومنظم .

من هنا أقول إن الدول الإسلامية جميعها يجب أن تتحرك .. لتشكل هيئة جديدة للدفاع عن الإسلام .. أن توكل هذه المهمة إلى جهة بعينها وتشارك كلها فى دعم هذه الجهة .. وأعتقد أن الأزهر الشريف مؤهل للقيام بهذه المهمة .. كما يمكن أن تشكل «مجموعة عمل» يقودها فضيلة المفتى وهو أقدر من يقوم بهذه المهمة .

وهذا موضوع كبير يستحق أن ننشغل به .. بدلا من أن نهمله ثم نبكى على ما صار إليه الحال بإهمالنا .

✿✿✿

الحوار الإسلامى المسيحى

زار القاهرة عام ١٩٩٥ كبير أساقفة كانتربرى ، وهو شخصية دينية لها دورها الكبير فى العالم المسيحى ، وفى مجلس الكنائس العالمى ، وهو رأس الكنيسة البريطانية التى لا يزال لها تأثير كبير فى تشكيل الرأى العام ، والقضية التى يثيرها كبير الأساقفة فى هذه الزيارة هى التأكيد على أهمية الحوار بين الأديان ، بهدف إيجاد مساحة للفهم والتفاهم بين أهل الأديان السماوية الثلاثة ، وهو يشجع كل جهد يمكن أن يؤدى إلى نجاح الحوار بين الإسلام والمسيحية بالذات ، بعد أن تعرض الإسلام إلى حملة تشويه فى الغرب مقصودة ومتعمدة ، أساءت إليه كدين ، وإلى أهله أيضا .

ولقد ساعد على نجاح تشويه صورة الإسلام فى الغرب أن الإسلام لا ينتمى إلى أوروبا ، بل أن الأوروبيين ينظرون إليه كدين غريب ، وقد يرتبط فى أذهانهم بالغزو والاحتلال العثمانى لبعض أجزاء من أوروبا ، كما أن، الإسلام لا ينتمى إلى الدول الصناعية الكبرى والمتقدمة مثل اليابان ، ولكنه ينتمى إلى دول ما زال أكثرها متخلفا اقتصاديا وحضاريا ، ولم يعرف الغرب الإسلام إلا من خلال نماذج سيئة لحكام أساءوا إليه بسلوكهم السفيه ونظامهم الديكتاتورى وفكرهم الجامد .. فكان شاه إيران .. ثم الخمينى .. وغيره .. وزاد الطين بلة أن بعض المسلمين يتحدثون كثيرا عن «الجهاد» على أنه العداء للغرب والعدوان على غير المسلمين ، واغتصاب أموالهم وأعراضهم ، مما ربط فى الذهن الغربى بين الإسلام والهمجية .

وبين الحين والحين يظهر فى الغرب ، أو فى العالم الإسلامى ، من يصورون الإسلام على أنه مصدر إزعاج وخطر للعرب ، بل وأنه يمثل

تهديدا للحضارة الغربية ، ويبدو فى بعض الكتابات الغربية عدم التفهم وبالتالى عدم الاحترام للحضارة التى تنتمى جذورها إلى الإسلام ، وبعض هذه الكتابات تصور العالم الإسلامى على أنه أرض الهمجية والعداء للحضارة والتقدم وأرض البترول.. وبالنسبة للمواطن الأوروبى العادى فإنه لا يستطيع أن يفرق بين السلوك الإسلامى فى هذا العصر بما فيه من تشويش وتداخل عناصر غريبة عليه ، وبين الإسلام كعقيدة تحترم الأديان جميعا ، وترسى قواعد التقدم واحترام حقوق الإنسان .

وبصرف النظر عن العلاقة الوثيقة التى كانت بين أكثر المستشرقين الذين كتبوا عن الإسلام وعرضوا مبادئه للعالم غير الإسلامى ، وبين الإدارات الاستعمارية وأجهزة المخابرات والجماعات السرية المعادية للإسلام ، وما يعرفه الجميع عن الدور الذى قام به البحث العلمى غير المحايد وغير النزيه الذى قام به كثير من المستشرقين وبين غزو الغرب للعالم الإسلامى واحتلاله .. والمثال الذى يضرب دائما هو مثال المستشرق الهولندى المقدم سنى سنوك هيرجرورنج الذى استغل الثقة التى أعطاها له المسلمون فى أندونيسيا فى تخطيط وتنفيذ الحرب الهولندية الوحشية ضد المسلمين فى أندونيسيا وسومطره، وأمثلى أخرى كثيرة عن مستشرقين لهم بحوث تبدو فى ظاهرها علمية ومحايدة وموضوعية عن الإسلام، بينما هم فى حقيقتهم مستشارون أو موظفون فى أجهزة أو شركات متعددة الجنسيات أو ينفذون مخططات موضوعة للإساءة إلى صورة الإسلام .

والمرارة التى يشعر بها المسلمون لا حدود لها كلما تابعوا ما ينشر ويقال عن الإسلام فى الولايات المتحدة ، أو بريطانيا ، أو فرنسا ، أو ألمانيا ، أو غيرها .. وما يلاقيه المسلمون فى دول الغرب من تفرقة وتمييز فى المعاملة ، ومن كتابات تردد أن الإسلام هو الخطر القادم الذى يهدد الحضارة الغربية ، وإن الصراع الكبير الذى سيفرض على العالم الغربى هو صراع ضد

الإسلام ، دفاعا عن الحضارة والتقدم والعلم وإنجازات العقل التى حققها الغرب من موجات البربرية الجديدة التى ترى أن تدمير هذه الحضارة جهاد فى سبيل الله .. فالمسلمون الآن فى نظر بعض الكتابات الغربية هم التتار الجدد ! !

وعندما قام فضيلة المفتى بجولته فى الولايات المتحدة فى يناير عام ١٩٩٦ ، كانت بداية كل حوار معه اعترافا من الأمريكيين بأن صورة الإسلام تتعرض للتشويه فى الإعلام «التليفزيون والصحافة» وفى السينما والأدب والأعمال الثقافية بشكل عام .. حتى نائب الرئيس الأمريكى آل جور قال ذلك صراحة لفضيلة المفتى .. وقاله أعضاء فى الكونجرس وقادة للكنائس الإنجيلية ورجال فكر وأساتذة جامعات .

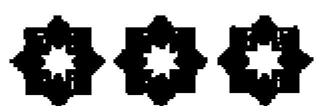
وفى الغرب الآن محاولات لتبرير هذا التشويه بأنه نتيجة طبيعية للإرهاب الذى ظهر وانتشر فى العالم الإسلامى ، رافعا شعارات إسلامية ومعلنا أنه الممثل الحقيقى والوحيد للإسلام ، وما يقوم به هذا الإرهاب من عمليات قتل وسرقة وتفجير ، وما يبدو فى سلوك المؤمنين به من غلظة وهمجية .. وحتى الآن لم تتضح فى الذهن الغربى الحقيقة ، وهى أن هذا الإرهاب لا علاقة له بالإسلام ، إلا أن أعضاء هذه العصابات من المسلمين ، ويتخذون غطاء دينيا مزيفا، وأمثالهم موجود فى الولايات المتحدة وألمانيا واليابان وبريطانيا .. جماعات تعلن أن مبادئها دينية وهى فى حقيقتها معادية للأديان ، ولها أهداف إجرامية ، مثل كل جماعات وعصابات الجريمة فى كل أنحاء العالم ؛

وبالرغم من عمق الشعور بالمرارة لدينا مما نراه ونقرأه مما يحدث ويكتب فى الغرب ، إلا أننا نرحب بزيارة كبير أساقفة بريطانيا، ونرحب بدعوته للحوار ، والحمد لله أن لدينا فى جامعة الأزهر مركزا علميا متخصصا لهذا الحوار ، وله علاقات مع عدد من المراكز المماثلة المسيحية فى بريطانيا

وغيرها، وسوف يجد كبير الأساقفة أثناء لقائه بالبابا شنودة والقس صموئيل حبيب رئيس الطائفة الإنجيلية ومع قيادات الكنيسة الإنجيلية البريطانية فى مصر أن الإسلام فى جوهره وفى سلوك أبنائه الحقيقيين دين السماحة ، والأخوة بين البشر جميعا ، كما أنه دين لبناء حضارة إنسانية متكاملة ، وإقامة عالم يسوده السلام ، وأن أيدى المسلمين دائما ممدودة للتعاون على البر والتقوى، وليس على الإثم والعدوان ، كما أمرهم الله .

وإن كان موضوع الحوار الإسلامى المسيحى يحتاج إلى دراسات متعمقة ، إلا أن البدء فيه ضرورى الآن لكيلا يزداد اللبس والتشويه للإسلام ، وكل ما هو مطلوب أن يشارك فى هذا الحوار من ليس لديهم انحياز أو عداء مسبق للإسلام، والذين يشاركون فى الحوار بعقول مفتوحة .

ولسنا بحاجة إلى القول بأن هدف هذا الحوار ليس تحويل أهل دين إلى دين آخر .. أو إقناعهم بالدخول فيه ، ولكن هدفه أن يفهم أهل دين الدين الآخر ، وينظرون إليه باحترام .. ويحترمون مساحات الاتفاق والاختلاف .. فالاتفاق هو أرضية للتعاون .. أما الاختلافات .. فإن الله وحده - وليس أحد من البشر - هو الذى يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون .



الفصل الرابع

- فكر جديد لمواجهة الإرهاب .
- هل يمكن أن يهزمنا الإرهاب؟!
- من الذى يواجه الإرهاب ؟!
- مواجهة الفكر المتطرف .

فكر جديد لمواجهة الإرهاب

أصبحت القاهرة الآن أكثر عواصم المنطقة ازدحاما بالمراسلين الأجانب.. وهم يتابعون بكل دقة ما يجرى فى كل مكان فى مصر ، ويرصدون أبسط التفاصيل ، ويركبون منها صورة متكاملة لنبض الحياة المتدفق فى العاصمة المليئة بالحيوية ، التى تشارك بالدور الأول فى صياغة مستقبل المنطقة كلها ..

وخلال الأيام الماضية أتيح لى أن ألتقى مع بعض الصحفيين القادمين لمتابعة الأحداث عن قرب ، ومن تعليقاتهم وملاحظاتهم رأيت دهشتهم من تدفق مشاعر المصريين بعد محاولة اغتيال الرئيس مبارك فى أديس أبابا بكل هذه القوة التى لم يحدث لها مثيل ، ورأينا من جانبنا أنه أمر طبيعى . ولكنه كان بالنسبة لهم ظاهرة تلفت الأنظار وتحتاج إلى تحليل ..

قال لى أحدهم إن متابعتنا فى بعض صحف المعارضة عندكم جعلتنا نظن أن المصريين انحاز معظمهم إلى المعارضة .. وأن النظام يواجه عزلة كما قالت ذلك العناوين الرئيسية المتكررة لإحدى الصحف ، ولكن ما حدث بعد المحاولة أثبت أن النظام أقوى مما يتصور الجميع ، وأن مخزون الحب لمبارك يشمل مصر كلها دون استثناء ، حتى المعارضون وجدناهم فى مقدمة الرافضين للمحاولة ، وكان تعبيرهم عن الرفض صريحًا فى التمسك بزعامة مبارك والثقة فيه ..

أما الشارع المصرى فكان كله كيانًا واحدًا خلف مبارك ..

وقلت إن هذه هى مشكلتنا معكم ..

أنتم تقرأون صحف المعارضة هذه وتتصورون أنها تعبر عن تيار سياسى . أو عن تجمع له قيمة ، أو تمثل قطاعا لـه وزن مـن قطاعـات الـرأى العـام المصرى .. وهـذا غـير صحيـح .. فـالقراءة الصحيحـة للحيـاة السياسـية واتجاهات الرأى العام فى مصر لا تكون عن طريق هذه الصحف بـالذات .. لأنها صحف محدودة التأثير جدا ، ولا أريد أن أقول إنها عديمة التأثـير . والذين يقرأونها يفعلون ذلك فقط بدافع الفضـول لـيروا مـاذا تقـول .. وهـم يعلمون سلفا أن ما فيها مبالغات ، وأحداث مختلقة، ومحاولات للإثـارة ، وليس فيها فكر حقيقى .. هذه صحافة فقدت مصداقيتها منذ وقت طويل.. وأكثر من ذلك أن أكثر الذين يكتبون فيها لا يعـبرون عـن رأى عـام بـل لا يعبرون عن رأيهم هم.. ولكنهم يختلقون معـارك ويبـالغون فيـها ، وكـانت النتيجة أن أصيب الناس بالملل من هذه الصحف ومن هؤلاء الكتاب ..

ومع ذلك فهناك صحف معارضة أخرى محترمة .. وفيها أقلام تعبر عن آراء نزيهة وحرة وبناءة .. وحتى لو تجـاوزت فـهى لا تخـرج عـن الإطـار المقبول .. ولكن إلى أن ينظر إلى الأمور من الخارج قد يرى الصورة على غير حقيقتها .. وقد يتصور بعض المسائل بغير حجمها الحقيقى .

يلفت نظرهم أيضا أن الدولـة لم تتصـرف بعـد الحـادث بعصبيـة ، ولم يلمس المراقبون تشنجا أو اهتزازا فى السلوك .. ولكـن الجميـع كـانوا مثـل الرئيس مبارك نفسه .. الذى أذهل العالم بهدوئه .. وبمـا كشـف عنـه فـى داخله من الثقة بالنفس والقدرة على رؤيـة الأمـور ببصـيرة .. وقـد انعكـس ذلك فى أداء كل الأجهزة وبخاصة الإعلام ..

❁❁❁

وإذا كان المثل القديم يقول : «جزى الله الشدائد كـل خـير .. عرّفتنـى صديقى من عدوى» فإن لحظة الشدة التى مر بها الشعب المصـرى بحـادث أديس أبابا تمثل نقطة تحول مـن المسـار العـام للتفكـير والعمـل العـام ، أو

هكذا ينبغى أن تكون .. لأنها ليست مجرد محاولة اغتيال فشلت وانتهى الأمر .. ولو فكرنا بهذه الطريقة نكون مخطئين .. وإذا استأنفنا حياتنا بنفس الطريقة ونفس الأسلوب كما كانت قبل الحادث كأن شيئا لم يحدث، نكون قد أضعنا فرصة ذهبية نادرة..

أولا : لابد أن نستفيد من هذه الروح التى استيقظت فى مصر كلها بعد الحادث .. وواجبنا أن نبقى عليها يقظة ومتوثبة .. لكى يشعر كل مصرى أنه فى خطر .. وأن وطنه فى خطر .. وأنه يجب أن يجند نفسه حارسا لبلد.. ورافضا للمؤامرات التى تحاك له .. وبعد أن أثبت المصريون استعدادهم للتضحية من أجل وطنهم – ولم يكن ذلك غريبا – فلابد أن توجه هذه الطاقة نحو عمل سياسى واجتماعى وحضارى منظم لإعادة بناء مصر .. وهذا ما نقصده حين ندعو إلى «مشروع قومى».. لا نقصد إقامة مشروع زراعى أو صناعى كبير.. ولكن نقصد أن يلتف المصريون حول فكرة محورية .. حلم مصرى .. وللشعوب الحية حلم كبير يستوعب الجميع .. ويجعلهم وحدة مهما اختلفوا .. وأول ما يتبادر إلى الذهن «الحلم الأمريكى» الذى يتحدث عنه كل طفل وكل امرأة وكل رجل فى أمريكا .. أن يساهم فى إقامة وطن حر يكفل الحرية لكل إنسان يعيش فيه .. ويعطى الفرصة للتقدم لكل فرد .. ويفتح باب الأمل أمام كل أمريكى .. الحرية .. والفرصة .. والأمل .. ثلاث علامات على طريق كل أمريكى ببلده..

ونحن أيضا نحتاج إلى حلم كبير لكل مصرى .. صورة أو هدف يتفق عليه الجميع .. وينطلق الكل من أجل تحقيقه .. ويلهب المشاعر .. ويوحد الأفكار.. ويجعل كل فرد يشعر أن له دورا.. وأن له مكانا .. وعليه رسالة .. أن له حقا.. وأن عليه واجبًا .. هذا المشروع القومى هو عمل سياسى بالدرجة الأولى.. ولذلك فهو من اختصاص السياسيين .. والتنظيمات الدستورية والشعبية .. والمفكرين .. والباحثين .. والشعراء ..

والكتاب .. إلى أن نصل إلى بلورته ليلهب مشاعر وخيال كل شاب وشيخ.. ويجعله يتحمل كل تضحية من أجل تحقيقه .. ومن الممكن أن يبادر الحزب الوطني بالخطوة الأولى .. كما أن أحزاب المعارضة الجادة يجب أن يكون لها أيضا دور فى كل مراحله ..

هذا أولا ..

❁❁❁

وثانيا : إن الطلقات التى دوت فى أديس أبابا لابد أن توقظ الجميع إلى أن الإرهاب الدولى وصل إلى مرحلة لا يمكن السكوت عليها.. فهناك دول تمارس الإرهاب ، وتموله ، وتخطط له ، وتقود عملياته ، وتدرب مجموعات المجرمين والمغامرين وتغدق عليهم الأموال ، وتوافر لهم السلاح الذى لا يتوافر عادة إلا للجيوش.. وهذا يطرح قضية «إرهاب الدولة» ومسئولية المجتمع الدولى.. أين المنظمات الدولية؟ وأين تكتلات الدول الرافضة للإرهاب لكى تقف أمام مخططات الدول التى تمارس الإرهاب؟ ومصر لابد أن تحرك وتنشط هذا المحور الدولى .. ولديها فى هذه الفترة جهاز دبلوماسى نشط وناجح ولديه رؤية ناضجة وقدرة على العمل والتأثير على المستوى الدولة ، ويحظى باحترام جميع الدول ..

وقد سبق أن عقدت الدول الكبرى مؤتمر قمة فى طوكيو فى عام ١٩٨٦ واتخذت قرارات بمنع تصدير الأسلحة إلى الدول التى تساند الإرهاب ، وبفرض الرقابة على تنقلات رعايا هذه الدول حتى لو كانوا دبلوماسيين ، وحظر دخول أى شخص سبق طرده من بلد آخر لسبب يتصل بالإرهاب ، وزيادة التعاون لتبادل المعلومات بين الأجهزة للإنذار مبكرًا بكل تهديد قائم أو محتمل .. وتقييد حجم البعثات الدبوماسية للدول المساندة للإرهاب وإلغائها إذا اقتضى الأمر..

وكان هذا المؤتمر بالذات علامة فاصلة ، لأنَّ أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وكندا واليابان اتفقوا فيه على أن تتعاون المنظمات الدولية للطيران المدنى ، والمنظمة البحرية الدولية ، فى توسيع الإجراءات والتدابير لمكافحة الإرهاب ومن يساندونه .. سواء كانوا أفرادًا أو حكومات .. ووضعوا خططا لتسليم المجرمين المطلوبين للتحقيق أو المحاكمة فى قضايا الإرهاب ، وتشديد الرقابة على إجراءات الهجرة وتأشيرات الدخول لرعايا الدول التى تساند الإرهاب ، وإيجاد صلات للتعاون بين أجهزة الشرطة فى هذه الدول..

كل هذه القرارات والإجراءات نفذتها هذه الدول بكل دقة منذ عام ١٩٨٦ حتى الآن لحماية نفسها من الإرهاب .. ولكنها لم تهتم بتوسيع نطاق التعاون فى هذا التنفيذ مع الدول الأخرى .. وهذا يدعونا إلى محاولة الدخول مع هذه الدول فى تنفيذ هذه القرارات .. كما يدعونا إلى المطالبة باتخاذ إجراءات مماثلة مع الدول العربية المعتدلة التى لا ترعى الإرهاب ، ولا تتطوع بإيجاد المبررات أو تقديم الغطاء الشرعى له .. وكذلك مع الدول الأفريقية .. ومصر بالذات هى التى تستطيع أن تقود هذا التحرك لكى تحاصر الإرهاب الدولى وتقطع عليه طرق الدعم والإمداد .. وإذا كان صحيحا ما يقال من أن مقاومة الإرهاب على المدى الطويل لا تحقق نجاحا حاسما بزيادة الإجراءات البوليسية ، ولا بالردع وحده، ولكن بأن يسبق ذلك علاج القضية سياسيًا ، بالعملِ على اقتلاع جذور الإرهاب ، وتغيير المناخ الذى يساعد على ظهور ونمو الإرهاب ، بالبحث فى الأسباب الحقيقية والتوصل إلى العلاج الصحيح .. فإن التصدى للإرهاب فى المدى القصير يقتضى مزيدا من الحسم من جانب الدولة .. وهذا يعيد من طرح موضوع قانون الإرهاب الذى كان قد شغلنا لفترة ثم توقف التفكير فيه .. ظنا منا أن قانون الطوارىء يكفى ويغنى عن إعداد قانون خاص للإرهاب..

لأن الإرهاب كما ظهر أمامنا فى أديس أبابا – ليس نشاط فرديا .. ولكنه نشاط مجموعات .. ودول .. ومنظمات .. وأجهزة ..

وهناك تحذيرات كثيرة لم ندرك أهميتها فى الوقت المناسب ..

✿✿✿

هناك تحذيرات منذ سنوات بأن الثورة الإيرانية كانت نقطة تحول من إرهاب الجماعات إلى إرهاب الدولة ، وهى التى جعلت الإرهاب بديلاً عن إعلان الحرب على دول معينة ، فالإرهاب هو أحدث صورة لنظرية الحرب المحدودة .. ولذلك يحتاج إلى مجهود دولى.. أين الجامعة العربية؟ وأين منظمة الوحدة الأفريقية؟ أم أن الإرهاب أصبح الآن تجارة عالمية .. هناك آلاف من المرتزقة أصبح الإرهاب مصدر رزقهم .. بل مصدر ثرواتهم .. وليس فى العالم من لا يعرف اسم (كارلوس) أخطر إرهابى فى العالم.. الذى قبض عليه أخيرا بعد أن ظلت الدول الكبرى والصغرى تكتوى بناره ولا تعرف مقر إقامته.. ثم أمسكوا به فى الخرطوم .. وهناك عشرات من أمثال كارلوس لا يمثلون مجرد قادة لمنظمات إرهابية .. ولكنهم فى الحقيقة أكبر من ذلك .. بفضل ما يحصلون عليه من مساعدات دول تنفق آلاف الملايين من الدولارات على تمويل منظمات وعمليات الإرهاب..

وهناك دول أصبحت تعتمد فى دخلها على مصادرها من تنظيم وتدريب الإرهاب وإقامة قواعد ومعسكرات له فى أراضيها .. ولا داعى لذكر أسماء هذه الدول الآن..

القصة طويلة ..

لكن ما يعنينا هو : أين قانون الإرهاب. ؟

لقد وافق مجلس الشيوخ الأمريكى منذ أسبوعين تقريبا على قانون لمكافحة الإرهاب داخل أمريكا وخارجها .. ويخصص فيها ١٨٠٠ مليون

دولار لمكافحة الإرهاب .. ويعطى القانون الحكومة الأمريكية الحق فى التنصت على المكالمات التليفونية.. وترحيل الأجانب .. وعدم إعطاء تأشيرة دخول .. ويسمح بتدخل قوات الجيش الأمريكى لمواجهة أية مخاطر محلية .. ويسمح أيضا باستخدام الأسلحة البيولوجية والكيماوية .. إلى هذا الحد وصلت أمريكا فى محاربتها للإرهاب .. فهى تحارب الدول التى تمتلك أو تستخدم الأسلحة البيولوجية والكيماوية .. ولكنها تعطى لنفسها الحق فى استخدامها صراحة .. وعلنا .. وبالقانون.. لحماية نفسها وشعبها من الإرهاب..

فلماذا فعلنا نحن ؟

قلنا إننا نحتاج إلى قانون يعطى سرعة أكبر فى الإجراءات بالنسبة لرجال الأمن تسمح لهم بقطع الطريق على الإرهاب فى الوقت المناسب وإجهاض جرائمه قبل أن تقع .. وتكون العقوبات لجرائم الإرهاب رادعة أكثر من المواد المطبقة حاليا.. التى تستند إلى قانون العقوبات العادى .. وقلنا إن محاكمة الإرهاب تحتاج إلى محاكم خاصة بهذه الجرائم وقضاة متخصصين .. وقلنا إن هذا القانون ليس بدعة .. لأن ألمانيا فيها قانون خاص للإرهاب .. أمريكا .. ودول العالم المتقدمة كلها تقريبا.. فلماذا نتلكأ نحن؟

وليس هذا كل شىء ..

❁❁❁

لابد أن يعرف كل مصرى طبيعة العلاقة بين الإرهاب والجريمة المنظمة، لكيلا ينخدع بالشعارات والأقنعة وادعاءات الدفاع عن الشريعة وقد تكون هذه العلاقة واضحة فى أذهان الصفوة ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لملايين المواطنين..

فالدول الكبرى تحذر مواطنيها الآن من «الجريمة المنظمة العابرة للقارات» وعقدت لها مؤتمرا مهما فى مدينة نابولى الإيطالية فى نوفمبر من العام الماضى فى إطار الأمم المتحدة .. اشتركت فيه ١٣٨ دولة ، وظهرت فى هذا المؤتمر فكرة وضع معاهدة دولية لمكافحة الجريمة ، كما ظهر اتجاه إلى تشجيع الدول على عقد معاهدات واتفاقيات ثنائية لمحاربة الجريمة المنظمة أو تشديد العقوبات الجنائية فى التشريعات الوطنية لردع الخارجين على القانون .. وكشف مصادر تمويل عمليات الإرهاب عن طريق كشف التعاملات والتحويلات المصرفية والمالية، بعد أن بلغت قيمة تحويلات المافيا الدولية أكثر من ٧٥٠ مليار دولار من التجارة فى الأسلحة ، والمخدرات ، وثروات رءوس الإرهاب الدولى.

لابد أن يعرف كل مصرى أن موضوع الإرهاب موضوع كبير ، وخطير ، وأنه لابد أن يكون يقظا لكل ما يقال له ، وكل ما يحدث له ، أو لابنه ، أو لأحد معارفه .. بعد أن تقدمت أساليب التجنيد ، واتخذت غطاء عقائديا يسهل به التأثير على السذج وذوى الثقافة الدينية المحدودة..

❁❁❁

والبداية فى قضية الإرهاب هى «العقل» ..

الإرهاب يبدأ فى العقول ..

الإرهاب يستهدف فى الأساس اختلال العقول والسيطرة عليها .. ولذلك لابد أن ندقق فى اختيار كل ما يسهم فى صياغة العقول .. والثقافة .. والفكر الدينى.. والإعلام .. والتعليم..

وموضوع الثقافة يطول فيه الحديث ولكننا حتى الآن لم نعمل كما ينبغى لنشر ثقافة إيجابية بناءة .. لم نصل إلى كل شاب وكل فتاة فى مرحلة التكوين لنتعرف على ما يدور فى عقولهم من أسئلة ونقدم لهم عنها

إجابات صحيحة ومقنعة .. لم نبلور فلسفة واضحة تملأ عقول الشباب .. وتعطيهم الأمل .. وتجعلهم يرون صورة الغد بوضوح لكى يعملوا من أجله . لم نقدم لهم فرصة لكى يخدموا بلدهم، واكتفينا بتكرار دعوتهم لخدمة الوطن دون أن نحدد لهم : كيف؟ وإلى أين يذهبون ؟ وماذا يعملون؟

ولم ندعم الثقافة العلمية التى تخاطب العقول ونجعلها حصنا ضد الخرافة والإثارة والباطل..

ولم نساعد على حماية المثقفين الذين يعملون من أجل المستقبل .. وتركنا الساحة لمن جعلوا كل اهتمام المصريين بالماضى..

فى هذا الميدان ثغرة .. لا تملؤها وزارة الثقافة وحدها .. ولكن لابد أن تشارك فيها كل أجهزة الدولة.. وكل الهيئات .. وكل المثقفين .. ولابد أن يستمر الجهد ويتواصل .. ونكف عن سياسة الحماسة لفترة نخطو خلالها خطوات واسعة .. ثم يصيبنا الملل ونتوقف..

أما قضية الفكر الدينى فهى حديث طويل .. لأن هناك من يرعى فكر الإرهاب .. ويروج له .. ويدعو إليه .. ويدافع عنه .. علنا .. وبكل الوسائل .. وعلى كل المنابر..

لا ندعو إلى مصادرة فكر .. ولكن ندعو إلى إعطاء نفس الفرصة لأصحاب اتجاه التجديد والإصلاح الدينى..

وباختصار .. لابد من فكر جديد لمواجهة الإرهاب بعد حادث أديس بأبابا.. فكر جديد تماما .. ومنهج عمل جديد .. لأن الإرهاب أعلن الحرب علينا فى أديس أبابا.. ولابد أن نقبل التحدى .. ولابد أن ننتصر.

❁❁❁

هل يمكن أن يهزمنا الإرهاب ؟!

هل يمكن أن يهزمنا الإرهاب.. هل يمكن أن ينتصر علينا وعلى الحق..؟!

لا نحتاج إلى العرافين ليقرأوا لنا الطالع، ويقولوا: إن عام كذا هو عام نهاية الإرهاب فى مصر.. فالواقع أن ذلك هو ما سيحدث.. سينتهى الإرهاب يوما وستختفى هذه العصابات المسلحة والممولة من الخارج.. وستتقطع الخيوط التى تربطها بسادتها الذين يبعثون إليها بالخطط والتكليفات وقوائم الاغتيال.. ستنقشع الغمة.. ويزول الكرب.. وتعود مصر كما كانت دائما منذ آلاف السنين.. واحة الأمان.. والسلام.. والمحبة.. وأرضا للبناء والحضارة.. ومنارة للثقافة.. وقلعة لكل الأديان.

ليست هذه نبوءة العرافين للعام الجديد.. ولكنها قراءة للواقع المصرى بما فيه من عوامل واحتمالات.. وهناك أكثر من سبب يدعونا إلى الاعتقاد بأننا سنشهد نهاية الإرهاب.

أول هذه الأسباب أن الشعب المصرى أصبح فى حالة تعبئة واستنفار ضد الإرهاب والإرهابيين. فى البداية انخدع قطاع من الناس الطيبين يغلب عليهم حسن الظن، وتصوروا أن هذه مجموعات من الشباب المخلص لدينه ولوطنه، وهبوا أنفسهم لقضية.. هى إقامة الشريعة وطلب الحكم بما أنزل الله، وإعادة بناء المجتمع على أساس ما أمر به الله فى كتابه وسنة رسوله.. وقال هؤلاء الطيبون: لماذا تعادون هذا الشباب المخلص البرىء المتحمس.. احتضنوهم.. وأعطوهم فرصة.. واستمعوا إليهم.. وخذوا منهم دعوتهم إلى العدل، والإصلاح، وحلم المجتمع الفاضل.. ولكن الأمور بدأت

تتغير.. عندما تفجرت قنابل تقتل الأطفال والنساء والمساكين من الناس.. وأصبح القتل عشوائيا.. والتخريب هدفا فى ذاته..

وعندئذ أفاق الناس الطيبون وتساءلوا: هل إطلاق الرصاص على قطار وقتل راكب أو اثنين أو عشرة يمكن أن يؤدى إلى إقامة الشريعة؟.. هل تفجير قنبلة فى شارع تقتل أطفالا ونساء يطابق ما أمر به الله؟.. هل تفجير سفارة وقتل من فيها يمكن أن يكون تعبيرا عن طاعة الله؟.. وعشرات الأسئلة الأخرى تزداد فى أعقاب كل حادث من حوادث الإرهاب.. إلى أن أصبحت القضية هى: من هؤلاء..؟ وماذا يريدون..؟ ومن الذى يحرضهم.. ويدفع لهم.. ويخطط.. ولماذا؟.. ما هو الهدف الحقيقى لكل هذا القتل والتخريب والذعر..؟

وتزداد الأسئلة مع انتشار الإرهاب فى كل الدول العربية.. وفى دول أوربا.. وآسيا.. وأمريكا.. وأفريقيا.. ما كل هذا؟ ليست المسألة إذن إقامة الشريعة.. وليست سعيا لحكم بما أنزل الله.. المسألة أبعد من ذلك، وأخطر، خصوصا إذا تأملنا كيفية تنفيذ العمليات.. سنجد أنها ليست من عمل الهواة أو المبتدئين.. بل هى من عمل محترفين.. متخصصين فى الإرهاب.. فرق تم تدريبها تدريبا راقيا على الإرهاب.. من الذى دربها..؟ ومن الذى يمسك الخيوط فى النهاية..؟ هذا هو السؤال المهم فى القضية كلها.

❁❁❁

فى القاهرة يزدحم المشاهدون للمشاركة فى مسرحية بعنوان «الجنزير» ألفها الكاتب المسرحى والصحفى محمد سلماوى.. ويمسك المشاهدون أنفاسهم وهم يتابعون الصراع الغريب الذى يحدث على خشبة المسرح، وهو نفس الصراع الذى يدور فى المجتمع المصرى كله. بحيث تجد المسرح هو الوطن، والأسرة التى تعيش المأساة هى رمز لكل المصريين.

تبدأ المسرحية بسيدة مصرية عاديـة، متوسـطة الحـال، مـات زوجـها، وترك لها ابنا وبنتا، ويعيش معها أبوها العجوز الذى ترعـاه وتخدمـه بعـد أن أصبح عاجزا عن الحركة وفاقدا للذاكرة.. البنـت تلميـذة فـى مدرسـة.. مجتهدة.. سوية.. تتعامل مـع الواقـع ببساطة وتفـهّم.. قـادرة علـى حـل مشاكلها التى تواجهها فى البيت أو المدرسة أو المجتمع.. والأم منهكة فى خدمة الأسرة، وترى أن واجبها أن تخدم قطاعا من المحتاجين للخدمة هم مرضى الجذام، لأن المجتمـع ينسـاهم عـادة، والنـاس تخـاف منـهم، لأن مرضهم معد وشديد الخطورة.. أما الابن فهو المشكلة الكـبرى فـى البيـت.. فهو ضائع.. فاشل فى دراسته.. فاشل فى التكيف مـع المجتمـع.. فاشـل فى اكتساب أصدقاء.. فاشل فى الحب.. ونتيجة كل هـذه الفشـل المركـب كان من السهل أن يقع فى حبائل تجار المخدرات ويصبـح مدمنـا.. وإذا لم يتناول المخدرات فإنه يفقد الوعى، ويقع على الأرض متشـنجا علـى وشـك الموت.. والأسرة تعيش المأساة ولا تعرف كيف تتعامل معها..

تصـادف الأم فتـاة منقبـة فـى الطريـق تشـير إليـها، فتقـف بسـيارتها وتأخذها معها إلى البيت عندمـا فـهمت منـها أنـها محتاجـة لمـن يتحـدث إليها.. وفى البيت تكتشف أن الفتاة ليست فتـاة.. وأن وراء النقـاب شـابا نصف مجنون.. ونصف مهووس.. فاشل فى دراسته.. فاشل فى علاقاتـه.. فاشل فى الحصول على حنان الأم بعد أن تركته أمه وتزوجت رجـلا آخـر بعد أن هجرها أبوه.. أما الأب فقد ترك الابن وتزوج هو الآخـر.. ولم يجـد الشاب الضائع إلا مجموعة فى مسجد أقنعته بأن الخلاص فى أن يحـارب هذا المجتمع الظالم، ويوجه طاقة الحقد والعدوان التـى تمـلأ قلبـه إلى كـل الناس من حوله.. وكاختبار لصلاحيتـه للانضمـام إلى الجماعـة طلبـوا منـه استخدام الحيلة لكى يدخل بيتا، ويتخذ كل من فيه رهائن بتهديد السلاح الذى أعطوه له. وهكذا وجد الشاب نفسه داخل بيت مصرى بكـل مـا فيـه

من دفء المشاعر ومشاكل الحياة.. ويجد أن الابن الذى وقع ضحية المخدرات نتيجة أزمته الشخصية هو الوجه الآخر لحياته هو، ويصل إلى درجة من الوعى تجعله يدرك أنه أمسك السلاح، وارتضى بأن يتحول إلى مجرم، لأنه هو الآخر ضائع، بلا هدف، ولا أمل، ولا قضية، ولا يجد من يرعاه أو يهتم به.

ومن خلال الحوار الجميل تظهر الرؤية الحقيقية لمشكلة الإرهابيين: إنهم ضحايا لمن يستخدمونهم، ويوظفون رغبتهم فى البحث عن معنى أو هدف لحياتهم. توظيفا سيئا، ليوجهوهم إلى هدف تخريبى.. ويحولوا طاقاتهم الشابة إلى طاقة تدمير..

رؤية محمد سلماوى أن الشباب الذى يقع فى شباك الجماعات الإرهابية شباب يستحق الرثاء.. لأنه لم يجد الهدف الذى يوقف حياته عليه.. ولم يجد من يرشده إلى الطريق الصحيح.. ولم يجد فرصة الحياة السوية.. ولم يجد قضية يفرغ فيها طاقته ويكرس لها حياته..

يريد محمد سلماوى أن يقول لنا: إن هذا الشباب ظالم ومظلوم.. قاتل ومقتول.. يخرب المجتمع بعد أن تم تخريبه من داخله..

وفى النهاية فإن الشاب حين يصل إلى مرحلة «الوعى» أو «الاستنارة» أو إدراك الحقيقة.. ويعرف أنه مخلب قط لجماعة تريد شرا بمصر وبالمصريين كلهم.. فى هذا الوقت الذى يريد فيه أن يبدأ حياة جديدة يتخلى فيها عن الإرهاب.. يكون الوقت قد فات.. لأن «الجماعة» تسبقه لتقتله ليكون عبرة لغيره.. وتقع الجماعة فى يد الشرطة فى نفس اللحظة..

وتخرج من المسرحية وأنت فى حيرة.. هل تشعر بالراحة لأن الإرهابيين ماتوا فى النهاية.. أو تبكى لأنهم مصريون..

هذا هو المأزق الـذى يشعر بـه المثقفـون.. ولكنـهم حـددوا موقفـهم فـى النهاية..

المثقفون المصريون الآن جميعا ضد الإرهاب.. لا أحد يدافع عن الإرهـاب إلا أعـوان الإرهـاب.. وهـذا شـىء مـهم.. عندنـا إرهـاب.. وعندنـا أعـوان للإرهاب.. جماعات الإرهاب معروفـة.. تقتـل.. تخـرب..تفجـر.. تحـاول إثارة الرعب بين الناس لخدمة أهداف سادتهم.. أما أعـوان الإرهـاب فـهم شىء آخر.. أهم.. وأخطر من الإرهاب ذاته.

أعوان الإرهاب هم الذيـن يسـبقون عمليـات الإرهـاب، ويمـهدون الجـو النفسى لتبريرها.. خطيب فى مسجد.. كاتب فى صحيفة.. مؤلف كتاب.. مدرس.. أى واحد لديه فرصة للتأثير فى الآخرين وفى أفكـارهم.. ومهمتـه تتلخص فى العمل على محورين: المحور الأول هو إثارة عطف الناس على الإرهابيين.. وتصويرهم على أنهم شباب مخلص يريد الإصلاح.. والحقيقـة أنهم شباب فاسد يسعى إلى الفسـاد فـى الأرض.. ويعمـل علـى قتـل أرواح حرم الله قتلها إلا بالحق.. والمحور الثانى هو إثارة جو عـام مـن الكراهيـة للمجتمع ولكل من فيه، وتعميق فكرة أن هذا مجتمع كافر، وفاسد، وخارج على شرع الله.. وهؤلاء كثـيرون.. بعضـهم يكتـب فـى الصحـف بكـل قـوة وبكل صراحة ليساند الإرهاب، ويدافع عنه بطريق مباشر أحيانا، وبطريـق غير مباشر فى أغلب الأحيان.

❁❁❁

والمثقفون المصريون المخلصون يقفـون الآن وقفـة صلبـة لكشـف الإرهـاب وأعوانه. وحيد حامد الكاتب المعروف له كتاب جميل بعنوان «استيقظوا أو موتوا» يقول فيـه: عندمـا نقـول: لا.. لدعـاة الجـهل والتطـرف.. وعندمـا نواجه الأفكار السوداء التى تهدف إلى قتل الإرادة عنـد المصريـين، وعندمـا

نقاتل من أجل سلامة الوطن والدين معا، فإننا لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نكون ضمن فريق كورال «يرتل» أناشيد الحكومة كما يزعم بعض الحمقى والمغفلين، فمن الثابت أن الهدف الحقيقى لأصحاب هذه الغزوة التترية هو شعب مصر، وليس حكومة مصر.. ويقول أيضا: إذا كان البعض يتحدث عما يسمى بالإسلام السياسى، فالحديث عن الإسلام التجارى أهم بكثير.. وهو يشير على سبيل المثال إلى العلاقات الغريبة بين دعاة الإسلام السياسى وشركات توظيف الأموال التى نهبت أموال الناس وخربت بيوتهم.!

***

وأيضا هناك كتاب جميل آخر للدكتور رفعت السعيد بعنوان: «والصمت.. لا» ملىء بالأفكار المضيئة والحكايات ذات الدلالات العميقة عن الإرهاب وأعوان الإرهاب.. من هذه الحكايات أن أستاذا جامعيا فى نادى هيئة التدريس لجامعة عريقة اعترض على رأى رفعت السعيد الذى قال فيه: إنه يرفض عنف «التأسلم» الذى أسفرت عنه حقائق «مجاهدى أفغانستان» وشرح العلاقة التى تربطهم بالمخابرات الأمريكية، فوقف الأستاذ يعترض، قال له رفعت السعيد: إن أمريكا أعطتهم صواريخ ستينجر فوقف الأستاذ ينفى ذلك بقوة، فسأله رفعت السعيد: فكيف كانوا يسقطون طائرات الميج السوفيتية؟ فرد عليه الأستاذ الجامعى ببساطة: إنما المؤمن منهم كان يقبض على حفنة من تراب فيقرأ عليها الفاتحة، ثم يقذفها فتسقط الطائرة..! فتعالت صيحات الاستحسان والتبتل من بعض الحضور.. ماذا تفعل مع أستاذ جامعى كهذا؟ بماذا تجيب؟ هل تقول له: إن زمن المعجزات قد مضى؟ هل تطالبه فقط بتشغيل عقله ولو بأقل طاقة: ليفهم أن هذا مستحيل عقلا؟..

فى هذا الكتاب يشير رفعت السعيد إلى حالات تدل على أن «أعوان الإرهاب» أكثر مما نتصور.. وأن حجم الكارثة أكبر مما نظن.. فالعقل عند

الكثيرين لا يعمل، الفكر الفاسد المتخفى وراء الدين يغزونا، وكثير من الناس تعجز عقولهم عن مقاومته، أو هى عقول غير مؤهلة لذلك، وليس هناك واجب على المثقفين أهم من إيقاظ العقل لكى يستعيد ملكة النقد والتحليل، لكى يميز بين الفكرة الصحيحة والفكرة الفاسدة، وبين الدعوة المخلصة والدعوة الخبيثة، وبين الداعية الذى يدعو إلى الله حبا فى الله، والداعية المنافق الذى يردد عبارات تكفير المجتمع ويقبض الثمن من خارج الحدود..

وليس أمامنا إلا أن نطالب بإعادة الأزهر إلى دوره.. مدرسة للشريعة والفقه وقلعة للدفاع عن الإسلام الصحيح.. فعلى مدى التاريخ كان الأزهر هو خط الدفاع الأول عن الإسلام ضد الغزوات الصريحة على الإسلام، والغزوات المستترة التى ترتدى عباءة الإسلام وتسعى إلى تخريبه من الداخل.. لابد أن يعود الأزهر فى الصف الأول فى معركة الدفاع عن الوطن ضد هذه الغزوة الإرهابية كما كان خط الدفاع الأول فى الدفاع عن حرية الوطن فى ثورة ١٩١٩.. وما نحتاج إليه من رجال الدعوة هو أن يقوموا بدور التعليم والتثقيف والهداية والإرشاد إلى الدين الصحيح.. ولا نريد من الدعاة أن يتحولوا إلى أدوات ضغط وإكراه أو ممارسة العنف بأى صورة..

ويطالبنا رفعت السعيد بتطبيق المادة ٦٨ من قانون العقوبات التى تعاقب بالحبس مدة من ستة أشهر إلى خمس سنوات أو غرامة من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ جنيه لكل من يستغل الدين فى الترويج لأفكار متطرفة بقصد الفتنة أو الإضرار بالوحدة الوطنية.

وبالمناسبة.. الإضرار بالوحدة الوطنية فى رأيى - ليس فقط الإضرار بوحدة المسلمين والمسيحيين فى الوطن الواحد.. ولكنها تشمل أيضا الإضرار بوحدة المسلمين أنفسهم وإثارة الفتنة بين بعض المسلمين وبعضهم الآخر داخل المجتمع.

هناك إجماع على أن الإرهاب فى مصر ظاهرة مؤقتة.. لن تدوم طويلا.. هناك ظروف جعلتها تظهر.. ولكن بتغير الظروف ستختفى حتما.

وهناك إجماع على أن الأمن فى مصر استطاع أخيرا أن يتعامل مع الإرهاب بالأسلوب الصحيح الذى سيؤدى إلى القضاء عليه.. أمسك الذيول.. ثم أمسك الرءوس.. ولم يتبق سوى يعض الشياطين الذين يختفون فى الشقوق ويدفعون الشباب الساذج المخدوع إلى مغامرات مجنونة بعد أن يفسدوا عقولهم.. وفى النهاية سوف يتم القضاء على الشياطين أيضًا.

وهناك إجماع على أن هناك دولا تفتح صدورها لقيادات الإرهاب.. وتلعب لعبة خطرة.. تدعى أنها بلاد ديمقراطية.. وأنها لا تستطيع أن تمنع أحدا من أن يمارس حريته فى الفكر والعمل.. فللإرهابيين مطلق الحرية فى أن يخربوا بلادهم.. أما إذا فكروا فى العمل داخل البلاد التى تأويهم فسيجدون الضربة القاضية.. أمريكا بلد الحرية فتحت المعتقلات، وأصدرت قانونا للإرهاب.. واستعانت بقوات الجيش والحرس الوطنى لمواجهة الإرهاب.. ومع ذلك مازالت تتحدث عن الحريات والديمقراطية للإرهابيين الذين يخربون بعيدا عنها فى أوطان أخرى.. بريطانيا تستخدم أقصى درجات العنف ضد من يلقى قنبلة.. ولكنها تسمح لجماعات الإرهاب بالعمل من أرضها بحرية لتفجير بلاد أخرى بعيدة عنها.. وفرنسا.. وإيطاليا.. وألمانيا.. كلها تفعل نفس الشيء..

كل هذا سينتهى فى عام ١٩٩٦. لأن هذه الدول أدركت أخيرا.. ومتأخرا جدا أن الإرهاب لا يتجزأ.. ومادام موجودا فى بلد وموجها إلى بلد أو إلى بلاد أخرى.. فإنه سيعمل فى الاتجاهين.. لأن الإرهابى يتحول مع الوقت إلى محترف إرهاب.. إنسان وظيفته وعمله الإرهاب.. يعمل لحساب من يدفع.. اليوم يعمل باسم الإسلام.. وغدا يعمل باسم أى شيء آخر..

تبعا لفكر وفلسفة من يموله ويوجهه.. وبحسب الغطاء المناسب لكل مكان وكل زمان..

عام ١٩٩٦ هو عام اليقظة لكل دول العالم.. لتدرك أن الإرهاب خطر عالمى.. والقضاء عليه لن يتم إلا بجهد عالمى..

والآن ماذا تفعل أنت..؟

كل شاب.. وكل رجل.. وكل سيدة.. عليه واجب.

نرفض.. ونعلن الرفض للإرهاب..

نرفض أعمال الإرهاب.. ونرفض أفكار الإرهاب.

نرفض الإرهاب فى مصر.. وفى كل مكان فى العالم.

نرفض الإرهاب باسم الإسلام.. كما نرفض الإرهاب فى اليابان باسم الحقيقة المطلقة.. وفى بريطانيا باسم المسيحية.. وفى بريطانيا باسم المافيا.. وفى فرنسا باسم الحرية.. وفى أمريكا باسم العدالة والمساواة.

نرفض الكتاب المراوغين من أعوان الإرهاب الذين يدعون أنهم يمثلون الإسلام المعتدل بينما هم ينشرون الأفكار الأساسية للإرهاب على أوسع نطاق.

الإرهاب هو الإرهاب..

والإسلام ليس دين إرهاب.

ليس فى القرآن دعوة إلى الإرهاب أو القتل العشوائى.. ولا فى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام.

الإرهاب ليس من الإسلام.. ولكنه من الشيطان.

والشيطان يريد لنا الخراب.

ونحن نريد لبلدنا العمار.. والخير.. والبناء.. والرخاء.

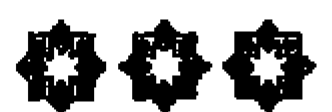
إرادة الخير سوف تنتصر.

والجيش الأكبر الذى سيقضى على الإرهاب هو ٦٠ مليون مصرى.. إيمانهم بالله قوى وبغير حدود.. وحبهم لوطنهم يفوق الوصف.. وقدرتهم على المقاومة لا تنتهى.

والمثقفون الآن يقفون فى الصف الأول للمقاومة.

قوات المقاومة الشعبية للإرهاب جاهزة. بالفكر.. وبالثقافة.. وبالفن.. وبالعمل.

وإذا كان الإرهاب يريد أن يقيد حركة المجتمع وأبناءه بالجنازير كما فى مسرحية محمد سلماوى.. فإن الناس العاديين بإيمانهم وأخلاقهم قادرون على تحطيم كل الجنازير.. وتحطيم رءوس كل من يستخدمونها.. والله معهم.



من الذى يواجه الإرهاب.. ؟!

انتهز البعض حادث الاعتداء على السياح الأخير فى شارع الهرم، واعتبروها فرصة للنيل من جهاز الشرطة والتهجم على سياسات «جنرالات» وزارة الداخلية، وكما هى العادة السائدة الآن فى كل حوار، فإن لعبة خلط الأوراق، وخلط الحقائق بالأكاذيب والبدء بمقدمات صحيحة والانتهاء إلى نتائج مغلوطة ومضللة.. هذه اللعبة تمت ببراعة واستخدمت بذكاء وبإلحاح بهدف الإيحاء بقوة حجة أصحابه، وسلامة مقصدهم..

ولكن هذه اللعبة خطيرة لأنها تجعل جهاز الشرطة الذى يقف فى خط الدفاع الأول ضد الإرهاب ويقدم كل يوم شهداء للواجب أكثرهم من القادة.. يقف فى موقف الدفاع عن النفس من هذه الهجمات.. ويواجه الضغط من جانبين: من المشككين فى قدرته من ناحية، ومن التكتيكات والأسلحة الجديدة التى يجد الإرهاب من يزوده بهما لتحقيق هدف استراتيجى كبير يتجاوز حادث اعتداء أو تفجير..

والموقف الآن لا يتحمل إساءة الجو الديمقراطى الذى يسمح بحرية التعبير والنقد، ويسمح أيضا بحرية العدوان والتجاوز اعتمادا على أن الضمير الوطنى فى النهاية هو الذى سيضع الحدود والخطوط الحمراء لما هو نافع وما هو ضار وما هو لصالح البلد، وما هو ضد مصالحه.

وجهاز الشرطة الذى بذل خلال السنوات الماضية جهودا تفوق طاقة البشر، يدرك بالقطع أن الحماية الحقيقية له هى المساندة الشعبية له، والتأييد العام بشجاعته وتفانيه، والتقدير من القمة والقاعدة للعمل المضنى والتضحيات الغالية فى عمل متصل ليل نهار وبدون إجازات فى الوقت

الذى ينعم فيه الجميع بالإجازات الطويلة والاسترخاء وبمواجهة عصابات غامضة تجد التمويل والتخطيط من الخارج لأهداف سياسية معروفة، ويتم تجنيد عناصر جديدة غير معروفة وليست لها سجلات ويكفى مراجعة كميات الأسلحة التى تم ضبطها خلال السنوات الثلاث أو الأربع الماضية لندرك مدى الكارثة التى كان يمكن أن تحدث للشعب العربى لولا يقظة رجال الشرطة وشجاعتهم وحسن إدارتهم للمعركة مع الإرهاب يكفى أيضا أن نراجع قوائم الإرهابيين الذين نفذوا العمليات الخطيرة لتدرك أننا لسنا أمام تنظيم واضح المعالم له سمات خاصة تميزه ولكننا أمام شراذم متفرقة من مجرمين يعانون أساسا من اختلالات فى الشخصية تدفعهم إلى ارتكاب الجرائم والخلط الذهنى بين الجريمة والبطولة.. وبين صورة المجرم الذهنية وصورة البطل من ناحية أخرى بين النضال من أجل قضية صحيحة عادلة والعدوان تحت غطاء قضية باطلة وزائفة ولا أحد منهم يملك القدرة العقلية أو الذكاء أو البصيرة ليكتشف ما وراء ستار الخداع الظاهر ليكشف أن كل حادث إرهابى هو لطمة موجهة للوطن وللشعب ولن يدفع ثمنها إلا الشعب إلا إذا كان عداء الإرهاب للشعب وهذه هى الحقيقة الجوهرية الكامنة وراء ما يقال من نظريات وفلسفات وادعاءات ليست إلا ستارًا من الدخان لإخفاء الحقيقة المرة وهى أن كل ما يجرى هو مخطط ينطوى على العداء لمصر كوطن وللمصريين كشعب والهدف هو القضاء عليهما عاجلا أو آجلا ولصالح من.. هذا هو السؤال الذى لم يسأله إرهابى لنفسه.

فى هذه الظروف نحتاج إلى تأكيد حقائق مبدئية وبديهية، ولكنها يمكن أن تغيب عن العيون وراء سحابات الدخان التى يطلقها البعض:

الحقيقة الأولى: أن جهاز الشرطة أعطى ويعطى بإخلاص ووطنية وكفاءة هى موضع احترام وتقدير الشعب المصرى كله.. وفى كل مناسبة فإن الرئيس مبارك يعلن ذلك باسم الشعب.

الحقيقة الثانية: أن النقد الذى يوجه يجب ألاً ينال من ثقة هؤلاء الرجال الشجعان، ولا من روحهم المعنوية.. وهم فى قلب معركة ليست سهلة يواجهون فيها المجهول.. ويجعلون من صدورهم دروعا لكل المواطنين الأبرياء.

الحقيقة الثالثة: أن ما حققه جهاز الشرطة ليس قليلا.. بل هو عمل كبير بأى مقياس وهناك دول تدرس وتستفيد من التجربة المصرية، وخطط جهاز الأمن الناجحة لمحاصرة الإرهاب.

الحقيقة الرابعة: أن أى مفكر محترم على إلمام ببعض الحقائق عن الإرهاب فى كل دول العالم، وبخاصة الدول الديمقراطية الكبرى، يدرك أن القضاء الكامل الشامل على الإرهاب وعلى كل منظماته.. وكل أفراده.. وكل روافده.. وكل أنصاره فى الداخل والخارج شىء لم يتحقق فى أى بلد.. لا فى أمريكا.. ولا فى بريطانيا.. ولا فى ألمانيا.. ولا فى فرنسا.. وكل ما تحقق هو ضرب منظمات الإرهاب ضربات قاتلة.. ومحاصرة نشاطها.. وتتبع الفلول، وترقب ظهور براعم إرهابية جديدة تعززها البؤر العديدة المعروفة وغير المعروفة.

الحقيقة الخامسة: إن اقتلاع الجذور ليس من مهام أجهزة الأمن، ولكنه من مهام أجهزة الفكر والسياسة.. لأن الجذور ليست إلا فكرا وعملا سياسيا.. فهل قامت المؤسسات المسئولة عن الفكر والسياسة بدورها؟ بصراحة.. هل قامت المؤسسة التعليمية فى المدارس والجامعات بدورها؟ هل قامت المؤسسة الإعلامية بدورها كاملا وتغلغلت فى فكر الجماهير أم أن بعض الأحاديث والبرامج فى التليفزيون فيها الكفاية..؟ وأين الأحزاب والنشاط الجماهيرى والتحرك لحصار بؤر الإرهاب وجماعات الإرهابيين لقد استطاعت تونس أن تحاصر الإرهاب فى كل القرى بفضل يقظة الحزب

وفاعليته.. وكذلك فعلت سوريا.. والمسألة عندنا ليست مسئولية حزب واحد، ولكنها مسئولية كل الأحزاب.. فماذا فعل كل حزب.. وما هى نتائج عمله..؟ وبصراحة أكبر هل قامت المؤسسة الدينية بالدور كاملا.. هل واجهت..؟ هل حركة الفكر الدينى فى البلد كلها فى الاتجاه الصحيح، وكشفت زيف الادعاءات التى تستر وراءها الإرهاب..؟

هناك أدوار يجب أن نحددها ويتحمل كل منا مسئوليته عنها.. أدوار التربية والتحقيق والوقاية وتجنيد الشباب لتوظيف طاقته، فيما يفيد البلد، ويساعد على البناء.. هذه الأدوار لا تدخل فى اختصاص أى جهاز للأمن فى العالم. فأجهزة الأمن ليست أجهزة دعوة، ولا هى أجهزة حوار أو تربية اجتماعية أو ثقافية أو غيرها.. الدور الوحيد لجهاز الأمن هو تعقب الجريمة.. ليس وهى فى العقول.. ولكن حين تصبح فى السلوك.. فى التخطيط.. والتنظيم.. وارتكاب الجرائم وضبط مرتكبيها إذا وقعت.. وليس هناك جهاز أمن فى العالم استطاع حتى الآن منع ارتكاب الجرائم بنسبة مائة فى المائة..

وحتى هذا الدور الأمنى المتخصص لا يستطيع جهاز الأمن أن يقوم به وحده بغير مساندة من كل الناس ومؤسسات المجتمع كلها..

وهذه هى البداية الصحيحة للقضاء على الإرهاب.

❁❁❁

مواجهة الفكر المتطرف

شكل مجلس الوزارة مؤخرا مجموعة وزارية للثقافة والدعوة، أوكل إليها مهمة تأخرنا كثيرا فى إنجازها بصورة مرضية، وهى وضع استراتيجية موحدة لمواجهة الفكر المتطرف، ومعالجة ظاهرة الفراغ الثقافى خاصة بين الشباب، ورغم أن هذه الخطوة جاءت متأخرة إلا أنها تمثل احتياجا ملحًا فى المجتمع فى هذه الفترة بالذات.

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هناك محاولات واجتهادات وجهودا قامت بها وزارات وأجهزة لكنها - إذا أردنا الصراحة - كانت جهودا جزئية، وكانت تتم دون تنسيق بين الأجهزة، وبالتالى لم تصل إلى التكامل، ولم تتحقق نتائج كبيرة بالقدر المطلوب والمأمول بالقياس لحجم وخطورة الإرهاب المتربص بالوطن.

وكل من تناول ظاهرة الإرهاب بالتحليل للعوامل والأسباب التى أدت إلى ظهورها، قال إن الإرهاب يبدأ فى الفكر.. بغزو العقول.. وبغرس أفكار ومعتقدات ومبادئ عدائية للمجتمع كله دون استثناء. وتكررت الإشارة إلى انتشار قيم ثقافية تساند التطرف، مستندة إلى القضايا الأساسية التى يبدأ منها.. وهى أولا التشكيك فى عقيدة المسلمين.. والحكم عليهم بالكفر.. والاستناد إلى نصوص تعطى لمن يريد أن ينصب نفسه حكما ومنفذا للشريعة بأن يأخذ بيده سلطة عقاب من يحكم عليهم - هو أو جماعته - بالخروج عن جماعة المسلمين.. مع ترديد أفكار بعينها تنتمى إلى عصر مختلف، وإلى ظروف سياسية واجتماعية بعيدة كل البعد عن ظروف المجتمع الإسلامى الآن.. والاستناد إلى تفسيرات معينة لنصوص اختلف فى تفسيرها

علماء الشريعة منذ قرون.. ولم يروا فى الاختلاف ما يستوجب القلق أو التمرد.. بل رأوا فيه خصوبة وثراء وحيوية فى الفكر الإسلامى كفيلة بأن توفر له التجدد والاستمرار لكل زمان ومكان.

وكثيرا ما كان يقال إن المواجهة الأمنية مهما حققت من النجاح، فإنها لا تستطيع أن تصل إلى عقول ووجدان الشباب، ولا تملك أدوات تغيير المفاهيم ودوافع السلوك، ولكن الذى يملك ذلك هو أجهزة منابر الدعوة الدينية، وأجهزة الثقافة، ومؤسسات التربية، وظلت هذه المجالات الثلاثة دون تنسيق كاف، ودون خطة عمل شاملة وموحدة، بل ودون وضوح الفكر المضاد للإرهاب الذى يتلاءم مع طبيعة المجتمع، ويتقبله الشباب، ويتأثر به، إلى أن يصبح هو «الفكر البديل» ويحل هذا الفكر التقدمى الذى يلائم العصر محل الفكر الرجعى الذى يسعى إلى جر المجتمع إلى الوراء إلى عصور التخلف والظلام الفكرى.

وغياب التنسيق بين الأجهزة المتعددة مشكلة مصرية قديمة تؤدى دائما إلى تشتت الجهود، وقلة العائد، وربما إلى تضارب أو تداخل، أو تكرار الجهود التى تقوم بها هذه المؤسسات المتعددة.

من هنا نرى أن تشكيل هذه المجموعة الوزارية هو البداية الصحيحة التى تدل على أن مرحلة قد بدأت يمكن أن نشعر معها بالأمل فى أن يتحقق الأمل فى إعادة إحياء ثقافة جديدة، وإعادة بناء العقل المصرى بما يتفق مع التقدم الذى حققته البشرية وهى توشك على دخول القرن الحادى والعشرين.

وإذا كانت قضية التنسيق المفتقد هى القضية الأولى، فإن القضية الثانية هى تحديد معالم الفكر المتطرف الذى نريد محاربته، لأننا حتى الآن لم نتفق عليه، وقد أدى غياب الوضوح إلى أن وصلت أقلام وأفكار متطرفة إلى

منابر وساحات إعلامية وثقافية، واستطاعت أن تنشر وتعمق قاعدة الفكر الإرهابى على أوسع نطاق.. فتقول علنا إن الشريعة مهدرة.. وأن رجالها مضطهدون.. وإن المثقفين الذين نزهو بهم فى العالم هم جماعة من المرتدين والخارجين على الشريعة.. واستطاعت أيضا أن تنشر مفاهيم متطرفة، وتلصق تهمة العلمانية بكل من يتحدث عن حرية الفكر والعقيدة، أو يقدم إبداعا له قيمة فى أى مجال من مجالات العلم، أو الأدب، حتى أصبحت كلمة «العلمانية» قرينة لكلمة «الكفر بالله» وأصبح من الصعب إعادتها إلى مفهومها الحقيقى وهو الفصل بين أمور الدين وأمور الدنيا.. بحيث يكون التعامل فى أمور الدين بالتسليم لأوامر الدين الجازمة والالتزام بالمبادئ الجوهرية فى العقيدة وإطلاق حرية العقل والبحث العلمى فى شئون الدنيا.. وهو موضوع يحتاج إلى تفصيل ولكنه مثال جيد لقدرة أصحاب الأقلام والمنابر المغرضة على تلويث الفكر الصحيح، وإلصاق الاتهام بأى فكر أو مصطلح، ومطاردة كل من يفكر فى الإصلاح أو الحديث أو تحقيق التقدم فى العلم أو الفكر.

ونتيجة لعدم الاتفاق على ما هو الفكر المتطرف لم يكن ممكنا بالطبع مواجهة هذا الفكر مواجهة مجدية، ولم يكن ممكنا الاتفاق على الفكر المستنير الذى يجب أن يسود، وهذا هو ما أدى إلى حدوث «الفراغ الثقافى» الذى نشكو منه. رغم الجهود الكبيرة التى بذلتها وزارات التعليم والإعلام والثقافة، ورغم جهود عظيمة من بعض المثقفين، إلا أنها كانت جهودا فردية، وجزئية، ولا يجمعها إطار فكرى واحد، أو تعمل فى تناغم فى منظومة واحدة.

ليس المقصود العودة إلى مجتمع «الفكر الواحد» بأى حال من الأحوال، ولا أن يكون التفكير فى إطار محدد بقرار، ولكن المقصود هو أن تعمل الأجهزة المختلفة فى مجالات التأثير الثقافى والتربوى والإعلامى وهى

تعرف بالضبط الهدف الذى تسعى إلى تحقيقه.. وطبيعة الفكر الذى تحاربه والفكر الذى تغرسه.

وفى كل مرة كان يطرح هذا الموضوع، كانت تتم مناقشته بسرعة، ويكتفى فيه بتصريحات تفيد أن كل شىء على ما يرام والعمل يسير على أفضل ما يكون.. وحين كنا نشكو مثلا من أن عددا كبيرا من منابر مساجد وزارة الأوقاف تتردد عليها مقولات المتطرفين تحرض المصلين كل يوم جمعة ضد المجتمع ونظامه وفكره، كان المسئولون يكتفون بالقول بأن هذا غير صحيح، وأنه تم عقد مؤتمر هنا أو هناك وكأن مؤتمرا أو عشرين مؤتمرا يمكن أن تحقق هدف بناء العقول والضمائر والعقائد على أسس سليمة. وحين كنا نقول إن عقول الشباب تعانى من الفراغ الفكرى والثقافى والسياسى، وأنه لابد من عمل يومى دائم ومنظم وهادف لملء هذا الفراغ، كان الرد يأتينا بأنه ليس ثمة فراغ إلا فى عقولنا نحن.. إلى أن جاءت المجموعة الوزارية فأصدرت بيانها الأول بأنها ستعمل على وضع تصور لمشروع قومى كبير لمواجهة الفراغ الثقافى.

وما دامت قضية «الفراغ الثقافى» قد تم الاعتراف بوجودها أخيرا ورسميًا، فإن هذا يدعونا إلى التفاؤل إلى أن العمل هذه المرة سيكون على الطريق الصحيح.. وإن كانت المجموعة الوزارية تستحق التحية على هذه البداية، فإن التحية لها ستكون أكبر لو أنها نظمت لقاءات تستمع فيها إلى آراء وتصورات كبار المثقفين، لكى تضمن تكامل الرؤية فلا تقتصر على رؤية الأجهزة الحكومية وحدها، ولكى تضمن حماسة المثقفين وتفاعلهم معها وقيامهم برسالتهم لتنفيذ هذا المشروع الثقافى القومى الكبير عن اقتناع.. وهذا هو المفتاح لنجاح هذا المشروع الذى يعتبر أهم مشروعات إعداد مصر لمستقبل جديد.

❁❁❁

الفهرس

الصفحة

الصفحة

كتب للمؤلف

١ – تاريخ ليس للبيع

٢ – البحث عن المستقبل

٣ – الأقباط فى مصر

٤ – ابتسامة صغيرة (مجموعة قصصية)

٥ – الغرب والإسلام

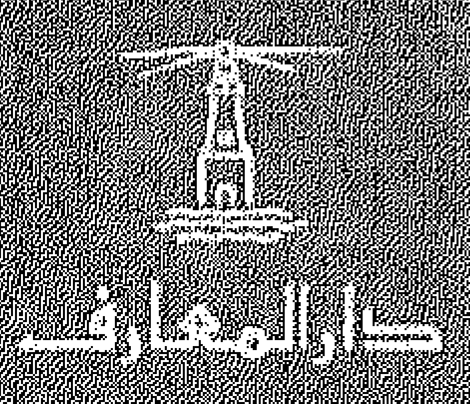
رقم الإيداع	١٩٩٩/١٤٩٣٩	
الترقيم الدولى	977-02-5900-4	ISBN

١/٩٩/٥٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

لقد اصبحت صورة الاسلام مشوهة فى اذهان الغربيين والامريكيين. هذا التشويه لم يكن نتيجة حملات المستشرقين واعداء الاسلام. لكنه. للأسف. نتيجة افعال جماعات من المسلمين ترتكب الجرائم باسم الإسلام. وتقدم فكرا وسلوكا يتعارض مع الإسلام وتدعى انه الاسلام الحق.

ان هذا الكتاب يعبر عن القلق لما يمكن ان يسببه الارهاب من اساءة الى المجتمع الاسلامى. والقلق من أن يستمر هذا الخلط فى المفاهيم والتخبط فى المواقف. واستيلاء الضلال على عقول بعض شبابنا. وللمثقفين دور هام. فعليهم التصدى لهذه الغزوة الجديدة على الإسلام. وهى غزوة مخططة وممولة من الخارج بهدف تشكيك المسلمين فى جوهر دينهم والقضاء على كل سبل تقدم الدول الاسلامية.



دار المعارف

